

المُهَيْدِ
فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ هَادِي مَعْرِفَةُ

التمهيد في علوم القرآن

الجزء السادس

العلامة محمد هادي معرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين



مركز بحوث الكمبيوتر علوم إسدوي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس مواضبع الكناب

- ١٣ الباب الثاني: في الإعجاز العلمي
- ١٩ هل القرآن مشتمل على جميع العلوم؟!
- ٢٠ هل وقع التحدي بالجانب العلمي؟
- ٣٥ الماء أصل الحياة.....
- ٤٢ خلاصة المدارج التي سار فيها تطور الأحياء
- ٤٣ أول ظهور الحياة على وجه الأرض
- ٤٧ كيف نشأت الحياة؟
- ٤٩ ما هي الحياة؟
- ٥٤ كيف بدأت الحياة؟
- ٦٠ أصل الإنسان
- ٦٣ لا خالق إلا الله
- ٦٥ منشأ تكوين الجنين
- ٦٦ دور الصلب والترائب في إفراز المنى
- ٦٨ تكوين الولد من نطفة الرجل وبيضة المرأة



- ٧١ كيفية حصول الحمل ونمو الجنين في الرحم
- ٧٣ الذكورة والأنوثة في ماء الرجل
- ٧٤ نظرة الأطباء القدامى
- ٨٠ القرآن الكريم وأطوار الجنين
- ٨٣ العلقه
- ٨٤ الأسبوع الرابع
- ٨٥ مرحلة العظام واللحم
- ٨٧ ثم أنشأناه خلقاً آخر
- ٩٢ الأسبوع الخامس إلى الأسبوع الثامن
- ٩٥ القرآن الكريم وأمراض الوراثة
- ٩٦ الطب والوراثة
- ٩٩ إرت الجنين التناسلي من الأم
- ١٠٣ ثُمَّ خَلَقْنَا التُّبَّغَةَ عَلَقَةً
- ١٠٤ كيف يحصل التلقيح؟
- ١٠٤ تفسير آخر لدور العلقه
- ١٠٧ «وَعَلَّمَ مَا فِي الْأَرْحَامِ»
- ١٠٩ الرجوع والصدع
- ١١٣ الفضاء يتمدد
- ١١٧ تخلخل الهواء في طباق السماء
- ١٢١ الغلاف الهوائي حجاب حاجز



مركز بحوث الكمبيوتر علوم رسي

١٢٣	ماسكة الفضاء (الجابذبة العامة)
١٢٩	الرتق والفتق فف السماوات والأرض
١٣٩	ترغب بلبغ على الحركة العلمفة - الحضارففة
١٤٣	السحب تكوفنفا، تنوفعفا
١٤٣	مصطلحات علمفة وُضعت وفق تعابفر القرآن
١٤٤	التقسفم الطبعف للسحب
١٤٥	السحب الركامفة
١٤٦	التبخر والإشباع والتكاثف
١٤٦	عوامل ثلاثة لنزول المطر
١٥٠	الماء الأجاج
١٥٥	«والجبال أو ناداً»
١٦٢	مسرفة الأرض والجبال
١٦٦	دخو الأرض
١٦٧	مدّ الظلّ وقبضه
١٧١	«أن نُسوّف بنانه»
١٧٣	«ومن كلّ شفء خلقنا زوجفن»
١٧٥	العسل
١٧٥	مكونات العسل
١٧٧	مفزات العسل



مركز فففة تكوففر علوم رسوف

١٧٩	دقائق هي روايع في التعبير
١٧٩	«وازدادوا تسعاً»
١٨٠	تقديم السمع على البصر
١٨١	«سألوك عن المحيض قل هو أذى»
١٨٢	من بين فرب ودم لبناً خالصاً
١٨٥	أنباء الغيب
١٨٦	١ - غيب الماضي
١٨٩	٢ - غيب الحاضر
١٩٦	٣ - غيب المستقبل
٢١٣	الباب الثالث: في الإعجاز التشريعي
٢١٣	معارف سامية وشرائع راقية
٢١٩	المثل الأعلى في الإسلام
٢٤١	صفات المجد في القرآن
٢٤٤	تقدس مقام الأنبياء والرسل
٢٤٤	وتفخيم شأنهم
٢٤٦	أبرام يحتال
٢٤٦	لوط وابنتاه
٢٤٧	يعقوب يخدع أباه إسحاق



٢٤٨	يهوذا يزني بأرملة ابنه
٢٤٩	فصة داود وأوريا
٢٤٩	سليمان يعبد أوثاناً
٢٥٠	المسيح يحضر مجلس خمر!
٢٥٠	هارون هو الذي صنع العجل لالسامري
٢٥٠	موسى يهتد الرب تعالى بالاستعفاء من الرسالة
٢٥١	يعقوب يصارع الرب تعالى
٢٥١	تكريم مقام الإنسان
٢٥٢	شمول الدعوة وعموم الرسالة
٢٥٤	عقيدة اليونان الأساطيرية
٢٥٩	القرآن في تشريعاته الراقية
٢٦٥	عبادات الإسلام
٢٧٥	لمحة خاطفة عن بناية التشريع الإسلامي
٢٨٢	(أولاً) الدعوة إلى التفكير
٢٨٤	(ثانياً) طريقة التفكير وأسلوبه
٢٨٩	تقنين الأسرة
٢٩٤	وهناك ملحظ آخر
٢٩٥	الحقوق الخاصة والحقوق العامة
٢٩٦	(أولاً) الحقوق الخاصة
٢٩٦	١ - الحقوق المدنية
٢٩٧	٢ - الحقوق الجنائية
٢٩٨	(ثانياً) قسم الحقوق العامة

- ٣٠١ شرائع التوراة النعتية
- ٣٠٢ أحكام فلسية في التوراة
- ٣٠٥ القوانين الرومانية
- ٣١١ لاشعوبية في الإسلام
- ٣١٥ الإسلام يرفض الطبقية
- ٣١٧ الحرية والمساواة
- ٣٣١ فهرس الآيات



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

الإعجاز العلمي



مركز تحقبات كالمبيوتر علوم اسدي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الثاني

في الإعجاز العلمي

«قُلْ أَنْزَلْنَاهُ الَّذِي يَتْلُمُ النَّسْرَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^١



إشارات عابرة وإمعانات خاطفة

عن أسرار الطبيعة و غياهب الوجود

مرآة حيايات كميتر علوم رسيدي

لاشك أن القرآن كتاب حكمة وهداية وتربية وإرشاد «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^٢ «وَيُحَلِّقُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»^٣ «وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ»^٤ «لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^٥.

هذه هي رسالة القرآن رسالة الله في الأرض «أُرْسِلَ رَسُولُهُ بِإِلهْدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»^٦.

إذا فليست الشريعة دراسة طبيعة، ولم يكن القرآن كتاب علم بالذات سوى إشارات عابرة جاءت في عرض الكلام، وإمعانات خاطفة وسريعة إلى بعض أسرار الوجود، وإلى

١ - أن عمران ٣: ١٦٥، الجمعة ٦٤: ٤.

٢ - المائدة ٥: ١٦٥.

٣ - القمح ٥٨: ٢٨، نصف ٦١: ٩.

٤ - الفرقان ٥: ٦٤.

٥ - الأعراف ٧: ١٥٧.

٦ - الفرقان ٥: ١.

طرف من كوامن أسباب الحياة. لكن إجمالاً وفي غموض تام يعرفها العلماء الراسخون، إذ لم تصدر على سبيل التقصد والبيان، وهي في نفس الوقت تنم عن خضيم بحر لا ينشد، وعن مخزون علم لا يتناهي. «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِنِكاتِ رَبِّي لَمَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُفَدَ كِتابُ رَبِّي وَلَوْ جِئنا بِمِثْلِهِ مَدَداً»^١ «وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً»^٢.

نعم، إنها شذرات بدت من طي كلامه تعالى، ورشحات فاضت من عرض بيانه، كانت عظيمة وفخيمة، كلما تقدمت ركب الحضارة، وتأتق نجم العلم والمعرفة على آفاق الوجود، وإذا بالقرآن يسبق الإنسان بخطوات، ولا يكاد يلحق أذياله في هذا المسير «وَنَزَّلنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تَبْيِناً لِكُلِّ شَيْءٍ»^٣.



وهذا نظير ما يؤثر عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من كلمات جاءت في عرض كلامه، وهي تنم عن خضيم بحر متلاطم أمواجه، بعهد أنواره، أو كما قال هو عليه السلام: ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فمن ذلك قوله في عجائب خلقه الإنسان: إعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم^٤.
كان علم التشريح^٥ القديم يرى من طبلة الأذن العضو الأساسي لألة السمع، وذلك يتذبذب يحصل فيه على أثر الموج الصوتي الوارد عليه، وعلى أثره يحصل تموج في الهواء الراكذ المحفوظ في حفرة الصماخ خلف هذا الغشاء، وهذا التموج يؤثر في العصب الدماغى المفروش على سطح الصماخ الباطني، وبذلك ينتقل الصوت إلى مركزه في المخ ويحصل السماع^٦.

٢ - انفلاق ٦٥، ٦٦.

١ - التكهف ١٨، ١٩.

٤ - نهج البلاغه، قصار كلماته رقم ٨، ص ٤٧٠.

٣ - النحل ١٦، ١٧.

٥ - علم وظائف الأعضاء، وقد شرحه ابن سينا في القانون في الطب، ج ١، ص ٦٤ فما بعد.

٦ - هو التماس القاصم بين التجويفين الداخلي والظاهري للأذن.

٧ - قال ابن سينا بصدد تشريح الأذن: الأذن عضو خلق لتسمع وجعل له صدف موج ليجس جميع الصوت ويوجد،

وبذلك تعرف أن لا شأن للعظام في أجهزة السمع في نظرة الأطباء القدامى.
ومن ثم حمل ابن أبي الحديد ذلك على مخاطبة العامة بما يفهمونه من ظاهر الكلام،
قال: هذا كلامٌ محمولٌ بعبءه على ظاهره لما تدعو إليه الضرورة من مخاطبة العامة بما
يفهمونه والعدول عما لا تقبله عقولهم ولا تعيه قلوبهم. قال: فأما السمع للصوت فليس
بعظم عند التحقيق وإنما هو بالقوة المودعة في العصب المفروش في الصماخ كالغشاء.
فإذا حمل الهواء الصوت ودخل في ثقب الأذن المنتهي إلى الصماخ - بعد تعويجات فيه -
جعلت لتجري مجرى البرامة المصوتة، وأفضى ذلك الصوت إلى ذلك العصب الحامل
للقوة السامعة، حصل الإدراك. قال: وبالجملة، فلا بد من عظم، لأن الحامل للحم والعصب
إنما هو العظم.^١

أما ابن ميمم فحمل كلامه ^٢ على إرادة عظم الصدغ الحاوي على جهاز السمع، قال:
وأراد بالعظم الذي يُسمع به العظم المسمى بالحجري، وهو عظم صلب فيه مجرى الأذن
كثير التعاريج والعطفات، يمر كذلك إلى أن يلقى العصبه النابتة من الدماغ التي هي مجرى
الروح الحامل للقوة السامعة.^٣

أما التشريح الحديث ^٤ فيرى أن ^٥ **مخاطبة السمع** إنما تقوم بسلسلة عظام متصلة ببطلة

→ طبينه، و ثقب، يأخذ في انظم الحجري ماوتب، موج يكون تعويجه بطولاً لمسافة الهواء إلى داخل مع قصر تحته. و
ثقب الأذن يؤدي إلى جوية (مخرفة) فيها هواء راكد وسطحها مفروش بليف العصب، الدماغى. فإذا تأذى الموج الصوتي
إلى ما هناك أدركه السمع. واتصاخ كالتقبة العنقية المتصلة على الهواء التراكدا الذي يسمع الصوت بتوجهه. القانون في
الطب، ج ٢، ص ١٤٨-١٤٩ الفن الرابع في أحوال الأذن. وقال عند تشريح اعصب الدماغى: تثبت من الدماغ أزواج
من اعصب سبعة... وأما الزوج الخامس فكل فرد منه ينشئ بتصين على هيئة انضغاف، ومثبتة من جانبي الدماغ،
وتقسم الأول من كل زوج منه بعد إلى اندشاء المتصلين اتصالاً فيلتفرق فيه كأم. وهذا التقسم مثبتة بالتحقيقه من
الجزء المتوخر من الدماغ وبه حس السمع. القانون، ج ١، ص ٥٤-٥٥.

١ - شرح نهج التبلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٨ ص ١٠٣-١٠٤.

٢ - شرح ابن ميمم، ج ٧ ص ٣٠ باب الصلوات من حكمه.

٣ - الأذن كما يصفها علماء التشريح مركبة من ثلاثة أجزاء:

الأول: الأذن الظاهرة، وهي المتكوّنة من صفيحة غضروفية، وتسمى «الصبوان» و من قذاة تمتد داخل انظم الدماغى،
على جانبيها عدّة ثغوب تتصل بمدد تفرز دهناً ليجداً أصفر يسمى «التصلاخ» ضروري تصحّة الأذن متى أذى وظيفته

الأذن كائنة خلفها، فينتقل الصوت بواسطتها إلى العصب السمعي الذي تنتقل آثاره إلى الدماغ.

وذلك أن ذرات الوسط الناقل للتموجات الصوتية تهتزّ باهتزاز مصدر الصوت، فإذا صادف أن التقطت الأذن بعض هذه التموجات ومرّت في القناة السمعية - وهو الجزء الظاهر منها - فإنّ تأثيرها يصل إلى الطبلة الموجودة في نهاية القناة السمعية، فتهتزّ بتأثير

→ خرج بنفسه ونقطة الأذن، فيرفع الإنسان بإصبعه بسهولة.

الثاني: الأذن المتوشطة، تنفصل عن الأذن الظاهرة بشيء الطبلة، وهو غشاء شفاف تحته تجويف غليظ يتصل بالعمق الداخلي بواسطة قناة، وفي أقصى هذا التجويف فتحتان مسدودتان بشيء مشدود، هما مكثبان بالأذن الطبلة إحدى هاتين الفتحتين متصل بها أربع عظيمات تتحرك بمضلات صغيرة، وتحدث توتراً أو استرخاءً في الغشاء المترتبة عليه.

الثالث: الأذن الطبلة، هي الجزء النهائي، وهي مكونة من دهليز تفتح فيه قنوات أشكالها كأصاف الهلال، مملوءة بمائل من نوع امائل الذي يصل ذلك الدهليز، ويحاط تلك القنوات عضو يشبه القوقعة مملوء بمائل، ومتصل بصندوق الطبلة. وفي هذه الأذن الطبلة تتوزع الفرع اعصاب سمعي.

ولا يخفى أن المتكلم إنما يحدث بكلامه ارتجاجاً في الهواء على توقيع خاص، فتصل تلك الارتجاجات الهوائية إلى صيوان الأذن، ومنه تدخل إلى القناة السمعية الظاهرة، ومنها إلى غشاء الطبلة الذي هو أسفل تلك القناة فترجّه فيرتج، فتنبه العظيمات السمعية التي هي على التماس، فتحدث في ذلك الغشاء توتراً أو رخاوةً بواسطة عضلاتها، على حسب شدة الصوت وشدته، وفي نفس الوقت تحدث الارتجاجات عنها في الهواء الموجود في صندوق الطبلة، فينتقل منها إلى الأذن الطبلة بواسطة الفتحتين اللتين ذكرناهما، وهاتئذ تتأثر الأعصاب السمعية، وينقل الصوت إلى الصخ فتدركه الروح وتفهمه. دائرة مدارف القرن العشرين، ج ١، ص ١٣٥ - ١٣٦.

والأذن الوسطى تجويف مملوء بالهواء، في داخل النظم الصدغي، ويسمى «صندوق الصماخ» وشكله كمدسة مقعرة القطرين، ارتفاعه $1/5$ سنتيمتر، ويفصل عن الأذن الخارجية بواسطة غشاء الصماخ، وصندوق الصماخ يتصل بحجر الأذن بواسطة تجويف مخروطي الشكل، وله فتحات دائرية الشكل، ويبطنه تفضله عن الأذن الداخلية.

وغشاء الصماخ غشاء رقيق، سعته التقريبية سنتيمتر مربع، ويشكل في قعر الأذن زاوية بدرجته (٤٥ - ٤٠) ويكون تحديده إلى الداخل.

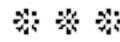
وهذا الغشاء يتكون من ثلاثة أجزاء: سطحه الخارجي جادة رقيقة، وسطحه الداخلي مادة مخاطية، وفي الوسط طبقة متشابكة من ألياف عصبية كبيرة.

وعلى السطح الداخلي للغشاء عظيمات على أشكال مدقات أو بطرقات صغيرة، متصلة به بواسطة عضلات، وهذه العظيمات واقعة بين غشاء الصماخ والفتحات البيضية الشكل في نهاية الأذن.

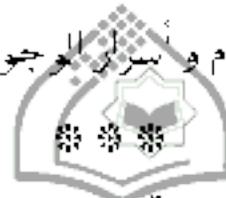
وهذه العظيمات هي التي تنقل التذبذبات الصوتية من غشاء الصماخ إلى الفتحات البيضية، ومنها إلى ألياف العصب السمعي فإلى الصخ. نعت نام - دهخدا، ج ١٢، ص ١٩٣٨٠.

الفرق بين الضغوط الواقعة على وجهيها الأمامي والخلفي فتنتقل هذه التغيرات بواسطة سلسلة العظام المتصلة بها إلى السائل الذي تسبح فيه فروع العصب السمعي الذي تنقل آثاره إلى المخ.

وبذا يكون الإنسان قد تمكن - بنتيجة تَعَوُّده سماع أصوات مختلف الآلات - من تعيين شدة الصوت الذي وصل إلى سمعه و درجته و نوعه.^١



وأما حاشية الإبصار فلا تختلف النظرة القديمة عن النظرة الحديثة، في أنها قائمة بشحمة العين^٢ وقد عبّر عنها ابن سينا في القانون بالرتوبة الجليدية، قال: وهي رطوبة صافية كالبرد و الجليد مستديرة ينقص تفرطحها من قدامها...^٣ فإن كان أراد بها نفس الشحمة التي جاءت في تعابير المتأخرين، وإلا فهو دليل آخر على إعجاز كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العالم بخبايا العلوم وأسرار الوجود.



هذا، والمقال من إفادات والدي للعلامة المرحوم «الشيخ علي معرفة» عليه السلام بثه عليه في كثير من خطابه على حشود أهل الأدب و المعرفة من أبناء كربلاء المقدسة قبل هجرتنا إلى النجف الأشرف التي وقعت في العقد الثامن من القرن الرابع عشر للهجرة. فرحمة الله عليه من والديه بار و مؤدب كريم.

١ - مبادئ العلوم العامة، ص ٤٦٢.

٢ - قالوا: العين هي الجزء المتسبب نحاشة الإبصار، وتتكون من شحمة على هيئة كرة تستطيع التحركة داخل كساء يتركب من جزئين، أحدهما صلب والآخر شفاف، ويسمى الأخير بالقرنية، وهو عبارة عن قرص كبير المنحذب يشبه زجاجة انديانة، يوجد خلفه قرص مائل مستدير يسمى «القرنية» وفي وسطه ثقب، يسمى «البؤبؤ»، وتعد البؤبؤ من الداخل عدسة لامة شفافة وظيقتها جمع الأشعة الضوئية الصادرة بالبؤبؤ على حاجز خلفها يسمى «الشبكية» حيث ينتهي العصب البصري فيها بتفرعات دقيقة جداً، وبواسطة هذا العصب، تنتقل التأثيرات الضوئية إلى الدماغ، مبادئ العلوم، ص ٣٥٦ - ٣٥٤.

٣ - القانون في الطب، ج ٢، ص ١٠٨، وتبعه على هذا التعبير سائر الأطباء القدامى الذين تأخروا عنه، قبل أن تردهم شحمة العلوم في العصر الأخير.

وما هداني إلى هذا الطريق إلا عنايته بتربيته هذه التربية الدينية الصالحة - إن شاء الله - والخالصة لله تعالى، إعلاءً لكلمته وإحياءً لشريعته المقدسة.

فليكن إنجازي لهذا المشروع القرآني الضخم (في محتواه و غايته) والمتواضع (في عمله) هدية إلى روحه الطيبة جزاءً من الله عني وعن الإسلام خير جزاء الصالحين، و حشره مع أوليائه الأئمة الميامين محمد وآله الطاهرين عليهم صلوات رب العالمين.

وبعد، فإذا ما أضفنا إلى هذه الحقيقة المذهلة، أنها عرضت على يد رجل أمي لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب ولا درس عند أستاذ، من أمة عربية جاهلة، وفي بيئة بدوية متوحشة في البداوة، في صحراء جرداء قاحلة، بعيدة عن حضارات الأمم وثقافات العالم بمسافات شاسعة، فنحن إذاً أمام معجزة خارقة للعادة، لا شك فيها ولا ريب، وإنما يكابر فيها من استغلق على نفسه مشارع البصيرة، وعاقب نفسه إذ حجب عنها إشعاع تلك الرحمة التي يشعها هذا الكتاب الكريم.

«إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا»^١ «فَأَمَّا لَا تَتَعَمَّى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَتَعَمَّى الْفُلُوبُ أَنَّى فِي الصُّدُورِ»^٢ «وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»^٣



ويعلم أننا في هذا العرض إنما نحاول فهم جانب من الآيات الكونية، ربما صعب دركها قبلئذ، وأمكن الاhtدك إليها في ضوء حقائق علمية راهنة، جهد المسطاع. وقد نخطئ الصواب، ويعود العتب علينا بالذات.

إننا لانحاول تطبيق آية قرآنية ذات حقيقة ثابتة على نظرية علمية غير ثابتة وهي قابلة للتعديل والتبديل، إنما مبلغ جهدنا الكشف عن حقائق وأسرار كونية انطوت عليها لحيف من آيات الذكر الحكيم، كشفنا في ضوء العلم الثابت يقيناً حسبما وصلت إليه

١ - توفي رحمه الله في ٢٢ صفر ١٣٧٩ عن عمر جاوز التسعين (٦٣) و دفن في كربلاء بجوار أبي الفضل العباس بن علي عليهما السلام في الصحن الشريف على يمين الداخل من الباب الخلفي تحت اطاق.

٢ - الإيمان ٨٦، ٣ - الحج ٢٢، ٤٦.

٣ - الإيمان ٨٦، ٣.

٤ - فضلت ٤١، ٣٤.

البشرية قطعياً، ممّا لا يحتمل تغييراً أو تعديلاً في سيره، نظير ما وصل إليه العلم من دورة المياه في الطبيعة، والجاذبية العائمة، ودرجات ضغوط الأجسام وما شابه.

فإن بقاء الآية على إبهامها أولى من محاولة تطبيقها على نظريّة علميّة غير بالغة مبلغ التطعية والكمال، وربما كانت تحميلاً على الآية وتمحلاً باهتاً، إن لم يكن قولاً على الله بغير علم.

هل القرآن مشتمل على جميع العلوم؟!

قلنا: إن الإشارات العلميّة التي جاءت في القرآن الكريم إنّما كانت رشحات فاضت من عرض بيانه الحكيم، لأنها صدرت من منبع علم مكين «قُلْ أَنْزَلَهُ أَنْذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..». ولم تكن مقصودة بالذات، ولا جاء القرآن لإفادة بيانها إفادة بالذات، ذلك لأن القرآن كتاب هداية وإرشاد إلى معالم الأخلاق الكريمة، وليس كتاباً علمياً ولا جاء لكشف أسرار الطبيعة في شيء.

غير أن هناك أوهاماً حيكت حول قضية الإعجاز العلمي للقرآن، فيما زعم البعض أن في القرآن بيان كل شيء، تجاوزاً عن حدود أحكام الشريعة، إلى سائر العلوم الطبيعيّة وغيرها ممّا عرفه البشر أو لم يعرفه بعد، فإنها كلّها موجودة في القرآن، إمّا صريحةً أو بإشارات رمزيّة يعرفها الراسخون في العلم، حيث لا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.. مراد به القرآن الكريم، حسبما زعم.

وذلك استناداً إلى قوله تعالى: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^١ وقوله: «وَوَرَّأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^٢.

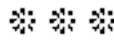
وإلى حديث عبدالله بن مسعود: من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين. قال البيهقي: يعني أصول العلم.^٣

١ - الفرقان ٢٨، ٢٩.

٢ - النحل ٨٩، ٩٠.

٣ - الإفتان تسيوطي، نوع ٦٥ في العلوم المستنبطة من القرآن، ج ٤، ص ٢٤.

وفي لفظ آخر: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن.^١
و نقل السيوطي عن أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤) أنه قال يوماً: ما شيء في العالم إلا
وهو في كتاب الله. فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال: في قوله تعالى: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ»^٢ فهي الخانات.
وقال بعضهم: ما من شيء إلا يمكن استخراجُه من القرآن لمن فهمه الله، حتى أن
بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين سنة من قوله تعالى في سورة المنافقين - وهي
السورة ٦٣ حسب الترتيب الموجود - : «وَلَنْ يُوَفَّى اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا»^٣ فإنها رأس
ثلاث وستين سورة. وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده.
و روي عن ابن عباس قوله: لو ضاع لي عقابٌ بعيرٌ لوجدته في كتاب الله.^٤



قال ابن أبي الفضل المرسي^٥ في تفسيره: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين،
بحيث لم يحط بها علماً حقيقياً إلا المشكلم بها وهو الله تعالى، ثم رسول الله ﷺ، خلا ما
استأثر الله به سبحانه وتعالى. ثم ورت ذلك عنه معظم الصحابة وأعلامهم كالخلفاء الأربعة
وابن عباس، حتى قال: لو ضاع لي عقابٌ بعيرٌ لوجدته في كتاب الله تعالى. ثم ورت عنهم
التابعون، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما
حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فتوَعوا علومه، وقامت كل طائفة بفسن
من فنونه، فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته وتعدادها وإلى أمثال ذلك، من غير
تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني، والمفسرون
بالمناظرة، والأصوليون بما فيه من الأدلة، وتأمل طائفة معاني خطابه، وأحكمت طائفة

١ - إحياء علوم الدين للغزالي باب ٤، كتاب آداب تلاوة القرآن، ج ١، ص ٢٩٦.

٢ - انوار، ٤٤: ٢٩. ٣ - المتفقون، ٦٣: ١١.

٤ - الإفتان، ج ٤، ص ٦٥-٦٦.

٥ - هو محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي (ت ٧٥٥) كان إماماً في القرامطة واتقوا منه في التفسير
والتحديث والأدب تصانيف. معجم الأدباء، ج ٥، ص ٣٤٩، رقم ٨٧٥.

صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، وتلمّحت طائفة ما فيه من قصص وأخبار لأمم خاليت، وتنبه آخرون لما فيه من حكم وأمنال ومواعظ... وإلى أمثال ذلك من إشارات ولطائف ودلالات.

قال: وقد احتوى القرآن على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وسائر الحرف والصناعات.

قال: أمّا الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكميات المتضادة، وقد جُمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: «وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»^١ وعرفنا فيه بما يعيد نظام الصحة بعد اختلاله، وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى: «شَرَابٌ مَّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ»^٢ ثم زاد على طب الأجسام طب القلوب وشفاء الصدور.

وأما الهيئة ففني تضاعيف سورته، من الآيات التي ذكرت ملكوت السموات والأرض، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات.

وأما الهندسة ففني قوله: «انظروا إلى ظل ذي ثلاث شعب»^٣.

وأما الجبر والمقابلة فقد قيل: إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أُمم سالفة، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا، وما مضى وما بقي، مضروب بعضها في بعض.

وأما النجامة ففني قوله: «أو أثاره من علم»^٤.

وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو للضرورة إليها، كالخياطة في قوله: «وَطَفِيقًا يَخِصِفَانِ»^٥، والحدادة: «آتوني زُبُرَ الْحَدِيدِ»^٦ «وَأَلْتَأْتُهُ الْحَدِيدَ»^٧، والبناء في آيات،

١ - الفرقان ٥٥، ٥٦.

٢ - الأحقاف ٤٦، ٤٧.

٣ - التكوي ١٨، ١٩.

٤ - الفرقان ٥٥، ٥٦.

٥ - الأعراف ٧، ٨.

٦ - الحديد ١٠، ١١.

٧ - سبأ ٣٤، ٣٥.

والنجارة: «وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا»،^١ والغزل: «تَقَضَّتْ عَرُّهَا»،^٢ والنسج: «كَمَكَلَ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا»،^٣ والفلاحة: «أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ»،^٤ والصيد في آيات، والغوص: «كُلُّ بِنَاءٍ وَعُجُوصٍ»،^٥ «وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ جَنِيَّةً»،^٦ والصبغة: «وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ تَعْدِيهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا»،^٧ والزجاجة: «صَرَخَ مُرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ»،^٨ «الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ»،^٩ والنخارة: «فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى النَّطِينِ»،^{١٠} والملاحة: «أَمَّا السَّفِينَةُ...»،^{١١} والكتابة: «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ»،^{١٢} والخبز: «أَحْمِلْ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا»،^{١٣} والطبخ: «بِعِجْلِ حَنِيدٍ»،^{١٤} والقصارة: «وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ»،^{١٥} والجزارة: «إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ»،^{١٦} والبيع والشراء في آيات، والصنع: «صَبَّغَةَ اللَّهُ»،^{١٧} «جَدَّدَ بَيْضَ وَحْمَرٍ»،^{١٨} والحجارة: «وَتَذَحِّتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْتًا»،^{١٩} والكيالة والوزن في آيات، والرمي: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ»^{٢٠} «وَأَعِيدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ»^{٢١}.

قال: وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويتبع في الكائنات ما يحقق معنى قوله: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^{٢٢}.

وقال أبو بكر المعافري المعروف بابن العربي الإشبيلي (ت ٥٤٤) في كتاب قانون التأويل: إن علوم القرآن (٧٧٤٥٠) علماً، على عدد كلم القرآن، مضروبة في أربعة، إذ لكل كلمة - كما قال بعض السلف - ظهر وبطن وحد ومطلع. وهذا مطلق دون اعتبار تركيب

- | | |
|------------------------|---|
| ١ - هود: ١١، ٣٧. | ٢ - النحل: ١٦، ٩٤. |
| ٣ - العنكبوت: ٢٩، ٤١. | ٤ - الواقعة: ٤٦، ٥٣. |
| ٥ - م: ٣٨، ٤٧. | ٦ - النحل: ١٦، ١٤. |
| ٧ - الأعراف: ٧، ١٤٨. | ٨ - النحل: ٢٧، ٤٤. |
| ٩ - النور: ٢٤، ٣٥. | ١٠ - القصص: ٢٨، ٣٨. |
| ١١ - التكوير: ١٨، ٧٩. | ١٢ - العلق: ٩٦، ٤. |
| ١٣ - يوسف: ١٢، ٣٦. | ١٤ - هود: ١١، ٦٩. |
| ١٥ - المدثر: ٧٤، ٤. | ١٦ - الصافات: ٥، ٣. |
| ١٧ - البقرة: ٢، ١٣٨. | ١٨ - قاطر: ٣٥، ٢٧. |
| ١٩ - الشعراء: ٢٦، ١٤٩. | ٢٠ - الأنفال: ٨، ١٧. |
| ٢١ - الأنفال: ٨، ٦٠. | ٢٢ - الأنعام: ٦، ٣٨. راجع: الإيفان، ج ٤، ص ٢٦-٣١. |

وما بينها من روابط. وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل^١.

وقد ذكر السيوطي أن عدد كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) أو (٧٧٤٣٧) أو (٧٧٢٧٧)

وغير ذلك.^٢

ويقول الإمام بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤): وفي القرآن علوم

الأولين والآخرين، وما من شيء إلا ويمكن استخراج منه لمن فهمه الله تعالى، حتى أن

بعضهم استنبط عمر النبي ﷺ ثلاثاً وستين من قوله تعالى: «وَلَنْ يُّؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ

أَجَلُهَا»^٣. فإنها رأس ثلاث وستين سورة. وعقبها بالثغابن ليظهر الثغابن في فتنده.

وقوله تعالى - مخبراً عن عيسى عليه السلام: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ - إِلَى قَوْلِهِ: -

أُبْعَثُ حَيًّا»^٤. ثلاث وثلاثون كلمة. وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

وقد استنبط الناس زلزلة عام اثنين وسبعمئة^٥ من قوله: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ»^٦ فإن

الألف باتين والمذال بسبعمئة.

وكذلك استنبط بعض أئمة العرب فتح بيت المقدس وتخليصه من أيدي العدو في

أول سورة الروم بحساب الجمل، وتعتبر ذلك اليوم ردي

ويذكر قبل ذلك أحاديث وأقوال في حاجة المفسر إلى الفهم والتبحر في العلوم،

ويورد حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية ظهر وبطن». وقول ابن مسعود:

١ - نقل الزركشي في البرهان، ج ١، ص ١٦٦-١٧٧، وراجع: الإتيان، ج ٤، ص ٤٢. وزاد بعض من تأخر: إن في قوته تعالى:

«فَوَيْحٌ لِّكُم مَّا لَا تَعْلَمُونَ»، (النحل ١٦: ٨) إشارة إلى صنع انقطار واتسيارة وانطائرة وغير ذلك من أنواع التصانعات

التحديثة. كما أن في قوته «رفع الدرجات» (غافر ٤٠: ١٥) إشارة إلى درجات الدائرة لأن «رفع» بحساب الجمل ٣٦٠

عددًا، راجع: راهنة علم ودين لسرافرازي، ١٦٦-١٧٧، ج ١، ص ١٩٧.

٢ - التصانفون ٢٣، ١١، ٤ - برهم ١٩، ٣٠، ٣٣.

٥ - وصفها ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ٢٠٧ بقوله: وفيها كان بمصر واقامة زلزلة عظيمة أخرجت عدة

منازل ومبانٍ كثيرة من التجموع والنبوت، حتى أقام الأمراء والسياسه الأوقاف مدة طويلة يرمون ويجددون ما تشمت

فيها من الصداس والتجموع حتى منارة الإسكندرية، راجع: البرهان، ج ٢، ص ١٨٢.

٦ - الزلزلة ٩٩: ١، ٧ - البرهان، ج ٢، ص ١٨١-١٨٢.

من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن أي لينثر ويفكر في معانيه.^١

ولجلال الدين السيوطي (ت ٩١١) أيضاً رأي يشبه رأي الزركشي في اشتغال القرآن على أنواع العلوم، لكنه يخص المعارف وأصول التشريع، ولعله منقول.^٢

ولأبي حامد الغزالي (ت ٥٢٠) رأي خاص باشتغال القرآن على ما يبعث على اكتساب المعالي، حيث فيه الإشارة إلى كثير من عوالم الطبيعة وأسرارها، مما لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً إلا بعد معرفة جملة من العلوم الطبيعية، الأمر الذي أدّى بالمسلمين إلى تحصيل أكثر المعارف والعلوم في هذا السبيل. وإليك من كلام الغزالي:

قال: العلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته. وهذه العلوم لانهاية لها. وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن. ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدركها. قال رسول الله ﷺ: اقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه. وقال علي كرم الله وجهه: من فهم القرآن فسّر به جمل العلم. أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها.

وبعد أن ذكر أحاديث أخر قال: فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه.^٣

هذا ما يتوله في كتاب الإحياء، ويزيده وضوحاً في كتاب جواهر القرآن، فنجده يعقد الفصل الخامس منه لكيفية اشغاب علوم الطبيعة والرياضة والطب وغيرها من القرآن، فيذكر علم الطب والنجوم وهيأة العالم، وهيأة بدن الحيوان وتشريح أعضائه،

١ - المصدر، ص ١٥٣ - ١٥٦.

٢ - الإيقان، ج ٥، ص ٣٣ - ٣٥.

٣ - إحياء علوم الدين، آداب التواضع، ج ١، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

وعلم السحر والطلسمات... وغير ذلك.

ثم يقول: ووراء ما عددته علوم أخرى، يعلم تراجمها، ولا يخلو العالم عن معرفتها. وظهر لنا بالبعيرة الواضحة التي لا يتمارى فيها أن في الإمكان والقوة أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج إلى الوجود.

ثم يقول: ثم هذه العلوم ليست وأئلهما خارجة من القرآن، فإن جميعها معترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله، وهو بحر الأفعال الذي لا ينفد، فمن أفعال الله تعالى مثلاً الشفاء والمرض، كما قال - حكاية عن إبراهيم -: «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»^١ وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه.

ومن أفعاله تعالى تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان. قال تعالى: «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ»^٢ وقال: «وَقَدَرْنَا مَنَازِلَ نَتَلَمَّعُوا بِهَا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ»^٣ وقال: «وَحَسِيفَ الْقَمَرِ. وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ»^٤ وقال: «...يُوجِ الْمَلِئِ فِي النَّهَارِ وَيُوجِ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ»^٥ وقال: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمَا نَسْتَقِرُّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»^٦ ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان، وحسوفهما، وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر، إلا من عرف هيات تركيب السماوات والأرض، وهو علم برأسه ولا يعرف كمال معنى قوله: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ»^٧ إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً، وعددها وأنواعها، وحكمها ومنافعها. وقد أشار في القرآن في مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

وكذلك لا يعرف معنى قوله: «سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^٨ ما لم يعلم التسوية،

١ - ترجمان ٥٥: ٥.

٢ - القياس ٨: ٧٥.

٣ - يس ٣٦: ٤٨.

٤ - الحجر ١٥: ٢٩.

٥ - الشعراء ٢٦: ٨٠.

٦ - يونس ١٠: ٥.

٧ - الحج ٢٢: ٦١.

٨ - الانشقاق ٨٢: ٦-٨.

والنفخ والروح ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، وربما لا يفهمونها إن سمعوها من العالم بها.

قال: ولو ذهبنا أفتتل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال، ولا يمكن الإشارة إلا إلى مجامعها. فتفكر في القرآن، والتمس غرائبها، لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين.

هذا كلامه الظاهر في اشتمال القرآن على دقائق ولطائف لا يمكن الوقوف على حقيقتها إلا بعد الحصول على علوم مرتبطة ومعارف متناسبة مع الذي جاء في القرآن. وهو كلام صحيح، حيث إحدى الوسائل لمعرفة معاني كلام الله تعالى، هي العلوم والمعارف البشرية العالية.

وهناك فرق بين الانبعاث نحو العلوم والمعارف، وبين الانتشاء واستخراج العلوم منه. فإن الصحيح هو الأول دون الأخير الذي ذهب إليه أمثال المرسي.

ولأبي إسحاق الشاطبي - الفقيه الأصولي - (ت ٧٩٠) رأي معارض، ينكر على القائلين باشتمال القرآن على أنواع العلوم من غير الشرعية، وحتى الإشارة إليها سوى ما كانت العرب تعرفه من علوم متعارفة، كعلم الأنواء وبعض التواريخ وما أشبه مما كان متداولاً لدى العرب وأشار إليه القرآن في عرض كلامه.

قال: إن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس، وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق، واتصاف بمحاسن الشيم، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه، وأبطلت ما هو باطل، وبيئت منافع ما ينفع من ذلك، ومضار ما يضر منه. ثم ذكر من العلوم الصحيحة التي اعتنت العرب بها علم النجوم وما يختص به من الاهتداء في البر والبحر، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها، وما يتعلق بهذا المعنى.

ثم قال: وهو معنى متكرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ^١ وقوله: «وَبِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ»^٢ وقوله: «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»^٣ وقوله: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ»^٤ وقوله: «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَخَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً»^٥ وقوله: «وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الذُّبَابًا يَمْصَابِيحُ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ»^٦ وقوله: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ»^٧ وما أشبه ذلك من الآيات.

وذكر علم الأنواء، وأوقات نزول المطر، وإنشاء السحاب، وهبوب الرياح المشيرة لها، وعرض لما ورد في ذلك من القرآن، مثل قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ»^٨ وقوله: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ»^٩ وقوله: «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا»^{١٠} وغير ذلك من الآيات.

وذكر علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية - وفي القرآن منه كثير - قال تعالى: «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»،^{١١} وقال: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَدْرِيهِمْ إِذْ يُنْفِقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْجِمًا»^{١٢}.

وذكر علم الطب - وكان للعرب منه شيء مبنئ على التجارب - وجاء منه في القرآن وجه جامع شافٍ، قليل يستفاد منه الكثير، قال تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^{١٣}.

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| ١ - الأندام: ٦، ٩٧. | ٢ - النحل: ١٦، ١٧. |
| ٣ - يس: ٣٦، ٣٩-٤٠. | ٤ - يونس: ١٠، ٥. |
| ٥ - الإسراء: ١٧، ١٢. | ٦ - الصافات: ٦٧، ٥. |
| ٧ - البقرة: ٤، ١٨٩. | ٨ - الرعد: ١٣، ١٦، ١٣. |
| ٩ - الواقعة: ٥٦، ٦٨، ٦٩. | ١٠ - فاطر: ٥، ٩. |
| ١١ - هود: ١١، ٤٩. | ١٢ - آل عمران: ٣، ٤٤. |
| ١٣ - الأعراف: ٧، ٣١. | |

وذكر النفس في فنون البلاغة والخوض في وجوه النصيحة والتصرف في أساليب الكلام، وكان من أعظم منتحللات العرب، فجاءهم بما أعجزهم في القرآن، قال تعالى: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»^١.

وذكر ضرب الأمثال واستشهد بقوله تعالى: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ»^٢.

ثم بعد هذا البيان ذكر أن القرآن إنما تعرض لما ألفته العرب من العلوم الصحيحة، وأهمل ما كان باطلاً، كالكهانة والزجر وخط الرمل والطيرة والعيافة ونحوها. أمّا وزيادة على ذلك فلم يتعرض لها القرآن، والقول بذلك تجاوز عن الحد، قال: إن كثيراً من الناس تجاوزوا الحد في الدعوى على القرآن، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف وأشباهها. وهذا إذا عرضناه على ما ذكرناه لم يصح.

قال: وربما استندوا في دعواهم إلى قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^٣ وقوله: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^٤ ونحو ذلك.

قال: أمّا الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبّد. أو المراد بالكتاب في الآية الثانية اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم العقلية والعقلية.^٥



قلت: ولعلّ وهن مستند ذلك الزعم ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

أمّا الآيات الكريمة التي استندوا إليها فهي على نمطين:

١ - الإسراء: ١٧، ٨٨.

٢ - الأندلس: ٦، ٣٨.

٣ - الإسراء: ١٧، ٨٨.

٤ - الأندلس: ٦، ٣٨.

٥ - اتصافات نشاطي، ج ٢، ص ٦٩-٨٢. (راجع: التفسير والمفسرون للذهبي، ج ٢، ص ٤٨٥-٤٩٠).

الأول: ما كان المقصود من الكتاب المذكور فيها هو القرآن، غير أن المقصود: تبيان كل أمر يمسّ شؤون الدين وأحكام الشريعة الغراء.

إذ قوله تعالى: «وَوَزَّأْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ»^١ يعني: تبياناً لكل شيء يمسّ أمر الشريعة. قال الطبرسي: ومعناه: لبيّن كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع. فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب، إما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه أو إجماع الأئمة. فيكون حكم الجميع في الحاصل مستناداً من القرآن.^٢

فالحاصل: أن أصول المعارف ومباني أحكام الشريعة كلها مذكورة في القرآن، هذا لاشك فيه، ولا بد أن يكون كذلك، لا أكثر ولا أقل.

وذلك، لأن القائل - الذي تعهد هذا البيان - هو الشارع فلا بد أن يكون ممثلاً يمسّ جانب الشرع لا غير.. والروايات بهذا الشأن كثيرة.^٣

وهذا نظير ما إذا تعهد طبيب حاذق بأنه كتب رسالة جمع فيها ما يحتاج إليه الناس وأطلق الكلام، فإن المنصرف من كلامه بهذا والمستفاد منه ليس سوى الأمور المراجعة إلى الصحة والمرض والأدوية والأدواء لا غير، لأنه هو المستفاد المنصرف إليه كلام مثل الطبيب.. وهكذا الفقيه البارع وغيره من ذوي الاختصاص إنما تعود تعهداتهم إلى جانب تخصصاتهم، ولا يتعدّها في شيء.

وكذا قوله: «مَا فَزَّأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^٤ لو كان المراد هو القرآن، أمّا لو كان المقصود هو الملوّح المحفوظ - كما قيل - فشأنه خارج عن مورد البحث.^٥

والنمط الثاني من الآيات: ما كان المقصود من الكتاب المذكور فيها هو الملوّح المحفوظ، كهذه الآية على قول، وكقوله تعالى: «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^٦

١ - التلخ: ١٦، ٨٩.

٢ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٨٠.

٣ - راجع: التمهيد في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٣٥٠.

٤ - الأنعام: ٦، ٢٨.

٥ - مجمع البيان للطبرسي، ج ٤، ص ٢٩٨.

٦ - الأنعام: ٦، ٥٩.

فإن المراد به هو الملوغ المحفوظ، وهو كناية عن علمه تعالى الأزلي.

وأما حديث عبدالله بن مسعود: «من أراد علم الأولين والآخريين فليتدبر القرآن» فقد أراد علم الشرائع ومكارم الأخلاق، لأن ذلك هو ممكن الاستفادة من القرآن لمن أرادها.

نعم، كان استدلال أبي حامد الغزالي معقولاً؛ إن العلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لانهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها...

إنه يعني أن ما يبدو في هذا الوجود من علوم وفنون ومعارف فإنها تجليات لصفاته تعالى، وبما أن القرآن مهبط ظهور هذه التجليات فلا بد أن تتجلى من خلال كلماته وجملته وعبارته ما يشي بمبادئ تلك الظهورات. وإن كانت في صورة رشحات وخطفات عابرة. لأنها صادرة من ذلك البحر الخضم المتلاطم.

فالذي نقول به ونعتقد، هو: أن قطيعات العلوم والمعارف البشرية تجعل باستطاعتنا القدرة على فهم معاني القرآن، وأن في القرآن إشارات عابرة إلى أسرار الوجود، لا يمكن فهم حقيقتها إلا بعد معرفة جملة من العلوم والوقوف على كثير من أسرار الطبيعة الكامنة التي كشفها العلم وسيكشفيها على استمرار، وهي خير وسيلة نافعة للحصول على فهم كتاب الله وكشف رموزها وإشاراتها الخافية.

نعم، ليست هذه الوسيلة - مهما كانت قطيعة الآن - بحاسمة، مادام العلم في طريقه إلى التكامل ولم يبلغ الغاية، وإنما هو مجرد احتمال مبني على العلم الحاضر، هذا فحسب.

هل وقع التحدي بالجانب العلمي؟

هل وقع التحدي بجانب إعجاز القرآن العلمي كما وقع بجانب الإعجاز البياني من فصاحة وبيان ونظم وأسلوب؟

لاشك أن الإعجاز قائم - في الجملة - بهذا الجانب كسائر الجوانب، أما التحدي فقد

يقال باختصاصه بجانب البيان فحسب، إذ لم تكن إشارات القرآن العلمية معروفة عند نزوله لأحد من الناس، وإنما أثبتها العلم بعد ذلك بعدة قرون أو سببها عبر الأيام. فإن كان ذلك دليلاً على إعجازه في مجال قادم فإنه ليس دليلاً على وقوع التحدي به في أول يومه.

هكذا يقول الدكتور أحمد أبو حجر: إن آيات التحدي إنما تُسجل عجز العرب الأوائل عن معارضة القرآن، وبما أنهم عجزوا وتبت عجزهم - وهم سادة البيان وأرباب الفصاحة - فالعرب اليوم أولى بالعجز. وبذلك قامت الحجّة بهذا الكتاب العزيز^١.

قال ابن عطية: قامت الحجّة على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنّة المعارضة، كما قامت الحجّة في معجزة موسى بالسحرة، وفي معجزة عيسى بالأطباء.^٢

ويقول الدكتور صبحي صالح: ولا ريب أن العرب المعاصرين للقرآن قد سحروا قبل كل شيء بأسلوبه الذي حاولوا أن يعارضوه فيما استطاعوا، حتى إذا فهموه أدركوا جماله ومن قلوبهم بتأثيره... وهذا ما نجدّه عنصراً مستقلاً بنفسه كافياً لإثبات فكرة الإعجاز وخلود القرآن، بأسلوبه الذي يعلو ولا يعلى. أمّا ما يتساقق مع هذا العنصر الجمالي الفني الرائع من الأغراض الدينية والعلمية - التي توسّع فيها بعضهم^٣ - كاشتمال القرآن على العلوم الدينية والتشريعية، وتحقيقه مسائل كانت مجهولة للبشر، وعجز الزمان عن إبطال شيء منه، فهي أمور لا سبيل إلى إنكارها، بل يقوم عليها من الأدلة والبراهين ما لا يحصى. غير أنها أدخلت في معاني الفلسفة القرآنية منها في بلاغة القرآن، وليست هي مادة التحدي لفصحاء العرب، وإنما تحدى القرآن العرب بأن يأتوا بمثل أسلوبه، وأن يعبروا بمثل تعبيره، وأن يبلغوا ذروته التي لا تُسامى في التصوير. فما إعجاز هذا الكتاب الكريم إلا سحره، ولقد فعل سحره هذا فعلة في القلوب في أوائل الوحي، قبل أن تنزل آياته

١ - التفسيراتلحي للقرآن في التبريز، ص ١٣٦. ٢ - مقدمتان في علوم القرآن، ص ٤٧٩.

٣ - انظر: تفسير المنار، ج ١، ص ٢١٠ - ٢١٢، توجه التامع من وجوه الإعجاز التي ذكرها بمثنى الاختصار والإيجاز.

وقد جرى على هذا الزرقاني في مناهل العرفان، ج ٢، ص ٣٤٣-٣٦٦.

التشريعية ونبوءاته الغيبية ونظراته الكونية الكبرى إلى الكون والحياة والإنسان^١ ويسترسل أبو حنيفة في كلامه: إذا كنا لانجد تناقضاً بين الآيات الكونية المذكورة في القرآن وبين ما يكتشفه العلم في حاضره ومستقبله - بل نجد توافقاً وانسجاماً - فليس ذلك دليلاً على إعجازه المرتبط بالتحدي، بل هو دليل على أنه منزل من عند الله تعالى. وليس كل ما نزل من عند الله معجزاً، فالإنجيل والتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية نزلت من عند الله، ولم توصف بالإعجاز كما وصف القرآن، ولم يقع بها التحدي كما وقع بالقرآن!

وأيضاً فإن الآيات الكونية التنزيلية لا تشمل سور القرآن كلها ولا آياته جميعها، وإنما تقع فقط في بعض السور وفي بعض الآيات. ومعلوم أن التحدي وقع بأية سورة من سور القرآن، فكل سورة من سورها فيها إعجاز لا يبلغه أحد ولن يصل إليه أحد.

قال: فلو كان القرآن معجزاً بسبب الإشارات العلمية المتفرقة في تنايا بعض آياته لكان كثير من السور التي تخلو من مثل هذه الإشارات بعيدة عن الإعجاز، ولم يقل بذلك أحد، لأن قليل القرآن وكثيره معجز. وإذا ثبت أن قليل القرآن وكثيره معجز ثبت أن ما في القرآن من حقائق الأخبار ودقائق الشرائع وعجائب الأسرار - التي لم يعرفها البشر إلا بعد القرون المتطاولة - كل ذلك بمعزل عن الذي طوّل به العرب أن يعارضوه، بما حملهم على الاعتراف بأنه كلام رب العالمين^٢.

وأضاف: أن هذا الوجه من الإعجاز - على القول به - لن يوفق إلى فهمه والإحاطة به إلا من كان من أهل العلم الذي يدرك هذه الحقائق ويعيها ويؤمن بصدقها، فإن لم يكن من أولئك حجبت عنه هذا الوجه.

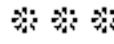
وأخيراً، فإن في هذا الوجه منزلقاً خطيراً، إذ أن بعض من يدعي العلم قد يحمل آيات من القرآن في هذا السبيل ما لا تحتمل، وقد ينسبون إلى العلم ما هو منه براء، رغبة في

٢ - انظر: انظاراً قرآنية، تقديم محمود شاكر، ص ٢٤.

١ - مباحث في علوم القرآن، ص ٣٢٠-٣٢١.

إثبات إعجاز جديد للقرآن الكريم.^١

قال: هذه هي وجهة نظر القائلين بأن اشتمال القرآن على الحقائق العلمية لا يعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن، وإن كان يدلّ على أنه منزل من عند الله.^٢



على أنهم قد يتعجبون آراء الفريق الأول (القائل باستمرار التحدي والإعجاز الشامل) بالنقد، فيعلقون على قولهم: «إن هذا النوع من المعارف التي جاءت في سياق بيان آيات الله وحكمه كانت مجهولة للعرب أو لجميع البشر في الغالب. حتى أن المسلمين أنفسهم كانوا يتأولونها ويخرجونها عن ظواهرها لتوافق المعروف عندهم في كل عصر من ظواهر وتقاليد أو من نظريات العلوم والفنون الباطنة...»^٣ يعلقون على هذا القول، بأن المسلمين الذين لم يعرفوا أن قرآنهم جاء مؤيداً لحقائق العلوم - التي لم يوفق إليها العلماء إلا بعد أربعة عشر قرناً - قد حسّن إيمانهم بالقرآن، وجسّن انتفاعهم بأحكامه وآياته، فنشروا نوره وقاموا دولته ونشدوا وأمره والتهوا بنواحيه وتأدّبوا بآدابه. في حين أن الذين يعرضون الآن علمهم وذكاءهم وقدرتهم على استنباط ما يتفق من آيات القرآن مع العلم الحديث هم أقلّ الأجيال المسلمة تأثراً بهذا القرآن في شؤون دينهم ودنياهم.^٤

وهكذا قال ابن سرافقة: بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والتقسمة وما إلى ذلك، ليعلم بذلك أهل الحساب أنه ﷺ صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده، إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة...^٥



يبدو أن الذي دعا بالقائل بعدم الشمول واقتصار التحدي على العرب الأوائل وفي جانب بيانه فقط هي نظرته الفاصرة على آيات وقع التحدي فيها موجّهاً إلى العرب

١ - انظر: الإسلام والإيمان الصالح فتححي وشؤون المسلمين (قرآن)، ٤٠٦ - ٤٠٧.

٢ - التفسير العلمي للقرآن، ص ١٣٠ - ١٣٤.

٣ - راجع: تفسير انصار، ج ١، ص ٢١٢.

٤ - التفسير العلمي للقرآن، ص ١٣٤ - ١٣٥.

٥ - الإيمان المسيوحي، ج ٤، ص ٣٦.

بالمذات. ولا شك أن تحدياً موجّهاً إلى العرب يومذاك لا يعني سوى جانب البيان الذي فاق أساليب العرب وأعجزهم عن أن يأتوا بمثله.

غير أن تحدي القرآن لم يقتصر على فترة من الزمان ولا على أمة من الناس دون من سواهم. فنراه وجه نداءه الصارخ إلى البشرية جمعاء في طول الزمان وعرضه، ولكل الأجيال ومختلف الأقوام، وما شأنه ذلك لا يعقل اقتضاره على جانب الفصاحة والبيان، إذ ليس كل الناس عرباً ولا كل العرب فصحاء. فلا بد أن في القرآن شيئاً هو الذي تحدي به تحدياً على وجه العموم، ومن تمّ كان بمجموع الكتاب، لا بسورة واحدة أو آية أو آيات بالمذات.

قال تعالى: «قُلْ نَبِيٌّ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِيُ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا عِبْلَ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ عِبْلَهُ وَتَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ نَبْعُضٍ ظَهِيْرًا»^١

فهذا تحد عام وقع موجّهاً إلى كافة الأيام، سواء من عاصر نزول القرآن أو سائر الأيام.



مركز تحقيقات كليات علوم رمدى

وبعد، فإليك بعض ما وصلت إليه أفهام البشرية حسب ما وصلت إليه من العلوم الطبيعية المقطوع بها تقريباً، وكان ذلك دليلاً على معجزة القرآن المخارفة للعادة، في يوم كان سرّ هذه العلوم والآراء النظرية، مكتوماً على البشرية يومذاك، وأصبح اليوم مكشوفاً، وسيكتشف حسب مرّ الأيام.

١ - ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن الإعجاز العلمي -حاصل بمجموع القرآن، وهو إعجاز حاصل من القرآن، وغير واقع به التحدي إلا إشارة. التفسير العلمي، ص ١٣٣، هامش رقم ١.

٢ - الإسراء ١٧: ٨٨.

الماء أصل الحياة

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»^١

قال رسول الله ﷺ: كلُّ شيءٍ خُلِقَ من الماء.^٢

تدلُّنا النصوص الشرعية الصادرة عن منابع الوحي على أنَّ الماء هو أوَّل ما خلق الله من الجسمانيات، فقد روى الصدوق في كتاب التوحيد بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي (تابعي ثقة صدوق، ت ١٢٨) أنَّ رجلاً من علماء أهل الشام جاء إلى أبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وقدم إليه أسئلة زعم أنَّه قدَّمها إلى سائر أحناف الناس فاختلفوا ولم يتبين وجه الصواب، فمن ذلك سؤاله عن بدء الخلق، فكان فيما أجابه الإمام عليه السلام قوله: فأوَّل شيءٍ خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء.^٣

وهكذا رواه ثقة الإسلام الكليني في روضة الكافي، قال عليه السلام: وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كلِّ شيءٍ إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه.^٤

١ - الأنبياء ٤٦، ٣٠.

٢ - بحار الأنوار، كتاب التسماء والنعائم، ج ٥٤، ص ٢٠٨، حديث ١٧٠، وراجع: اندرناصنور، ج ٥، ص ٤١٧.

٣ - بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٦٧، حديث ٤٤، عن كتاب التوحيد، ص ٦٧، حديث ٢٠، باب التوحيد.

٤ - الكافي، ج ٨، ص ٩٤، حديث ٦٨، والبحار، ج ٥٦، ص ٩٦-٩٧، حديث ٨١.

وأيضاً بإسناده عن محمد بن مسلم (الثقة الجليل) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: كان كلُّ شيء ماءً، وكان عرشه على الماء.^١

وفي قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^٢ دلالة على أن الماء وُجد قبل أن توجد عوالم الكون من سماء وأرض، لأن العرش كناية عن عرش التدبير، وهو علمه تعالى بمصالح الوجود على الإطلاق. فإذا لم يكن سوى الماء فإن عرشه تعالى لم يكن مستويّاً على شيء، سوى الماء. فالآية كناية عن أنه تعالى كان ولم يكن معه شيء، سوى أنه خلق الماء قبل أن يخلق سائر الموجودات.

وفي القرآن الكريم أيضاً مواضع تشير إلى أن أصل الحياة من الماء، في نشأتها وتكوينها وظهورها في عالم الوجود قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»^٣ وقال: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ»^٤. وقال في خصوص الإنسان بالذات: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا»^٥.

مركز تحقيقات كميتر علوم راسدي

اختلف أهل التفسير في المراد من هذا الماء الذي هو نشأة الحياة.

قال الإمام الرازي: ذكروا في هذا الماء قولين: (أحدهما) أنه الماء الذي خلق منه أصول الحيوان، وهو الذي عناه بقوله: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ». (والثاني) أن المراد النطفة، لقوله: «خَلَقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقًا»^٦. «مِنْ مَاءٍ مَهِينًا»^٧.

وقال - في قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ»: في ذلك وجوه: (الأول) وهو

١ - التذافي ج ٨، ص ٩٤، حديث ٦٨، وص ١٥٣، حديث ١٤٦، والبحار ج ٥٤، ص ٩٨، حديث ٨٢.

٢ - مود ١١: ٧.

٣ - الأنبياء ٣٦: ٣٠.

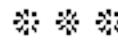
٤ - انور ٥٤: ٥٤.

٥ - الفرقان ٢٥: ٥٤.

٦ - انطارق ٨٦: ٦٨.

٧ - انصراوات ٧٧: ٢٠، راجع: التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٠١.

أحسنها - ما قاله القرآن: إِنَّ قَوْلَهُ «مِنْ مَاءٍ» صِلَةٌ «كُلُّ دَابَّةٍ»، وليس من صِلَةِ «خَلَقَ». والمعنى: أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ مَتَكَوِّنَةٌ مِنَ الْمَاءِ - أي متولدة من انعقاد النطفة - فهي مخلوقة لله تعالى. (الثاني) أَنَّ أَسْلَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَاءِ، لِأَنَّ الْمَاءَ هُوَ الْأَسْلَ الْأَوَّلَ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْمَاءَ. (الثالث) أَنَّهَا مَتَوَلَّدَةٌ مِنَ النُّطْفَةِ، وَأَنَّهَا لَا تَعِيشُ إِلَّا بِالْمَاءِ.^١



ولكنَّ المحققين من أهل التفسير لم يزالوا على القول بأنَّ المراد من هذا الماء هو الذي منه أصل جميع المخلوقات، فإنَّ من الماء نشأت الحياة وبذرت بذرتها الأولى، بشكل حيوان بسيط ذي خلية واحدة (الأميبا)^٢ وارتقت إلى حيوانات معقدة الأعضاء ذوات الخلايا العديدة، فوق الملايين. أمَّا كيف وجدت أول ما وجدت الحياة - في المياه: البحار والبحيرات والمستنقعات - فهذا مما لم يجد له العلم إجابة صحيحة صالحة للقبول على مسرح العلوم التجريبية المجردة.

ومن ثمَّ فإنَّ نظرية التطور في الحياة - على أنها وأشكالها - إنما تبتدئ من عصر ما بعد الخليقة، أمَّا عصر ما قبلها فمجهول، سوى أنه أمرٌ تحقق بإرادة الله المهيمن على مقدرات هذا الكون، الأمر الذي لا محيص عن الإذعان به مادام التسلسل باطلاً وكان التولد الذاتي مستحيلاً، وقد أبطله العلم على أساس التجربة أيضاً.

قال سيّدنا الأستاذ الطباطبائي رحمه الله - عند قوله تعالى: «وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ» -: والمراد أنَّ للماء دخلاً تاماً في وجود ذوي الحياة، كما قال «والله خلق كلَّ دابَّةٍ

١ - المصدر، ص ١٦.

٢ - قد بسط الأستاذ الطباطبائي الكلام حول هذا الحيوان (ذي الخلية الواحدة) في تفسيره: تجواهر (ج ١٢، ص ٦٢٥، ٦٢٦) عند قوله تعالى: «وَمِمَّا الَّذِي خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَرًا». انظران ٤٥، ٥٤. وتبيننا الأستاذ محمد تقي القاسمي أيضاً مقالاً تطييف حول مسألة الحياة، بحث فيه على ضوء الآراء الحديثة عن الحياة ونشأتها وتطورها، على أسلوبه التثبيقي. فراجع: تفسيره الآية الكريمة، ص ٣٩-٩٨.

من ماء». قال: وفي ظلّ البحوث العلميّة الحديثة ظهرت صلة الحياة بالماء، معجزة قرآنيّة خالدة.



قال سيّد قطب: وأما قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» فيقرّر حقيقة خطيرة يُعدّ العلماء كشفها وتقريرها أمراً عظيماً، ويمجدون «دارون» لاهتدائه إليها! وتقريره: أن الماء هو مهد الحياة الأول.

وهي حقيقة تثير الانتباه حتّى، وإن كان ورودها في القرآن الكريم لا يثير العجب في نفوسنا، ولا يزيدنا يقيناً بصدق هذا القرآن. فنحن نستمدّ الاعتقاد بصدقه المطلق، في كلّ ما يقرّره، من إيماننا بأنّه من عند الله، لا من موافقة النظريات أو الكشوف العلميّة له. وأقصى ما يقال هنا كذلك: إنّ نظرية الشّوء والارتقاء لدارون وجماعته لا تعارض مفهوم النصّ القرآني في هذه النقطة بالذات.

ومنذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً كان القرآن الكريم يوجّه أنظار الكفّار إلى عجائب صنع الله في الكون، ويستنكر أن يؤمنوا بها وهم يرونها مبثوثة في الوجود «أفلا يؤمنون؟» وكلّ ما حولهم في الكون يقود إلى الإيمان بالخالق المدبّر الحكيم.^٢

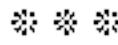
وقال أيضاً - عند قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» - وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرضها القرآن بهذه البساطة - حقيقة أن كلّ دابّة خلقت من ماء - قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعاً، وهو الماء. وقد تعني ما يحاول العلم الحديث أن يثبت من أن الحياة خرجت من البحر ونشأت أصلاً في الماء، ثمّ تنوعت الأنواع، وتفرّعت الأجناس.

ولكننا نحن على طريقتنا في عدم تعليق الحقائق القرآنيّة الثابتة، على النظريات العلميّة القابلة للتعدّل والتبدّل. لانّ زيد على هذه الإشارة شيئاً، مكتفين بإثبات الحقيقة القرآنيّة، وهي أن الله خلق الأحياء كلّها من الماء، فهي ذات أصل واحد. ثمّ هي - كما ترى

٢ - في ظلال القرآن، المجلد ٥، ص ٥٣٦.

١ - التمهيد، ج ١٤، ص ٣٠٥.

العين - متنوعه الأشكال، منها الزواحف تمشي على بطنها، ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين، ومنها الحيوان يذب على أربع، كل ذلك وفق سنة الله ومشيئته، لا عن فلتة ولا معساذفة. فالنواميس والسفن التي تعمل في الكون قد اقتضتها مشيئة الله الطليقة «إن الله على كل شيء قدير».



وبعد، فيجدر بنا الآن - ونحن بصدد فهم الآية على ضوء مكتشفات العلم - البحث عن نظرية العلامة «تشارلز داروين»^١ عن الحياة وعن تطورها عبر الوجود، على ما أشار إليه سيد قطب ممجداً لموقفه في هذا الاكتشاف!

وقد لخص الأستاذ إسماعيل مظهر مذهب الشوء والارتقاء على ما سلكه داروين في مقدمة كتابه «أصل الأنواع». وكان تلخيصاً وافياً ومستوعباً كل جوانب هذا البحث، برواية العلماء الأحيائيين، مبتدئاً من أصل وجود هذه البسيطة (انفصالها عن سديم الشمس) فالى وجود الحياة عليها وتطورها، والانتهاه بوجود أكمل المخلوقات (الإنسان) والعهد على راويها، وإليك من تلك الخلاصة.



ينتشر في السماء نمامات ضبابية مضيئة وقف الفلكيون والكيميون على سرّ العناصر التي تتألف منها. إنها كتل مضيئة شديدة الحرارة، سماها العلماء «السدم» مفردها: سديم، والمعروف منها قرابة مليونين.

على أن الرأي يختلف في قوامها: أهى غازية أم جزيئات صلبة؟ أمّا المثنق عليه بين العلماء فهو: أن النظم الشمسية جميعاً ناشئة عنها. واختلف الرأي في الطريقة التي تألف بها نظامنا الشمسي، ولكن أقربها إلى المعقول

١ - المصدر، المجلد ٧، ص ١١١، قد ذكرت الآية في سبعة موارد.

٢ - توفي سنة ١٨٨٢ م.

مذهب الأستاذ «سيرجيمس جينز» الفلكي المعروف. ومحصله: أن النظام الشمسي الذي تؤلف الأرض جزء منه إنما كان في الأصل جزءاً صغيراً جداً الصغر من كتلة سديمية هائلة الحجم عظيمة الأبعاد، تهشمت فتناثرت منها شمس كبيرة، وما شمسنا إلا إحدى هذه الشموس. فلما اقترب منها نجم ضال حدث جذبٌ مَدِّيٌّ على جرم الشمس، فخرج منه ذراع انعقدت فيه كتل، كانت فيما بعد الأرض وأخواتها من السيَّارات.

والى هنا أدنى علم الفلك رسالة التوضيح عن حقيقة النظام الذي نعيش فيه، ومن ثم أخذ علم الجيولوجية (علم طبقات الأرض) يؤدِّي إلينا رسالة ثانية.



كانت الأرض عند انفصالها من سديم الشمس كتلة من المادة وفيرة الحرارة، مضت تبرد ببطء شديد حتى أخذت قوام الجماد. وقبل ذلك - أي عندما بدأت تأخذ القوام العجيني - كانت كتلة من المادة المصهورة متديدة البياض، وبتناقص الحرارة تدرجاً، نزلت إلى الحالة النارية أي أصبحت حرارتها حمراء اللون. والنسب الأوفر والأثقل وزناً من هذه الكتلة إنما يؤلف بطن الأرض، أما قشرتها فهي الجزء الأخف من الكتلة. والجزء المركزي لا يزال في حالة الصيعان، أما القشرة فتؤلف الأديم الذي نسميه «التربة» أو «الترى».

وفوق الأرض أيضاً ذلك الماء الذي نسميه البحار والبحيرات والأنهار. وفي الدور الذي كانت فيه الأرض كتلة منصهرة غشاها غلاف كثيف من الماء بخاري القوام، فلما بردت برد معها ذلك الغلاف البخاري واستحال ماءً. كذلك تقلصت الأرض عندما أخذت تبرد تدرجاً، فتجمد سطحها، كجلد تقاحه جئت وانضمرت. الأغوار المنخفضة تجمعت الماء وانتهى الأمر بأن أصبحت الأرض كرة من يابس وماء. لقد اقتضى التطور - حتى بعد أن بلغت الأرض هذا المبلغ من التنشؤ - زمناً متعاقباً، بل موعلة في التعاقب، قبل أن يظهر على سطحها شيء من الكائنات الحيَّة، (وفي الماء أخذت الحياة تتأصل).

أما تفصيل الأدوار التي مضت فيها الأرض حتى أصبحت بيئة صالحة للحياة فمن اختصاص علم الجيولوجية. ومن ثمَّ يبدُ أعلام الأحافير يُوَدِّي رسالة تالفة.



عندما بلغت الأرض من التطوُّر مبلغاً يسمح بظهور الحياة دبَّت فيها تلك النسمة العجيبة، ولقد تركت الكائنات الحيَّة الأولى آثارها منطبعة في الصخور أو في صور أحفورية. ولقد سمَّيت هذه الآثار بالأحافير (واحدتها: أحفورة)، لأنها تحتفر من الأرض. خلف الأحياء آثاراً في صورة أجزاء من نبات وأصداف وحشرات وأسماك وعظام وطبعات أقدام لطيور أو ذوات أربع، ومن مجموع هذه الآثار يُوَلَّف علم الأحافير مدوِّنة العصور الخالية.



حتى منتصف القرن الماضي كان المعتقد أن كلَّ نوع من الأنواع الحيَّة قد خلق مستقلاً، وأنَّ خلق الإنسان كان النهاية التي توَّجت أعمال الخلق، ويبيني على هذا أنَّ الأنواع ثابتة لا تتغيَّر ولا تتطوَّر.

في سنة ١٨٥٩ م أظهر «داروين» خطأ هذه العقيدة، وأنَّ الأنواع المختلفة - نباتاً كانت أم حيواناً ومعها الإنسان - إنما نشأت تدرجاً من طريق الاحتفاظ بمختلف التحولات التي تنشأ في أفراد كلِّ منها. أما هذا التحوُّل فقد استغرق أحقاباً طويلة جهد الطول، وفقاً لما يقتضيه تأثير سنن طبيعية دائمة التأثير في طبائع الأحياء.

ولقد أبان «داروين» أنَّ ما في استطاع الإنسان أن يبتكر في السلالات الداخنة من صور مستحدثة بالانتخاب الاصطناعي، في مكنة الطبيعة أن تستحدث منله بالانتخاب الطبيعي، وإن كان الانتخاب الطبيعي أبطأ أثراً في تحوُّل الأحياء من الانتخاب الاصطناعي.



سمَّيت هذه النظرية «نظرية التطوُّر». أمَّا العوامل الطبيعية التي يُوَدِّي فعلها إلى التطوُّر

ونشوء الأنواع فخمسة عوامل:

- ١ - الوراثة: ومحصلها أن الشبه يأتي بمشابهة، فالسنابير لا تلد كلاباً، بل سنابير، أي أن صغار كل نوع تشابه آباءها، ذلك في النبات كما في الحيوان.
 - ٢ - التحول: أفراد كل نوع تتشابه ولا تماثل، أي لا تكون نسخة مطابقة لأصولها. فهي تشابه آباءها ولكن لا تماثلهم. ففي بطن من السنابير مثلاً لا تقع على اثنين متماثلين تماماً، وإن تشابه الجميع حتى في اللون فإنها تختلف في الظلال التي يمتد فيها اللون.
 - ٣ - النوالد: إن ما يولد من النبات والحيوان أكثر مما يتدبر له البقاء. فالطبيعة تُسرف في الإيجاد، كما تُسرف في الإفناء، ومن هنا ينشأ العامل الرابع وهو:
 - ٤ - التناحر على البقاء: وهو عامل مطرد التأثير غير منقطع الفعل، فكل نبات أو حيوان يبرز في الوجود ينبغي له أن يسعى إلى الرزق وأن يجالده في سبيل ذلك، وأن يجاهد غيره على ضرورات الحياة، وينشأ عن هذا:
 - ٥ - بقاء الأصلح: فالأفراد التي تشرد من بناتها بقوة أوفى أو حيلة أذكى أو تكون أكثر قدرة على مقاومة الأفاعيل الطبيعية تكون أكثر قابلية للبقاء، وأعقاب نسل فيه صفاتها التي مكنت لها في الحياة.
- وباستمرار فعل هذه العوامل الخمسة أمكن للأحياء أن تعمر رقعة الأرض جميعاً.

خلاصة المدارج التي سار فيها تطوّر الأحياء

طوال عهود من الزمان - موشلة في القدم - نشأت صنوف مختلفة من الأحياء، ومضت متطوّرة ضاربة في سبيل الارتقاء، كما فتت غيرُها وبادت لعجزها عن مسايرة مقتضيات التطوّر، كلياً أو جزئياً، وما فنى وباد من الأحياء إلا وقد احتل مكانه غيره من الكائنات، لأنها أصلح للبقاء بقدرتها على تحصيل مؤهلات الحياة أو مقاومة أفاعيل الطبيعة، كالحرّ والبرد والرطوبة والجفاف وغير ذلك. وهذه الصور المتفوّقة خلال بعض

الأزمان عادت فأخذت السبيل لغيرها من الصور الحيّة، لما أن نصب فيها معين القدرة على التكيف التي من شأنها أن توائم بين حاجات حياتها وبيئتها التي تعيش فيها.

أول ظهور الحياة على وجه الأرض

تلك كانت قصة التطور التي رسمها علماء الطبيعة وأخيراً العلامة «تشارلز داروين». وأما ظهور الحياة فقد ظهرت أول ما ظهرت في تلك الصورة الهلامية التي يسميها علماء الطبيعة «الجبلة» أو «البروتوبلازم» وهي الذخيرة أو الأصل الذي تعود إليه كل صور الأحياء من نبات وحيوان.

فأبسط صور الحياة حي، هو عبارة عن شذرة صغيرة من «البروتوبلازم» أو «الجبلة» تتضمن جسماً مستديراً هو «النواة». وكلاهما من الصغر بحيث لا تراه العين إلا مستعينة بالمجهر «المكروسكوب». وهذه الشذرة المكونة من جبلة ونواة، هي ما يسميه الأحيائيون «الخلية». وكل الأحياء - على إطلاق القول - إما أن تتألف من خلية واحدة أو من خلايا متعددة. والإنسان نفسه لا يتعدى أن يكون تأليفه من عدد لا يحصى من الخلايا المختلفة. والحيوانات إما آحادية الخلية، وتسمى علمياً: الأوالي (البروتويات) تتألف من خلية واحدة.. أو كثيرة الخلايا، وعلمياً (المتروتيات) تتألف من أكثر من خلية، أي من خلايا عديدة، وقد يصح أن تكون الحيوانات كثيرة الخلايا قد نشأت من آحادية الخلية. أما كثيرات الخلايا فكانت لدى أول أمرها بسيطة التركيب، كحيوان المرجان وقناديل البحر وشقائق البحر وما إلى ذلك.

عقب ذلك ظهر الحيوان الدودي الصورة (الديدان) أو الحيوانات الدودية التي منها «الرخويات» كالمحار والحلازين والحباريات من الأسماك، ثم «الشوكيات» كنجوم البحر وقنافذ البحر وخيار البحر، ثم «القشريات» كالسراطين والأربيان، ثم من بعد ذلك ظهرت «الحشرات».

من ثمّة ظهرت صور جديدة من الحيوان، هي عشائر ذوات صفات مستحدثة، دلّ

وجودها على وقوع انقلاب كبير في سير الحياة. فكل الحيوانات التي ذكرنا من قبل كانت رخوة القوام ليئة الأجسام، معدومة العظام، ولو أن بعضاً منها كالسراطين والمحار وقنافذ البحر قد اختصت بأصداف تقي ذواتها من العطب. أما الصور الجديدة فكان لها حبل متين يمتد طوال الجسم ويسمى علمياً «الرتمة».

وكان ظهور هذا الحبل أول مدرج من مدارج التطور نحو تكوين «القنار» أو «العسلب» المؤلف من أجزاء عظمية، كل منها يسمى «قفارة».

أما والي الحيوانات ذوات الرتمة - وقد نسميها علمياً «الرتميات» - فكانت سهمية الشكل ومن أهل الماء وأشهرها «الاطريف» وقد يسمى «السهيم» أو الحرب أيضاً. ومن «السهيم» نشأت الأسماك.

وقد بدأت بالصورة ذوات الهيكل الغضروفي وأتراها، ثم ظهرت الأسماك ذوات الهيكل العظيمة الصلبة، كالسمون والتند والقرح، كما تفرع من «الحريب» صورة أخرى كالسبادج والجلكيات، وهي من الأحياء التي لا رتمة لها، أي ليس لها حبل ظهري إلا عندما تكون صغيرة وفي أول عهدها بالحياة.

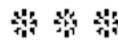
أما الأحياء التي نشأت من بعد ذلك فجميعها من ذوات القنار، وبذلك انقسمت الأحياء قسمين عظيمين: اللاقناريات (معدومات القنار)، والقناريات (ذوات القنار).

ظهر بعد ذلك أسماك متطورة تستطيع أن تعيش في الطين اللازب، إذا ما غاص الماء في فصول الجفاف. وبدلاً من أن تنفس بخياشيمها كبقية الأسماك نشأ لها مع هذا التطور جهاز آخر هي عبارة عن رئات أولية، تحولت عن منافذ السبح (العوامنة) فتدّعت بذلك في معركة الحياة بجهازين للتنفس. ومن ثم سُميت هذه الأسماك «ذوات التنفس».

ومن ذوات التنفس نشأت البرمائيات (الكائنات البرية المائية) كالضفادع وما إليها. وهي التي تستطيع العيش في اليابسة، كما تستطيع العيش في الماء، ومن البرمائيات نشأت الزواحف كالعظايا والثماسيح والحيات. ومن فرع من الزواحف نشأت الطيور.

ومن الزواحف أيضاً تنشأت ذوات الثدي التي تغذي صغارها بسائل هو اللبن، ولذا سمّاها بعضهم «اللبنونات» وكانت أوالي الثدييات حيوانات بيوض، تضع بيضاً كالزواحف والطيور، فإذا نكفت البيض عن صغارها أرضعتها. ولا يزال بعضها عائشاً حتى اليوم كالصلول والنفطير، وكلاهما يعيش في استراليا، وليس في غيرها من بقاع الأرض.

ومن الثدييات البيوض تنشأت الجلبانيات (ذوات الكيس) كالكنغر وغيره. وتفرّع من الجلبانيات شعب متفرقة من الأحياء، أهمّها - من وجهة النظر البشرية - ما يسمّى علمياً «الصعاير» أو «الليامير». فإن من هذه الصعاير تنشأت السعادين (ذوات الذبول) والقردة (فاقدات الذبول) والبشرانيات.



أمّا من أئمة من الشعب العديدة التي تحوّلت عن الصناير قدتنشأ الإنسان، فأمر لا يزال محوطاً بكثير من الشك عند العلماء. ولكن الراجح أن سلناً من الأسلاف البشرية - المشابهة للبشر - قد تطوّرت عنه شعب جاء منها الغرلى والشمزي والارطان والحين، ثمّ الإنسان.

ويظهر أيضاً أنّه من الصعاير جاء «السغل» وهو حيوان صغير من الرئيسات، في دماغه تلك البلديات التي على غرارها تشكّل الدماغ البشري. وممّا يذهب إليه بعض الأحيائيين أن «السغل» قد يكون الأصل الذي منه نشأ الإنسان.

ومن هنا نرى أنّه بالتطوّر قد وجدت جميع الكائنات الحيّة فخرج بعضها من بعض على طول الأحقاب الجيولوجية، وكان أصل الجميع ناشئاً من الماء الذي هو أصل الحياة. ومن الماء كلُّ شيء حي.



وممّا يزودنا به علم الفلك والجيولوجيا والأحافير، يقول العلماء: أن الزمن الذي انقضى منذ انفصال الأرض من السديم الأصلي حتى ظهور الإنسان يتراوح بين ثلاثة

آلاف وخمسة عشر ألف مليون سنة، أي أن الفرق بين تقدير العلماء في قياس الزمن يبلغ اثني عشر ألف مليون سنة. وقد يكون ذلك الزمان أطول مما يقدر له العلماء. ولكن الملحوظ أنهم إنما يتدرون أقل ما يمكن من الزمن لستم فيه تلك العملية التطورية العظمى. تلك قصة الحياة - على ما رسمها «داروين» - ولكن مقتصرة على عصر ما بعد الخلية، التي هو أساس الحياة بكل صورها المادية، وفي الإنسان في خصوص جانب جسده لاغير. ولم يعرض للبحث في عصر ما قبل الخلية ليعرف كيف نشأت الحياة في تلك الصورة البسيطة، ومن أين هبط ذلك السرّ الرهيب، سرّ الحياة الذي جعل من المادة الجامدة كائناً حياً.

قال الدكتور إسماعيل مظهر: لم يكن مذهب «داروين» انتصاراً للمادية الصرفة انتصاراً حاسماً قاطعاً، بل انتصاراً جزئياً، لم يتجاوز أنه تفسير لبعض وجوه من خصيات المادة، تناول «داروين» منه ناحية المادة الحية، أي المادة بعد أن دبّت فيها الحياة. ولكن ما الحياة؟ ذلك هو سرّ الأسرار!



مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

كيف نشأت الحياة؟

ما أصل الحياة؟ وكيف نشأت في هذه الأرض؟ سؤال ورد على أذهان الباحثين في كل عصر من عصور التاريخ، وتجسّم كثير منهم مؤونة البحث فيه، فملأوا المجلدات الضخام ابتغاء الوصول إلى معرفة ذلك السرّ الخفي، سرّ الحياة، ولكن لم يزيدوا على القول بأنّ «الحياة هي حياة» لا أكثر.  مركزاً لدراسة العلوم والدراسات
قالوا: أصل الحياة من التراب، وتدرّجوا إلى القول بأنّها نتيجة اختلاط العناصر، وأيّ العناصر تلك التي تبذع الحياة؟ «فاقد الشيء لا يعطيه». لاجرم قالوا بالتولّد الذاتي - وأنها نشأت بذاتها - ولم يجتوه بتجربة، اللهم إلا فروضاً ما أنزل الله بها من سلطان.^١
لبث القائلون بالتولّد الذاتي على قولهم حيناً من الدهر حتى قام «روسيل وولاس» وهو من رُعماء «النشوء والارتقاء»، ونقض عليهم ذلك الرأي، إذ قال بأنّ نواة الخليّة

١ - وقد طُلت الفكرة عن أصل الحياة ومنشأها الأون شغلت فراغاً واسعاً من اعانم تقديم، وكلّما تقدّم الزمان ازداد اعانم توجّلاً في غياب، انجهد عن أصل هذه الحقيقة، حتى أراء «وئيم طلمسن» أن يخرج بانعانم من ظلمات انجهد، فقال: بأنّ الحياة مبطت إلى الأرض من السماء، حصلتها انبيازك وانشهد، ومن ثم تكاثرت فيها. نعم، خرج بذلك من ظلمات جهل بسيط إلى حلقة جهل مركّب، لأنّ الحياة سواء نشأت في السماء أم في الأرض فذلك لا يوصلنا إلى معرفة أصلها ونشأتها. تلك شاكلة البحث في أصل الحياة، وانعقدون قوياً أن الفكر الإنساني سيفت عند هذا الحد من الصبحت أجيالاً وأجيالاً.

الحية ليست شيئاً كيميائياً عويص التركيب، ومن المستطاع تركيبها ثانية إذا حُللت، ولكنها لا تكون نواة حية، إذ تكون قد فقدت بين التحليل والتركيب سرّاً هو سرّ الحياة، فما هو ذلك السرّ؟

لاجرّم أن الإنسان سائر من طريق العلم إلى الاعتراف بالعجز، فكلّما كشف لنا عن سرّ من أسرار هذا الكون النسيح ألفاه محوطاً بكثير من الأسرار الأخر التي يعجز الفكر الإنساني أزماناً طويلاً دون معرفة كنهها. وستدرج الإنسانية في كشف المغمضات حتى تنتهي إلى حدّ تتكاتف عنده ظلمات تلك الأسرار، وإذ ذاك يقف الفكر معترفاً بالعجز.



و«التولّد الذاتي» رأي ظهر في أواسط القرن التاسع عشر نتيجةً لسلسلة بحوث منظومة قام بها فحول من العلماء في القرن الثامن عشر، أو قرن «المادية» كما يقولون، قالوا: إن الإنسان إذا استطاع أن يبرهن على التولّد الذاتي في الأجسام التي لأحياة فيها، تيسّر له أن يبرهن عليه في الأجسام الحية. وقد يتبادر إلى الأذهان أن التولّد الذاتي لزام للنشوء والارتقاء، لولا أن الحقيقة على نقيض ذلك، فإن التطور لا يحدث إلا فيما بعد فصل الحياة من نشوء بعض الصور من بعض على مرّ الزمان، وبتأثير نوايس طبيعية، قد نعرف بعضها وقد يغيب عنا البعض الآخر. أمّا القول بالتولّد الذاتي فقد أتى من رأي شاع في القرن الثامن عشر هو القول بقدم العالم، الذي كانت من نتيجته إنكار «علة أولى واجبة الوجود بذاتها».

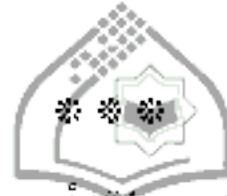


القول بقدم العالم قول تدرّج الباحثون منه إلى إنكار علة أولى واجبة الوجود بذاتها، ولأجل أن يؤيدوا مذهبهم أرادوا أن يطبقوه على عالم الحياة، فقالوا بالتولّد الذاتي اعتباراً ومن غير أن تمسّ إحدى المسألتين بالأخرى. لأن إثبات التولّد الذاتي أو نفيه لا يترتب عليه مطلقاً القول بإنكار «علة أولى». لأننا لو فرضنا أن الحياة قد نشأت من

اختلاط بعض العناصر الأولية مقرونة بمهيات أخرى، فذلك لا يستوجب نفي تلك القوة المدبّرة التي استطاعت بوساطتها تلك العناصر من الدور في سلسلة من التغيّرات والتطوّرات، حتى بلغت حداً عنده انبثت فيها الحياة. تلك السلسلة الدورية التي لا يمكن إيضاحها بأية طريقة كيميوية أو آليّة.

قالوا: إنّ القوة المتحرّكة والقابلية الذاتية مبدآن طبيعيتان غير منفصلين، وإنهما والمادّة صنوان لا يفترقان.

فإذا سألتهم - عن ماهيّة تلك القابلية وحقيقة ذلك الاستعداد، أو عن القوة التي بنتها في الطبيعة بنسب متكافئة لا يعرضها خلل ولا ينالها ضلال، كأنّ للطبيعة عيناً تنظر بها - حاروا في الجواب وأعادوا على سمعك كلامهم الأول بتحوير من الألفاظ. سوى أنّ الحقيقة تضطرّهم إلى القول بأنّ هناك قوّة مهيمنة ترجع إليها كلّ القوى، تلك هي العلة الأولى.



والعلامة الأستاذ «أ. كريسي موريسون» رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك مقال ضافٍ عن الحياة ونشأتها وعن أصل الإنسان، مقال طوى الدراسات العلمية الحديثة، ترجمه الأستاذ محمود صالح الفلكي المصري. وقدم له الدكتور أحمد زكي والشيخ الباقوري.

وبما أنّ الغاية من المقال هي البرهنة على تواؤم العلم مع الدين، وأنّ لاموضع في العلم ينبو عن الدين أبداً، وبذلك كان من المناسب التريب إثبات مقاله هنا تنميماً للفائدة، وتقريباً للأصل القائل، بأنّ العلم يدعو للإيمان، كما هو عنوان المقال بالذات، جاء فيه:

ما هي الحياة؟

الحياة باقية، وقد استمرت بعد العصور الأولى والعصور الجيولوجية. وظهرت قارّات وغرقت أخرى، وأنّ المحيطات العتيقة والبحار الضحلة لتزخر كلّها بالحياة، وأنّ الحياة

لتسبر نورها وتتخلل الأمواج المتلازمة وتنفذ في رمال كل شاطئ.
وقد مضت الحياة قُدماً حيث تراجع كل عصر من عصور الجليد، وقاومت كل تقدم
للمناطق الباردة، قوية مظفرة. وقد ارتفعت الجبال من الأرض ذات الغضون، وانشق
السطح واهتز مع كل زلزال. وتفتت قمم الجبال الشاهقة خلال ملايين السنين، وبان أثر
ذلك في طبقات بعضها فوق بعض، وغمر ماء البحار قارّات، وصار غرين (طمي) الأراضي
التديمة يغطي قاع كل محيط وكأنه كفن.
ولكن استمرت الحياة بعد ذلك كله!

والحياة تستخدم ذرات الأرض، وتخلق عجائب جديدة طبقاً لقوانين الكون،
ولكنها في تقدمها تخلف وراءها كل صغيرة لمستها. وأن «صخور دوفر البيضاء» المكوّنة
من الطباشير والجير والحجر الصوان لتفصل علينا قصّة الحيوانات الرخوة والنباتات
المائية والمخلوقات البحرية التي لا عدد لها في خلال الدهور. وأن الغابات الحيّة والمُحم
والزيت والغاز لتدلنا على نشاط العالم القديم الذي تلقت فيه الحياة طاقة الشمس،
وأحالتها الإنسان ناراً. وأن هذه التركة لتتوق في قيمتها كل ثروة أخرى، لأنها رفعت
الإنسان عن مرتبة الحيوان ومن بين تلك بدايات المشرة الأرضية، حيث كانت كل مادة
تستحيل جمرَةً أو رماداً، استخدمت الحياة طاقة الشمس، ومزّقت ذرات الماء المتحدّة،
وفصلت الكربون البليد من الأوكسجين وحوّلته إلى ثاني أوكسيد الكربون، وخزنت في
الأرض وفوق سطحها الموارد الوحيدة للنار. ومن النار قام المتوى وجميع أدوات
المدنية، وكل ذلك لأن الحياة تلقت وحفظت كل القوى التي أطلقتها الشمس.

وقد تعلّبت الحياة على الظروف المتغيرة للماء والأرض والهواء، ولاتزال ماضية
في طريقها في شكل نبات وحيوان. ومن الأمبيات^١ ساعداً إلى السمك والحشرات وذوات
التدي وطيور الجوّ، أو نازلاً إلى الجرثومة والميكروب والبكتريا، وكذا النباتات التي
لا حصر لها، وسواء في شكل خلية أو سمكة قرش أو عنكبوت أو ديناصور أو إنسان أو

١ - الأمبيات: حيوان ميكروسكوبي ذو خلية واحدة يتوّد بالانقسام الذاتي.

زراع، فإن الحياة تهيمن على العناصر، وترغمها على حل تركيباتها، والاتحاد من جديد على أساس صلات أخرى.

والحياة تأتي بمخلوقات في صور شتى من صور السلف، وتمنح هذه الصور القدرة على تكرار نفسها على مدى أجيال لاحد لها.

والحياة شديدة الخصب في تولدها، حتى أنها تعول نفسها، وتطعم من فائضها، ومع ذلك تضبط جميع الكائنات الحية، لمنع أي مخلوق من مخلوقاتنا، من أن يطغى على العالم. فالجراد مثلاً لو بقي دون ضابط استطاع في بضعة سنين أن يلتهم كل زرع أخضر، وعندئذ تنتهي حياة كل حيوان فوق الأرض.

والحياة مثالة، تشكل الكائنات الحية. وهي فتانة، تختط كل ورقة في كل شجرة، وتلون الأزهار والنباح والغابات، وريش عصافير الجنة. وهي موسيقية، علّمت كل طير كيف يشدو بأغاني غرامه، وعلّمت الحشرات كيف ينادي بعضها بعضاً بموسيقى أصواتها المتعددة. وهذه الأصوات، سواء أكانت نقيق الضفدعة في الربيع، أم قوق المدجاجة بين صغارها، أم زئير الأسد في صولته، أم تبويق الفيل، تشمل كل «برج النغم» للأحاسيس، ولا يفوقها سوى صوت الإنسان في مروه المدهشة.

والحياة قد جعلت الإنسان وحده سيداً على تموجات الصوت مجتمعة وزودته بمادة إنتاجها؛ فالمزمار والبوق والقيثار، وكذا شعر الخيل، والشمع الذي يُمسح به قوس الكمان، ورجع الصدى من قيثارة الأوركسترا المصنوعة من الخشب، والصوت المنخفض المزدوج الذي هو كصوت الخنزير، وطريقة الجلد على الطبل، كل أولاء مدينة بالفضل للحياة!

والحياة مهندسة، فهي التي وضعت تصميم سيقان الجندب (النطيط) والبرغوث، والعضلات والروافع، والمفاصل، والقلب الذي يخفق دون كلل، ونظام الأعصاب الكهربائية لكل حيوان، والدورة الدموية الكاملة لكل كائن حي. وهي تصمم الهندياء البرية، ثم تزخرف بذورها في «شرابات» يحملها كل نسيم. والحياة تشكل الأزهار، وترغم

الحشرات على أن تحمل اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنث.

والحياة كيميوية، فهي التي تهب المذاق للفواكه والتوابل وتهب العطر للمورد. والحياة تركب مواد جديدة لم تجهزها الطبيعة بعد، لموازنة عملياتها والقضاء على الحياة المغيرة. والحياة تهب الضوء البارد «للذباب المنير» ليعاونه على بث غرامه ليلاً. وكيميا الحياة فائقة، لأنها لا تنزع باستخدام أشعة الشمس لتحويل الماء وحامض الكربون إلى خشب وسكر، بل إنها إذ تفعل ذلك تطلق الأوكسيجين كي تنشم الحيوانات نسيم الحياة. والحياة مؤرخة، فقد كتبت تاريخها صفحة صفحة، تاركة سجلها في الصخور، وهو تاريخ كتبه بنفسها ولا ينتظر إلا الترجمة.

والحياة تمنح مخلوقاتنا الفرح لكونها حية، فالحمل يرتع ويفتر، وهو لا يدري لماذا. والحياة تلون عيني الطفل وتمنحهما بريقاً، وتصبع خديده، وتسبح بالضحك إلى شفيه. أما المادة فلا تبسم أبداً.

والحياة تقبى مخلوقاتها بوفرة الغذاء في البيض، وتعد كثيراً من صغارها للحياة الناشطة بعد الميلاد، أو أنها تخزن الغذاء تأهباً لصغارها بوحى أمومة لاشعورية. والحياة تنتج الحياة، إذ تعطي اللبن لسد الحاجات العاجلة، متوقعة هذه الضرورة، ومناهبة لما يجيء من حوادث.

والحياة قد جاءت للعالم بحب الأم لولدها، وجاءت للإنسان بالمتوى والأسرة، وبحب الوطن الذي ينافح عنه حتى الموت.

والحياة تحمي نفسها، بالحيلة في استخدام الألوان لمساعدة مخلوقاتها أو إخفائهم، وباعداد الساقين للجري، ومنح الأسلحة للدفاع، من القرون والأشداق والمخالب، وكذا السمع والبصر والشم، والأجنحة للتخليق في الجو، وهكذا تزود الحياة والدفاع والهجوم. وهي تهب قناعاً خفياً لبعض الحشرات التي لا يحدث منها أي أذى، لكي تقبها كل هجوم. أما المادة فإنها لم تفعل قط أكثر مما تمليه قوانينها. فالذرات إنما تطيع قواعد الأتمة الكيموية وقوة الجاذبية وتأثيرات درجة الحرارة والدوافع الكهربائية.

والمادّة ليست مبتكرة، أمّا الحياة فإنّها تأتي إلى الوجود بتصميمات وتكوينات جديدة رائعة.

وبدون الحياة كان سطح الأرض يصير صحراء شاسعة مجذبة، وفضاء من ماء غير نافع.

وبدون الحياة تكون المادّة جامدة، ومتى تركتها الحياة عادت مجرد مادّة، ولكن تبقى لها القدرة على مواصلة حياة مخلوقات أخرى، وبذا تخلد الحياة في الكائنات الحيّة.

وأما ما هي الحياة، فذلك ما لم يدره إنسان بعد، فليس للحياة وزن ولا حجم، والحياة ذات قوّة، لأنّ الجذر النامي يقدر أن يشقّ صخرة. والحياة تنشىء شجرة عظيمة وتحفظها من الجاذبية مدّة ألف سنة أو تزيد. وهي ترفع أطنان الماء من الأرض كلّ يوم، وتنشىء ورق الشجر والفواكه، وأقدم كائن حيّ هو شجرة يرجع عهدها إلى خمسة آلاف سنة، وهي لا تعدو كونها لحظة في الأبدية. والحياة الفردية عابرة. والحياة هي المسؤولة عن كلّ حركة لكلّ كائن حيّ. وكلّ هذه الطاقة تأتي عن طريق الشمس. والحياة لا تقدر أن تستمرّ في المادّة التي تكون في حدود ضيقة، بالغة الحرارة أو البرودة، لأنّ هاتين تقضيان على ظروف المادّة التي تتوقف عليها الحياة. فإنّ الحياة لم تظهر على هذه الأرض إلا حين كانت الظروف موائمة لها، وستتطع نشاطها حين يحدث تغيير ملحوظ في تلك الظروف غير أنّ الظروف الحالية قد وجدت واستمرت منذ ثلاثمائة مليون سنة على الأقل.

والطبيعة لم تخلق الحياة، فإنّ العسخور التي حرقتها النار والبحار الحالية من الملح لم تتوافر فيها الشروط اللازمة. وهل احتضنت الحياة هذه الأرض والكرات الأرضية

١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» الإسراء: ٨٥.

٢ - قال تعالى: «إِذَا الْمَاءُ أَنْفَطَرَتْ. وَإِذَا الْكُفُوفُ سُفَّتَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ دَجُوتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمْتَ لَيْسَ مَا قُلْتُمْ وَآخِرَتْ» الانفطار: ٨٢، ٥-٦.

الأخرى في انتظار فرصة يزود فيها المكون بقوة الإدراك؟ إن الجاذبية هي من خواص المادة، والكهرباء أصبحنا نعتقد أنها المادة نفسها، وأشعة الشمس والنجوم يمكن انحرافها بالجاذبية، ويبدو أنها وثيقة الصلة بها.

وقد أخذ الإنسان يدرس حدود الذرة ويقس قوتها المخزونة، غير أن الحياة نفسها خداعة، مثل الفضاء لماذا؟

والحياة منتظمة، على وتيرة واحدة، في بذل جهودها لإحياء المادة، وهي لا تعرف فرحاً ولا حزناً، ولا تميز بين أحد وأحد ومع هذا فالحياة هي الأساس، وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها فهم المادة.

والحياة هي المصدر الوحيد للموعي والشعور، وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله وبيهرنا جماله، وإن كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة.

إن الحياة ليست إلا أداة تخدم مقاصد الخالق سبحانه، وعلى هذا فالحياة باقية كمشيئته تعالى.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم رسدي

كيف بدأت الحياة؟

في لغز بداية الحياة نقطة يجب أن يقف العلماء أمامها، لنقص الحجج. أجل هناك قرائن كثيرة يمكن إقرارها علمياً، غير أن بداية الحياة بلغت من العجب، والنتائج المترتبة عليها بلغت من التشعب، بحيث إن أكثر العلماء البيولوجيين علماً لا بد أن تتملكه الدهشة. فهو بوصفه عالماً لا يستطيع أن يؤمن بالمعجزات، ولكنه بوصفه إنساناً ذكياً يجد - نتيجة لبحثه وبحوث غيره - أن معظم الكائنات الحية الآن تتطور من خلية ميكروسكوبية فريدة، على أثر خروجها من طور الحياة تحت الميكروسكوب واقترابها من طور السدفة الذرية. ويبدو أن تلك الخلية قد وهبت القدرة على التكاثر، ومواءمة نفسها على أشكال عديدة من الحياة، وأنها أعدت لكي تعيش في كل ركن وشق على ظهر الأرض. والعلم يقر بأن الواقع لا يمكن أن يكون إلا كذلك. ويعتقد البعض أن هذا معسافة من المواد

الكيميوية والماء والوقت. ويرى البعض الآخر النظام مائلاً في كل جانب فسيح من الحياة إذ تمضي قدماً من منبعها إلى هدفها - سواء أكانت ستصبح حيواناً رُخوئاً أم إنساناً - دون أن تعبر المفجوة مرةً أخرى.

والآن لتعالج الموضوع بشعور من الإجلال، لاتحدّه الحدود الدقيقة التي تفرضها العقائد الدينية، أو الحقائق العلمية بشأن سبب الحياة ومصدرها، ولتصوّر لأنفسنا الوقائع المعترف بها. وبذا يمكننا أن نحكم، وأمامنا الموضوع كاملاً. وبهذه الطريقة يمكننا أن نعلم إن كنتُ أنا أو أنت مجرد مجموعة عرضية من المادة، تولدت عن الكيمويات والماء والوقت، أولاً.

أنظر إلى الشيء الهام الوحيد؛ إنه أهم من الأرض نفسها ومن الكون كله وأهم من كل شيء آخر - ما عدا الخالق المدبر الذي كان السبب في وجود ذلك الشيء - وأعني تلك النقطة من النطفة (البروتوبلازم) التي لا تكاد تُرى، وهي شقافة لرجة (كالجيلاتين) قادرة على الحركة، تستمد نشاطها من الشمس وهي بالفعل كفاء لاستخدام ضوء الشمس في عزل ثاني أكسيد الكربون من الهواء، مرممة الذرات على الانفصال، قابضة على الهيدروجين من الماء، ومنتجة لهيدروونات الكربون، وبدا تعدّ غذاءها بنفسها من أحد المركبات الكيميائية العنيدة للغاية.

إن هذه الحبة الثريدة - هذه النقطة الصغيرة الشقافة التي تشبه الطل - تحتوي في نفسها على جرثومة الحياة، وبها التندرة على توزيع هذه الحياة على كل كائن حي، كبيراً كان أو صغيراً، وعلى مطابقة كل مخلوق لبيئته حيثما يمكن وجود الحياة، من قاع المحيط إلى السماء. وقد صاغ الزمن والبيئة شكل كل كائن حي بحيث يتفق مع أنواع الظروف المتعددة. وعندما تكون هذه الكائنات الحية شخصيتها الفردية فإنها تكون قد ضحت ببعض مرونتها وقابليتها للتغير، وأصبحت مخصصة وثابتة، وقد فقدت القدرة

١ - البروتوبلازم هي المادة الزلائية الحية التي تتكون منها حياة الأجسام النباتية والحيوانية. وقد رأينا أن ترجمتها بكلمة «النطفة».

على العودة إلى الوراء ولكنها كسبت مزيداً من الموائمة مع الظروف التي وجدت فيها.
إن قوى هذه النقطة الصغيرة من النطفة (البروتوبلازم) ومحتوياتها كانت ولا تزال
أعظم من الزرع الذي تخضّر به الأرض، وأعظم من كل الحيوانات التي تتنمّن نسيم الحياة
لأنها مصدر كل حياة، وبدونها كان لا يمكن وجود شيء حي.

والعلم يوافق على كلما ذكرنا خطوة خطوة، ولكنه يتردد في أن يتخذ خطوة أخيرة،
ويقول إن الإنسان قد خطر على هذه الأرض بوصفه طفلاً لمنبع الحياة الكوني، سيبدأ بين
الحيوانات، وذا تكوين ماديّ معقّد التركيب للغاية، وصاحب عقل أعدّ عن قصد ليتملّق
لمحة من القدرة الإلهية التي نسمّيها بالروح.

وينبغي لنا أن نبدأ بالأرض كلها على أنها صحراء، وليس تئة من مواد غير ما تركت
حين بردت الأرض. وقد ارتفعت الأرض من المحيطات، وحدث في الصخور تأكل
لا يمكن وصفه فمزّقها إرباً وكون كثيراً من الصخور الثانوية والغرين والطحل. ولم يوجد
سوى المواد غير العضوية في تركيبات كالبازلت والجرانيت وتلك الصخور الأخرى
النارية والمتحولة، والغرين الذي سبق رواسب الوجود الحيواني، أمّا الرواسب من أمثال
حجر الكلس والمرجان والطباشير والحجر الصوان فإنها لم تكن موجودة. وليس لدينا
سوى مواد قليلة لنعالجها، فلدينا الماء، وربما كان على درجة من الحرارة شديدة الثبات.

إن لغز ظهور الحياة على الأرض قد يحلّ وقد لا يحلّ بحدوثه الذاتي. وقد افترض
البعض أن الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومة انسلت دون أن يعيها
تلف، وبعد أن بقيت زمناً غير محدود في الفضاء، استقرت على الأرض، ولكن كان من
العسير على تلك الجرثومة أن تبقى حيّة في درجة حرارة الصفر المطلق في الفضاء، وإذا
استطاعت البقاء رغم ذلك فإن الإشعاع الكثيف للموجة القصيرة كان يقتلها. فإن كانت قد
بقيت حيّة رغم ذلك فلا بد أنها وجدت لنفسها المكان الملائم، وربما كان المحيط، حيث
أدّى اتفاق مدهش في الظروف إلى توالدها وبداية الحياة على الأرض.

وفضلاً عن ذلك يعود بنا هذا الفرض خطوة أخرى فيما نحن بقصده. لأننا يمكننا أن

نساءل: وكيف بدأت الحياة على أي كوكب من الكواكب؟
إن المثنيق عليه عموماً هو أنه لا البيئة وحدها، ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة،
ولا أي اتفاق في الظروف الكيموية والطبيعية قد تخلقته المصادفة، يمكنها أن تأتي بالحياة
إلى الوجود.

وبصرف النظر عن مسألة أصل الحياة التي هي بالطبع من الأغااز العلمية، قد افترض
أن هنة ضئيلة من الحياة، بلغت من الضائلة أنها لا ترى أو تلمح بالميكروسكوب، قد
أضافت إليها ذرات، وقلت تولزنها الوتيق، فانقسمت، وكزرت الأجزاء المنفصلة هذه
الدورة، وبدأ اتخذت أشكال الحياة، ولكن لم يزعم أحد أنها اتخذت الحياة نفسها.

إن «الأميبا» هي مخلوق ميكروسكوبي حي على درجة كبيرة من التطور، وهو
مكون من ملايين لاحصر لها من الذرات في تنظيم مرتب. و«الأميبات» هي مخلوقات
ذوات خلية واحدة، قد لا يزيد قطرها على جزء من مائة من البوصة، وتوجد في جميع
مياه العالم. والأميبا تشعر بالجوع، وتبحث عن غذائها عن قصد وعمد. وأية درجة من كبر
الحجم يجب أن يبلغها الحيوان حتى نعترف بأن له رغبات وعزيمة؟ ولكن الحجم هو
لا شيء في حساب الملائهائية، لأن الذرة لا تتكامل كما لا عن نظام المجموعة الشمسية. وإذا
اتخذنا الأميبا متلاً للإيضاح - دون أن نزعم أن هذا المخلوق الحي ذا الخلية الواحدة هو
المنبع الأصلي للحياة - فإنه يمكن القول بأن مخلوقاً نظفياً (بروتوبلازيمياً) حياً - بعد أن
ضاعف تكوينه الداخلي - قد انقسم وصار اثنين، ثم انقسم الاثنان وصارا أربعة، وهكذا
إلى غير حد، كما تفعل الخلايا الآن في كل مخلوق حي. فكل خلية تحتوي في نفسها - في
تقسيمها الباكر - القدرة على إنتاج فرد كامل. والخلايا نفسها باقية إلا إذا وقع لها حادث أو
صادفها تغير في الظروف لا قبل لها به. وهي تكون الخلايا البسيطة في جميع المخلوقات،
من حيوانات أو نباتات في الوقت الحاضر، وبذا تكون صوراً طبق الأصل من أسلافها.
ونحن بوصفنا كائنات بشرية، أمما منتظمة من بلايين فوق بلايين من أمثال تلك الخلايا،
وكل خلية هي مواطن يؤدي نصيبه الكامل من الخدمة الخالصة في ذكاء. وهذا يختلف

اختلافاً بيناً عن الجزئية المادية العاطلة من الحياة^١.

ولكن في الاستطاعة أن نشير إلى شيء حدث منذ زمن بعيد، عند بدء الحياة على الأرض، وكان له شأنٌ عظيم، ذلك أن خلية واحدة قد نمت عندها القدرة المدهشة على استخدام ضوء الشمس في حلّ مركّب كيميوي، واصطناع غذاء لها ولأخواتها من الخلايا. ولا بد أن لذات أخريات لخلية أصيلة أخرى قد عاشت على الغذاء الذي أنتجته الخلية الأولى، وأصبحت حيواناً، في حين صارت الخلية الأولى نباتاً، والنباتات التي هي نسل هذه الخلية هي التي تغذي جميع الكائنات الحية الآن. فهل يمكننا أن نعتقد أن كون خلية قد أصبحت حيواناً وأخرى قد أصبحت نباتاً إنما حدث بطريق المصادفة؟ إن التوازن العجيب بين الزرع وحياة الحيوان إنما استقرّ بهذا التقسيم. وإذا عدنا إلى قصّة ثاني أكسيد الكربون وجدنا أن هذا التقسيم هو أساسيٌ إطلافاً بوصفه إحدى ضروريات الحياة نفسها. ولو كانت الحياة كلها حيوانية لكانت الآن قد استنفدت الأوكسيجين. ولو كانت الحياة كلها نباتية لكانت قد استهلكت كل ثاني أكسيد الكربون. وفي كلتا الحالتين كانت تنتهي هذه الحياة وتلك.

مركز تحقيقات كيمياء علوم رسي

وكما ذكرنا من قبل، من المفروض أنه في التاريخ الباكر جداً للككرة الأرضية لم يكن بالهواء أوكسيجين مطلق، إذ كان كل الأوكسيجين مخزوناً في قشرة الأرض وفي الماء وتاني أكسيد الكربون. فإذا كان الأمر كذلك فإن كل الأوكسيجين الذي لدينا الآن قد جاء من الزرع. وقد نبت ذلك بشكل مقبول، لأن النباتات تستعمل ثاني أكسيد الكربون، وتطلق الأوكسيجين. ولكن إذا كان هذا كله صحيحاً فإن الحيوانات التي لاغنى لها عن الأوكسيجين لكي تعيش لا بدّ قد جاءت إلى الوجود بعد زمن طويل من تطوّر النباتات في البحر والأرض، فهل كان ظهور الحياة على دفتين؟ سنترك ذلك للمستقبل ليقرره.

١ - قال الله تعالى في كتابه الكريم: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ بَعَدْنَا نُفُوسَهُ فِي أَرْوَاحِ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّفُوسَ عَلَاقَةً وَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَبْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ». المؤمنون: ٢٣، ٢٤-٢٥.

ومن عجب أنه في كلتا الحياتين الحيوانية والنباتية، منذ ظهور الكائنات البروتوبلازمية الأولى، قد تطوّر الذكر والأنثى بشكل جعل كل نوع يستمرّ بالاتحاد المتكرّر مع الاحتفاظ بتميّزاته العامّة.

وليس هذا مجال البحث في تفاصيل الاضطرابات والنتائج الطبيعية والكيميوية التي أدت إلى التوزيع. ويكفي أن نجعل الأمر مفهومًا لأولئك الذين ليس لهم معرفة خاصّة بالعلوم. ويمكن إيضاح الأمر على الوجه الآتي:

الظاهر أن مجموعات الخلايا كانت أدنى إلى البقاء حيّة حين كانت على صلات ونيقة معاً، وبذا بدأت تتحد، ثنائية ورباعية ومتوية وألفية ثم مليونية. ثم دعيت كل خلية لأن تؤدي مهمّة وكّلت إليها. وتدرّجاً - مع تكليفها تلك المهام المختلفة - أصبح في حيّز الإمكان أن يقوم المجموع بوجوه جديدة من النشاط، ففي الحيوانات صار الحمل (وهو عبارة عن تركيبات صغيرة تشبه الشعر) وبمبارات الزوائد والأقدام الكاذبة تساعد على جمع الطعام الذي تنشط خلايا أخرى في هضمه. وبعض الأجزاء كانت مكوّنة من عدّة خلايا. فهناك مجموعة منها صنعت عظاماً وقانياً كثيفاً كقشر الشجرة، وأخرى كانت مشغولة بنقل الغذاء من مكان إلى آخر في المخلوق الحي. وأخيراً نجد لها مشغولةً بتكوين الخشب في الجذوع، أو بتكوين العظام أو الأصداف لتدعم جرمها المتجمّع النامي. وبعض الأصداف وضعت في الخارج، مثل أصداف المزيق (سمك صدفي). وهذه الحيوانات الرخوة من النوع الذي يغلق على نفسه. وبعض العظام قد كوّنت بالداخل، فالإنسان يحتاج إلى سلسلة فقرية. وجميع الأشياء التي تعيش تبدأ من خلية بسيطة، وهذه الخلية ترغم كل نسلها على أن يؤدي الخدمات وأن يتبع دون انحراف تصميم المخلوق الذي كان على الخلية الأصليّة مضاعفته، سواء أكان سلحفاة أم أرنباً.

وقد يمكن السؤال عمّا إذا كان للخلايا فهم وإدراك أم لا، وسواء اعتقدنا أن الطبيعة قد زوّدت الخلايا بالغريرة - مهما تكن هذه - أو بقوة التفكير أم لم نعتقد ذلك فلا مباح لنا من الاعتراف بأن الخلايا ترغم على تغيير شكلها وطبيعتها كلّها لكي تتمشّى مع

احتياجات الكائن الذي هي جزء منه. وكل خلية تنتج في أي مخلوق حي يجب أن تكيف نفسها لتكون جزء من اللحم، أو أن تضحي نفسها كجزء من الجلد الذي لا يلبث حتى يبلى. وعليها أن تضع ميناء الأسنان وأن تنتج السائل الشفاف في العين، أو أن تدخل في تكوين الأنف أو الأذن. تم على كل خلية أن تكيف نفسها من حيث الشكل وكل خاصية أخرى لازمة لتأدية مهنتها. ومن العسير أن نتصور أن خلية ما هي ذات يد يمني أو يسرى، ولكن إحدى الخلايا تصبح جزء من الأذن اليمنى، بينما الأخرى تصبح جزء من الأذن اليسرى. إن بعض البلورات المتشابهة كيميائياً تحوّل أشعة الشمس نحو اليمين وبعضها الأخر نحو الشمال. ويبدو أن مثل هذا الميل موجود في الخلايا. ومتى وجدت في المكان الصحيح الذي تخصه فإنها تصحّ جزء من الأذن اليمنى أو الأذن اليسرى. وأذنك تواجه إحداهما الأخرى في رأسك، وليستا في كوعيك كما هما عند الصرصور، وتقومسأتهما متضادّة، وحين تكمل تكون الأذنان متماثلتين إلى حدّ يصعب عليك عنده أن تميّز بينهما.

إن مئات الآلاف من الخلايا تبدو كأنها مدفوعة لأن تفعل الشيء الصواب في الوقت الصواب وفي المكان الصواب، والحق أنها طائفة، والحياة تدفع إلى الأمام، بانية، مصلحة متوسّعة، وخالقة ما هو حديث وما هو أفضل، بنشاط لا يفتر ولا متيل له في الأشياء الجامدة. فهل هذا ناشئ عن إدراك؟ أم عن غريزة؟ أم أنه أمر يحدث فحسب؟ يمكنك أن تجيب عن ذلك بنفسك.

بيد أنك قد تقول الآن: إن كل ما ورد بهذا الفصل لا يفسّر لنا كيف بدأت الحياة، أي كيف جاءت إلى هذه الأرض، والكاتب لا يعرف كيف، ولكنه يؤمن بأنّها جاءت كتعبير عن القوّة الإلهية، وبأنّها ليست مادّية.

أصل الإنسان

هناك طرق عدّة للبحث في أصل الإنسان. وإنّ متابعة هذه الطرق ليحدث اضطراباً لكثيرين من ذوي الآراء الجامدة. فمن الآراء ما يقول بأنّ الإنسان قد جاء عن طريق

عملية تطوّر من الشرارة الأصلية للحياة. وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه فكرة التطوّر كلّها. وهناك رأي آخر يقول بأنّ الله في حكمته قد أودع الحياة على الأرض، وخلق الإنسان كما هو أو كما كان، كاملاً. وتتمّة رأي يقول بأنّ العناية الإلهية لا تتوقف، ولكنها أنتجت الحياة بكلّ أطوارها بسلسلة من المخلوق. على أنّ هناك رأياً آخر يقول بأنّ الحياة التي انتهت إلى الإنسان كانت نتيجة سعيدة لمزيج حدث مصادفة من المواد الكيميائية بما فيها الماء.

ويمكن القول بأنّه مع الإيمان بوجود الخالق، فإنّه قد شاءت إرادته أن يخلق من العناصر الأصلية للأرض شيئاً تكون له حياة، ويبلغ في النهاية إلى تطوّر في المخلوق يسمح بإيداعه الذكاء. ويمكن القول بأنّ الله تعالى قد شاء أن يمنح هذا الذكاء سيادة وسيطرةً على جميع الكائنات الحيّة الأخرى وعلى كائنات أخرى كثيرة عاطلة من الحياة.

وأياً ما تختره لنفسك من هذه الآراء فإنّ من الواضح أنّ الإنسان لم يوجد كإنسان منذ بدأت الحياة ولكنه تطوّر فيما بعد إلى ما هو عليه الآن. وعلى أيّ حال لم يظهر كإنسان إلا بعد أن عجزت كلّ أشكال الحياة للكائنات الأخرى عن إيجاد جهاز بالغ التعقيد كالعقل البشري.

وإذا فرضنا أنّ الإنسان بدأ مع ظهور الحياة الأولى فإنّ وجوده يرجع إلى ٤٠٠ مليون سنة أو أكثر. أمّا إذا قبلنا النظرية الثانية فإنّه يكون قد وجد بعد ذلك، أو في أيّ وقت نتيجة للمشيئة الإلهية. أمّا إذا قبلنا الفرض الثالث فإنّنا لا يمكننا أن نحدّد تاريخاً لأول وجوده كإنسان إلا بما يرجع بنا ملايين عدّة من السنين. وقد أمكن تتبع تاريخ الإنسان كإنسان بالأدلة الكافية لإقناع العلماء - لمدة مليون سنة مضت، ولكن هذا حدّ أدنى متفق عليه، أمّا قبل ذلك فإنّ تطوّره - مهما يكن الحيوان الذي تطوّر منه - يرجع إلى قدم لا يصل إليه حساب البشر.

ويوجد في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي بنيويورك حصان أترى ذو ثلاث أصابع، وهو حيوان صغير كان لاربيب سريع العدو. ولا شك أنّه كان حصاناً، غير أنّ تطوّره

إلى الحصان الجليل الحالي الذي يجري على ما نسميه حافراً تطوّر من إصبع قد تطلب ملايين السنين. فإذا اتخذنا من ذلك معلماً للطريق فلنقدّر إذاً الزمن الذي تطلبه الإنسان حتى تطوّرت يده وعينه وذهنه، وبذا صار حيواناً طفيفاً ورفع ذلك إلى كيانه الحالي.

والآن نعود فنقتبس التفكّبات التي مرّ بها هذا المخلوق الصغير الأعزل من وسائل الدفاع، وإن يكن حقاً سريع الحركة فإنه معرّض للمخطر من كل مخلوق يأكل اللحم، ومن كل زاحف سامّ، ومن كل جسم يحدث المرض. وكان عليه أن يعني بصغاره زمناً طويلاً من عجزهم، فإن أطفال الإنسان تولد عديمة الحول والحيلة، وهي تأتي تباعاً وبذا قد يصبح عدّة أطفال عاجزين، في حاجة إلى الغذاء والوقاية في وقت واحد. وهذا يضاعف عجيبة بقاء الإنسان في خلال الدهور؛ فقد عاش خلال تغيّرات كالعصر الثلجي وفي كل طور آخر من أطوار الحياة المحرومة الوقاية. وهذا ينطبق طبعاً على جميع الحيوانات الأخرى. وإته لمن معجزات العناية الإلهية أن استطاعت هذه المخلوقات أن تثبت أمام تلك الظروف. ومن جهة أخرى فإن أنواعاً لا عدد لها كانت قد ولدت ثم انقطعت عن الوجود. وليست عظام «الديناصورات» إلا دليلاً واحداً يثبت به علماء الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) أنه وجدت في الماضي حيوانات غريبة قدر لها الفشل فعفا عليها النسيان. وكان ذلك أيضاً مثال ملايين من الحشرات والأسماك والطيور وأنواع أخرى عديدة من مخلوقات شتى. ولعل «الحمام المسافر» كان في وقت ما أكثر عدداً من البشر، ولكن آخر واحدة منه ماتت في عهدنا، وانقرضت سلالة الفأخرة كما انقرض «البطريق العظيم» و«الدودو»^١.

وتجد علماء الآثار في إظهارهم لتطوّر الإنسان، يتخذون من سعة المخ في مجتمه مفتاحاً لتقدمه. وقد حلّت أجناس ولا تزال تحل محل أخرى، ويبدو أن الجنس الأبيض

١ - الديناصورات جمع ديناصور، وهو حيوان آكل اللحم وجد مدفوناً تحت أطباق التلوج وانقرض من الحياة منذ زمن طويل.

٢ - نوع من الحمام كان موطنه أمريكا الشمالية، وكان ذا رأس صغير ومنقار قصير وذيل طويل وجناحين طويلين مدببين.

٣ - الدودو طائر انقرض من فصيلة الحمام.

هو في الذرورة في الوقت الحاضر. أفيأتي الزمن بالإنسان الممتاز «السوبرمان» الذي ينسل ذرية من نوعه تملأ الأرض على رحبها؟

إن العظام في جمجمة الطفل يفرقها غضروف يتيح لمخه مزيداً من النمو، وقد يستمر ذلك في طور الشباب إذا كان تمة حاجة إلى مثل هذا التوسع. ولكن الواقع أننا نصبح ذوي أدمغة صلبة في وقت باكر... ويحسن بنا أن لانغلق عقولنا دون الحقيقة قبل الأوان.^١

لا خالق إلا الله

هل باستطاعة الإنسان أن يخلق خلقاً: شجراً أو حيواناً أو إنساناً يُشبهه تماماً، متخذاً من إحدى خلاياه ليتكون إنساناً سويّاً نظير ما يتولد بانعقاد النطف في الأرحام؟ سؤال أثير في هذا الأخير: إنهم عمدوا إلى بعض خلايا الحيوان ليربوها في أجهزة تشبه الرحم أو في الرحم ذاته ولكن لآعن طريق التزاوج.. فهل هذا بإمكان الإنسان؟ وإذا كان ممكناً، فهل لا يتنافى مع مسألة التوحيد في الخلق؟!

قلت: أمّا الإمكان فلا مردّ له، بعد أن تمكن العلم التجريبي من صنع أحجار كريمة على غرار أصولها الطبيعية. وذلك بعد أن عثر وأعلى ذات العناصر المكونة لذلك الكائن، وتوفير شرائطه الطبيعية، متنسباً من الطبيعة ذاتها. فمثل هذا التكوين نشأ عن تقليد الطبيعة، وليس إبداعاً في الصنع، بما يعطي هذه الكلمة من مفاد.

وهكذا عمل الإنسان في تكثير أنواع الأشجار، لآعن طريقة زرع البذور فحسب، بل عن طريقة غرس الأقلام^٢ أو بالتطعيم^٣ أيضاً. الأمر الذي عرفته البشرية منذ أحقاب. فإذا لم يكن ذلك متنافياً مع مسألة التوحيد الأفعالي. فكذلك ما لو استطاع الإنسان أن يوجد إنساناً نظيره، متخذاً من إحدى خلاياه وتنميتها في ظروف مساعدة ليصبح

١ - العلم يدعو للإيمان، ص ٨٣ - ١١٠.

٢ - باشعاز فروع الأختصاص وغرسها، فنلمو وتزدهر على غرار أشجار الأهل.

٣ - هو: وصل برعم أو فرع صغير مأخوذ من نبات، بساق نبات آخر. فإذا نجحت هذه الطريقة يصبح القطع نموّاً يقدّمه الشئخ (شريح رقيق أبيض يجري في أنسجة الأشجار وترشح منها إذا قطعت) انجاري في نسيج انجزه انقطع.

إنساناً على شاكلته. وما هو إلا اقتباس من نفس الطبيعة وليس إبداعاً بتمام معنى الكلمة. وهذا نظير ما زعمه بعض أهل الجدل - هو ابن أبي العوجاء - أن باستطاعته أن يخلق الديدان والحشرات، بتمهيد أرضيته، فتوجد بفعله - كما زعم - قال للإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أليس تزعم أن الله خالق كل شيء؟ قال: بلى، فقال: أنا أيضاً أخلق. قال له الإمام: وكيف تخلق؟ قال: أحدث، فما ألبث حتى يصير دواباً. فأكون أنا الذي خلقتها! فقال الإمام: أليس خالق الشيء يعرف أعداد مخلوقه وأوصافه؟ قال: بلى، قال: فتعرف الذكر منها من الأنثى وتعرف كم عمرها؟ فسكت.

نعم، ليس كل من يمهّد أرضيته حدوث شيء، بخالق، بعد أن كان عمله مجرد توفير شرائط حدوث شيء، وظروفه المؤاتية له، وفقاً لمنهج الطبيعة، التي سنّها الله تعالى في الخلق والإيجاد. فلا يوجد شيء، إلا بإذنه وتحت إرادته تعالى، ووفقاً للنظام العام الذي سنّه الله تعالى لحدوث الأشياء. إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله ولا خالق إلا الله. قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»^١. و قال: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ»^٢. نعم «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ»^٣. فكل موجود، وحتى الذي يحدث على يد نبيه تعالى، فإنما هو مصنوع لله، لا شريك له في الخلق والإبداع.

وأما قوله تعالى: «يا أيها الناس ضربَ مَثَلٍ لِمَنْ لَمْ يَأْتِ بِدِينٍ فَإِنْ أَنْتُمْ تَدْعُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ»^٤، فالمراد: خلق إبداع لا خلق تقليد واقتباساً من سنن الله في الطبيعة.

١ - نقلاً بتصريف وتأليف - بحار الأنوار، ج ٤، ص ٥٠، رقم ٢٤ عن كتاب التوحيد تصديق.

٢ - اتواقعة ٥٦: ٦٤.

٣ - اتواقعة ٥٦: ٥٩ و ٥٨.

٤ - اتواقعة ٥٦: ٥٧.

٥ - اتواجع ٢٢: ٧٣.

منشأ تكوين الجنين

«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ»^١

الدَّفِقُ: الدفع بشدّة، والدَّفِقُ هنا بمعنى المدفوق، وقد شاع هذا الاستعمال عند العرب ولاسيما عند أهل الحجاز. قال الفراء: أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المنعول فاعلاً إذا كان في مذهب نعت، كقول العرب: هذا سرُّ كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية. قال: وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هي معهن^٢ والصلب: العمود الفقري الممتد من الكاهل حتى العجب. والترائب: جمع تريب وتريبة، أطلق على عظام متساوية الأطراف ومترادفة التركيب في هيكل الإنسان العظمي، منها الصلوع الكائنة بين الثديين، ومنها العظم النائي، بين الحاجبين فوق العينين، ومنها العظم المنحني المتساوي الطرفين الكائن بين أصول الفخذين فوق العانة كما نقل عن الضحاك - فيما رواه ابن كثير - قال: الترائب بين الثديين والرجلين والعينين.^٣

١ - انظر في ٨٦: ٥، ٧.

٢ - تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٩٨.

٣ - معاني القرآن، ج ٤، ص ٢٥٥.

وأصله من «ترب» بمعنى تساوي الشئين، وهو أصل في اللغة، كما قال أحمد بن فارس.^١

ومنه الأتراب - جمع التراب - بمعنى الخدن، ومنه التريب أي الصدر عند تساوي رؤوس عظامه، ومنه التريات وهي الأنامل لتساوي أطرافها، والواحدة تربة.

قوله: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ» أي صُلب الرجل وترائبه. لأن الولد إنما يتكوّن من ماء الرجل، أي نطفته لا غير. كما قال تعالى: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ»^٢ والنطفة ماء الرجل ومنه يُنزله بشهوة ودفق. صرح بذلك أهل اللغة والأصل: سلاله الماء وزلاله. والأكثر استعماله في النزر منه، وبذلك خصّ إطلاقه على مني الرجل. قال الراغب: النطفة الماء الصافي، ويعبر عن ماء الرجل. وفي قوله تعالى: «أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمِينِي»^٣. وقوله: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الذُّرِّيَّ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا مَنَى»^٤ تصريح بأنه مخلوق من ماء الرجل يُنزله في رحم المرأة. والآيات بهذا الشأن كثيرة.^٥

وقوله: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ»^٦ أي أخلط من عناصر شتى. قال الإمام الرازي: لا شك أن أعظم الأعضاء معونة في توليد المنى هو الدماغ، والدماغ خليفة وهي النخاع، وهو في الصلب، وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن، وهو التريبة، فلهذا السبب خصّ الله تعالى هذين العضوين بالذكر.^٧

وسندكر أقوال الحكماء المتقدمين تعقيباً على كلام الأطباء المحذّرين، مشفوعة بروايات تُساند هذا القول بصراحة.

دور الصلب والترائب في إفراز المنى

النطفة تتكوّن عند الرجل في أنابيب الخصية، ثم بعد كمال تكوينها ونضجها تنتقل

١ - معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣٤٦.

٢ - التقييد ٧٥، ٤٧.

٣ - راجع: التكليف ١٨، ٣٧، والتحج ٢٢، ٥، والمؤمنون ٢٣، ١٤، وفاطر ٣٥، ١١، ويس ٣٦، ٧٧، وغافر ٤٠، ٦٧.

٤ - الإيمان ٧٦، ٢، وعيس ٨٠، ١٩.

٥ - التفسير الكبير، ج ٣١، ص ١٢٩ - ١٣٠.

بالجبل المنوي، إلى الحويصلين المنويين، ومنهما إلى القناتين الدافقتين، فالإحليل، فالى خارج الجسم.

والصُّلب - حسب علم التشريح - يشمل: العمود الفقري الظهرى، والعمود الفقري القطني، وعظم العجز. ويشتمل من الناحية العصبية على المركز التناسلي الأمر بالانتعاش ودفق المنى وتهيئة مستلزمات العمل الجنسي. كما أن الجهاز التناسلي تعصبه ضفائر عصبية عديدة ناشئة من الصُّلب، منها الضفيرة الشمسية، والصفيرة الخلفية، والصفيرة الحويضية. وتشبك في هذه الضفائر الجملتان الودية ونظيرة الودية، المسؤولتان عن انقباض الأوعية وتوسعتها، وعن الانتعاش والاسترخاء وما يتعلق بتمام العمل الجنسي. أما الترائب فقد عرفت أن من معانيها ما يتفق مع الحقيقة العلمية، وهي عظام أصول الأرجل أو العظام الكائنة ما بين الرجلين، كما ذكره ابن كثير نقلاً عن الضحاك.

وأصبح تفسير الآية - على ضوء هذا التوضيح، كما ذكره الدكتور كنعان الجابري، في كتابه «موجز علم النسيج» -: إن الماء الدافق الذي هو ماء الرجل (أي المنى) يخرج من بين صلب الرجل وترائب (أي أصول أرجله). وذلك لأن معظم الأمكنة والممرات التي يخرج منها السائل المنوي تقع من الناحية التشريحية بين الصُّلب والترائب. فالحويصلان المنويان - وهما الغدتان المفرزتان - يشكل إفرازهما قسماً من السائل المنوي، ويقعان خلف غدة الموتة (البروستات) وإفرازهما ذو لون غني بالفركتوز. كما أن لهما دوراً إيجابياً في عملية قذف السائل المنوي على شكل دفقات بسبب تقلص العضلات الموجودة بهما. وقال الدكتور حسن هويدى: إن في تعبير الآية الكريمة دلالة على تعاون الصُّلب والترائب في هذا الإفراز وإخراج السائل المنوي، كعاملين لإخراج المنى من مستقره ليؤدى وظيفته. وذلك لأنه يخرج من بين صلب الرجل - كمركز عصبي تناسلي أمر - وترائب - كمناطق للضفائر العصبية - المأمورة بالتنفيذ. حيث يتم بهذا التناسق بين الأمر والمأمور خروج المنى إلى القناتين الدافقتين. وهذا ثابت من الناحية العلمية، وموضح

لدور الجملة العصبية، ولا بد من تعاون الجانبين لتدقق المنى، فإن تعطل أحدهما توقّف العمل الجنسي الغريزي.

تكوين الولد من نطفة الرجل وبيضة المرأة

يتألف جهاز الرجل التناسلي من غدتين يغلفهما كيس جلدي مرن يسمّى بالصفن، الذي يتدلّى بين الفخذين، وتحتوي كلّ خصية آلافاً مؤلّثة من أنابيب متناهية في الصغر ملتصقة حول بعضها، وتسمّى بالأنابيب المنوية.

ومثل الخصية كمثل مصنع يخرج نطف الرجل وبذوره، فتمتّى أينعت النطف وتمّ تكوّنها سارت في أنابيب دقيقة تنقلها إلى مستودع يحتضنها ويحنو عليها ليجعلها صالحة للتلقيح عند الطلب. وتتسابق النطف المكثّسة في المستودعين إلى الخروج من سجنها (الحويصلات المنوية) عند تفجّر البركان الجنسي، فتسير في الإحليل، تدفعها تقلّصات عضلية تقذف بها خارجاً لتؤدّي رسالتها في حفظ النوع.

أمّا المرأة فيتألف جهازها التناسلي من مبيضين يسكن كلّ منهما الجهة المناسبة من أسفل حوض المرأة، ويقوم بوظيفة طبع وإنتاج البيضة. وتحرّر المرأة بيضة واحدة في كلّ شهر، يقوم بإطلاقها أحد المبيضين بالتناوب، فيتلقّنها أنبوب مجوّف (الثبير) يحتضن البيضة ويساعدها في مسيرها، فتجتاز تلك المسافة ثمّ تستقرّ داخل الثبير دون نهاية التلت الأول منه من طرف الرحم في موضع يسمّى «البوق» وتنتظر خطيبتها (الحيوان المنوي) الذي يأتيها من نطفة الرجل.

ولكي يتمّ الإخصاب ويتكوّن الجنين يجب اجتماع عنصري الإلقاح: الحيوان المنوي المدكّر المسمّى «النطفة» والبيضة المؤلّثة. وإنّ الحمل يتمّ لقاءً بين البيضة، وهي عنصر منفعل غير مؤثّر يصنعه جسد المرأة، وبين الحيوان المنوي، وهو عنصر فاعل يصنعه جسد الرجل. وهذا اللقاء يؤلّف المصنعة البشرية.

والسائل المنوي - الذي يقذفه جهاز التناسلي للرجل - يكون عادةً ثلاثة سنتيمترات مكعبة تحوي (... / ... / ٢٥٠) مائتين وخمسين مليون من الحيوان المنوي تقريباً، يستطيع كل واحد منها أن يكون جنيناً إذا ما أتيحت له بيضة مؤنثة حيئة ناضجة، ليدخل فيها فيلتحقها وتغدو معها حجيرة كاملة تامة التكوين.

وتختلف المرأة عن الرجل في أنها لا تبيض سوى بيضة واحدة في الشهر، وليس لها سلطان في تحريرها وإرسالها للتلقيح، لأن مبيض المرأة يمارس عمله مستقلاً عن إرادتها، وذلك في دورة قمرية تقريباً تتراوح عادةً بين ٢٧ و ٢٨ يوماً، وهي دورة شهرية طمعية حقيقية، تبتدىء بظهور دم الحيض وتنتهي بانتهاء أيام البيض (القضاء) وظهور دم حيض ثانٍ. كل ذلك خارج عن إرادة المرأة، الأمر الذي لا يمكن تقديمه أو تأخيرها عن وقته المحدد الطبيعي أو اختصاره أو الزيادة عليه.

وعندما تنضج البيضة وتحرر من مكانها يجذب النثير إليها ليتلقفها، ثم تأخذ حجيراتها الفارشة بالاهتزاز لسوق البيضة نحو الرحم، ومتى وصلت هذه البيضة إلى نهاية الثلث الأول من النثير (البوق) تنتظر لقاء الحيوان المنوي الآتي من قبل إفراغ نطفة الرجل في الرحم عن طريق المهبل، فتستقبله وتحضنه، وبذلك يتكون أول خلية من خلايا الجنين.

وتنتهي المقارنة الجنسية بين الذكر والأنثى بقذف الحيوانات المنوية في داخل المهبل، حيث تتسابق هذه الحيوانات إلى غايتها، كأنها في مباراة للجري. وغايتها هي حصول اللقاء مع البيضة حيث كانت في حالة انتظار، فالحيوان المنوي الذي سبق الآخرين إنما يحاول الدخول في البيضة فتتقبله البيضة، وترسل لاستقباله وجذبه نثوة في واجهته (الاستطالة في سطحها المواجه للحيوان المنوي الآتي إليها) كي تحتضنه.

ويتكون الجنين نتيجة لاتحاد جسدي الرجل والمرأة، أو على الأصح نتيجة لامتزاج نطفة الرجل مع بيضة المرأة، وتغدو هذه البيضة بعد التلقيح (دخول الحيوان المنوي فيها) ناضجة مكتملة بعناصر النمو والتطور وتكوين الجنين. والحيوان المنوي بيضوي الشكل ذو ذنب، سريع الحركة لا يهدأ ولا يسكن، ويبقى حياً مدة ثلاث أيام إذا

كان الجوّ الحراري ملائماً.

فالسائل المنوي يتدفق من عضو الرجل داخل مهبل المرأة، ويتم امتصاصه من قِبَل رحمها. أما البيضة فتربض في النفير بانتظار الزائر المضلل. وكلّما كان تدفق المنى عميقاً كانت المسافة قصيرة لحصول اللقاح بين عنصري تكوين الجنين.

يقول علماء الاختبارات الدقيقة في هذا المجال: إنّ النطفة تقضي بين ٨-١٢ ساعة لقطع المسافة من المهبل إلى النفير حيث تلاقى البيضة فيه.

وقد تأكّد لكثير من العلماء أنّ الحيوان المنوي يسير بدبذبات الذئب بسرعة ٢-٣ مليمترات في الدقيقة الواحدة، لذلك يحتاج في سيره إلى مقدار خمس ساعات لقطع مسافة العشرين سنتيمتراً التي تفصل عنق الرحم عن منطقة اللقاء (حيث مستقرّ البيضة). وإنّ حياة الحيوان المنوي داخل جهاز المرأة التناسلي لا يتعدّى ٤٨ ساعة (يومين) إذا كان الوسط الذي يعيش فيه ملائماً وكانت خصيتا الرجل سالمين قادرتين على إنتاج نطف قويّة قويمة.

وقد عرفت أنّ بيضة المرأة لا تلبث أكثر من ثلاثة أيام، فهي لا تعمر ولا تبقى حيّة طويلاً إلا إذا أنقذها حيوان منوي من نطفة الرجل، يساعدها على إتمام مصيرها والمضي بها لأداء رسالتها.

وللشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره بيانٌ على أساس تكوين الجنين من الماءين: نطفة الرجل وبيضة المرأة، يخرجان من بين صلبيهما وتراثيهما معاً، وله في ذلك استفتاء من أحد مراجع الطب الحديث بالقاهرة، قال:

إنّ الولد يتكوّن من منيّ مدفوق من الرجل، فيه جرتومة حيّة دقيقة لا ترى إلا بالآلة المعظّمة (الميكروسكوب) ولا تزال تجري حتى تصل إلى جرتومة نظيرتها من جراثيم

المرأة وهي البويضة، ومتى التفت الجرثومتان اتحدتا وكونتا جرثومة الجنين.
قال: وقد استفتيت في نظرية الحمل وكيفية تكوين الجنين النحاسي البارع
عبد الحميد العراقي بيك وكيل مستشفى الملك سابقاً، فأجابني حفظه الله بما يأتي:

كيفية حصول الحمل ونمو الجنين في الرحم

قال الله تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ
وَالْتَرَائِبِ» وقال أيضاً: «وَيَقْرَأُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى».^١
اعلم أخي وفقدك الله إن في هاتين الآيتين وما شاكلهما من الآيات سرّاً من أسرار
التزويل ووجهاً من وجوه إعجازه، إذ فيهما معرفة حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف
عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرناً.

بيان هذا: إن صلب الإنسان هو عموده الفقري (سلسلة ظهره) وترائبه هي عظام
صدره، ويكاد معناها يقتصر على حافة الجدار الصدري السفلي.
وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا
هذه الآيات التي حيّرت الألباب، وذهب المفسرون مذاهب شتى على قدر ما أتى كل
واحد منهم من علم، وإن كان بعيداً عن الفهم الصحيح والرأي السديد.

ذاك أنه في الأسبوع السادس والسابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى
«جسم وولف وقناته» على كل جانب من جانبي العمود الفقري، ومن جزء من هذا تنشأ
الكلى وبعض الجهاز البولي، ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة.
فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي
ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع.

ومما يفسر لنا صحة هذه النظرية أن الخصية والمبيض يعتمدان في نموها على
الشريان الذي يمدّهما بالدم، وهو يتفرّع من الشريان «الأورطي» في مكان يقابل مستوى

الكلى الذي يقع بين الصلب والتراتب، ويعتمدان على الأعصاب التي تمدّ كلاهما وتتصل بالضفيرة الأورطية، تمّ بالعصب الصدري العاشر، وهو يخرج من الشخاع بين الضلع العاشر والحادي عشر، وكلّ هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم فيما بين الصلب والتراتب.

فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شؤونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كلّه على مكان في الجسم يقع بين الصلب والتراتب فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم.

هذا، وكلّ من الخصية والمبيض بعد كمال نموّه يأخذ بالهبوط إلى مكانه المعروف، فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن لا تتمّ عملية الهبوط هذه، فتتقف الخصية في طريقها ولا تنزل إلى الصفن، فتحتاج إلى عملية جراحية حتى تصل إلى وضعها في الموضع الطبيعي.

هذا، والإنسان يبدأ حياته جنسياً والحيوان المنوي (يتكوّن) من تلقيح بويضة تخرج من المبيض مندقّةً نحو بوق الرحم بالحيوان المنوي الذي تفرزه خصية الرجل، ويكون التلقيح في الغالب في داخل أحد البوقين أو فيهما معاً، تمّ تسير البويضة في طريقها إلى الرحم حتى تستقرّ في قرار مكين إلى أجلٍ مسمّى.

هذا إذا صادفها أحد الحيوانات المنويّة. أمّا إذا أخطأها التلقيح فتكون ضمن الإفرازات الرحمية التي تُطرَد في خارج الجسم.

وممّا يلاحظ أنّ إفراز البويضات عند المرأة هو عملية فسيولوجية شهرية لا علاقة لها بالاجتماع الجنسي، غير أنّ هذا الاجتماع ضروريّ لعملية التلقيح بالحيوان المنوي الذي يسبح في ماء الرجل.

وممّا سبق تعلم أنّ الماء الدافق يكون من كلّ من الرجل والمرأة، أمّا ماء الرجل فيتكوّن من الحيوانات المنويّة وسوائل أخرى تفرزها الخصية والبروستاتة والحوصلات

المنويّة. وهذه السوائل كلّها جعلت مَباءةً ومستقرّةً للحيوان المنوي الذي بدونّه لا يتمّ التلقيح.

وهكذا الحال في البويضات التي يفرزها مبيض المرأة، فإنّها بعد أن تكون في المبيض على شكل حويصلة صغيرة تسمّى حويصلة (جراف) تنمو وتبلغ أشدها في نحو شهر حتّى تنفّز من المبيض ثمّ تنفجر كما تنفجر الفقاعة وتندفع منها البويضات مع السائل الذي خرج من الفقاعة إلى البوق حيث يتقابلها حيوان منوي يقوم بعملية التلقيح. وكلا المادّين (ماء الرجل وماء المرأة) دافق، أي ينصبّ مندفعاً، وهذا هو الحاصل فعلاً. ومن هذا يتبيّن بوضوح أنّ الإنسان خلق ونشأ من الماء الدافق (ماء الرجل، وأهمّ ما فيه الحيوان المنوي، وماء المرأة وأهمّ ما فيه البويضة) الذي ينصبّ مندفعاً من عضوين هما الخصية والمبيض، ومنشأهما وغداؤهما وأعصابهما كلّها بين الصلب والتراتب.

وقد ثبت في علم الأجنّة أنّ البويضة ذات الخلية الواحدة تصير علقنة ذات خلايا عدّة، ثمّ تصير العلقنة مضغّة ذات خلايا أكثر عدداً، ثمّ تصير المضغّة جنيناً صغيراً ورزعت خلاياه إلى طبقات ثلاث يخرج من كلّ طبقة منها مجموعة من الأنسجة المتشابهة في أول الأمر، فإذا تمّ نموّها كوّنّت جسم الإنسان.

الذكورة والأنوثة في ماء الرجل

قال تعالى: «وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّؤُوسَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ»^١.

البويضة الملقحة التي يتكوّن منها الجنين تحتوي على ٢٢ زوجاً من صبغيات جسمية يتكوّن منها بنية جسم الجنين، وزوج واحد من صبغيات جنسية هي التي تعيّن جنس الجنين أذكر هو أم أنثى وهذا التعيين يأتيه من نطفة الرجل: كروموزوم (س) أو كروموزوم (ي).

وقد استطاع الطب الحديث اليوم من تمييز نوعين متساويين من النطف عند كلِّ

١ - تفسير الصراحي، ج ٣٠، ص ١١٢-١١٥. ٢ - التاجم، ٥٣: ٤٤-٤٦.

رجل، يحتوي أولهما على صبغيات تسمى (كروموزوم - س) ويحتوي ثانيهما على (كروموزوم - ي). وعند اندفاع هذه النطف في الرحم يزاحم بعضها بعضاً تسابقاً وتدفعاً، بحثاً عن البيضة وجرياً وراءها. فإن كانت النطفة الملقحة من النوع الأول أي (كروموزوم - س) سوي خلق الجنين ذكراً، وإن كانت النطفة الملقحة من النوع الثاني أي (كروموزوم - ي) سوي خلق الجنين أنثى.

وقد أثبتت التجارب الطبية ودلت الاختبارات العلمية المجراء على آلاف الأزواج أن الصبغيات الكامنة في النطف تتناقل الأوصاف والأخلاق والألوان العائلية بطريق الوراثية، على ما هو معروف.

وعلى أية حال فإن نطف الرجل هي المسؤولة عن تحديد الجنس، لأنها تحمل الأشكال المتغايرة من صبغيات جنس الجنين. وهذا ما ذكره القرآن بصراحة.



نظرة الأطباء القدامى

قال الشيخ أبو علي المعروف بابن سينا في كتاب «القانون» عند تشريح أعضاء التناسل: قد خلق الأنتيان عضوان رئيسيان يتولد فيهما المني من الرطوبة المتحلبة إليهما في العروق كأنها فضل من الغذاء الرابع في البدن كله، وهو نضج الدم والطفه، فيتخضخض فيهما بالروح في المجاري التي تأتي البيضتين من العروق النابضة والساكنة المتشعبة من عرق نابض وعرق ساكن هما الأصلان. ثم ينصبّ عنهما في أوعية المني إلى الإحليل وينزرق في مجامع النساء - وهو الجماع الطبيعي - إلى الرحم. ويتلقاه فم الرحم بالانفتاح والجذب البالغ، إذا توافى المدفقان معاً.

والمجرى الذي تأتي فيه العروق إلى الأنتيين هو في الصفاق الأعظم الذي هو على العانة. وأما الغشاء الذي يغشي الشرايين والأوردة الواردة إلى الأنتيين فمشاء من الصفاق الأعظم - كما علمت - وبذلك يتصل أيضاً بغشاء النخاع، وينحدر على ما ينحدر من

٢ - مع نطف في القرآن الكريم، ص ٢٧.

١ - أحفال تحت انطاب، ص ١٦٧.

العروق والعلائق في بربخي الأريية إلى الأنتيين.

وأما التنضيب فإنه عضو آلي يتكوّن من أعضاء مفردة رباطية وعصبية وعروقية ولحمية، ومبدأ منبته جسم ينبت من عظم العانة، رباطي كثير التجاويرف واسعها، وتجري تحت هذا الجرم شرايين كثيرة واسعة فوق ما يليق بقدر هذا العضو، وتأتيه أعصاب من فقار العجز.

وسبب المنى هو أن المنى فضلة الهضم الرابع الذي يكون عند توزع الغذاء في الأعضاء راشحة عن العروق.

وعند جالينوس والأطباء أن للذكر والأنثى جميعاً زرعاً يقال عليه اسم المنى فيهما، لا باشتراك الاسم بل بالتواطؤ وفي كل واحد من الزرعين قوة التصوير والتصوير معاً، لكن زرع الذكر أقوى في القوة التي منها مبدأ التصوير - بإذن الله تعالى - وزرع الأنثى أكثر في القوة التي منها مبدأ التصور. وأن مني الذكر يندفق في قرن الرحم فيبلغه فم الرحم بجذب شديد، وأن مني الأنثى يندفق من داخل رحمها من أوعية وعروق إلى موضع الحمل.

وأما العلماء الحكماء فمحصول مذهبهم أن مني الذكر فيه مبدأ التصوير، وأن مني الأنثى فيه مبدأ التصور. وأن اسم المنى إذا قيل عليهما كان باشتراك الاسم، إلا أن يحتمل معنى جامع ويسمى له الشيء منياً، وأما في المعنى الذي يسمى به دفق الرجل منياً فليس دفق الأنثى منياً، وبالْحَقِيقَةُ فَإِنَّ مَنِي الرَّجُلِ حَارٌّ نَضِيجٌ لُخِينٌ، وَمَنِي الْمَرْأَةِ مِنْ جَنَسِ دَمِ الطَّمْثِ نَضِيجٌ يَسِيرٌ أَوْ اسْتِحَالٌ قَلِيلاً وَلَمْ يَبْعُدْ عَنِ الدَّمِيوِيَّةِ بَعْدَ مَنِي الرَّجُلِ، فَلِلذَلِكَ يَسْمِيهِ الْفِيلَسُوفُ الْمُنْقَدِّمُ طَمْثاً.

ويقولون: إن مني الذكر إذا خالط فعل بقوته ولم يكن لجرميته كبير مدخل في تقويم جرمية بدن المولود، فإن ذلك من مني الأنثى ومن دم الطمث، بل أكثر عنائه في جرمية

١ - مقصود من الاشتراك أن ماء الرجل وماء المرأة شيان متباينان لا رابط بينهما في اتصالية وانحيفة، ومن ثم فإطلاق اسم المنى عليهما من الاشتراك اللفظي، الموضوع لكل واحد من المتصيين ونوعاً على حدة. وأما التواطؤ فهو الاشتراك المعنوي، وأتت في أصل التحقيق شيء واحد اختلفا في بعض الجهات لا في اتصالية. تكن الأكثر على اتصالية شيان، وأن اسم النطفة أو المنى إنما يطلق على ماء الرجل بالتحقيق، وعلى ماء المرأة بالتبجاز واتصالية لا غير.

روح المولود، وإنما هو كالأنفحة الفاعلة في اللبن، وأما مني الأثنى فهو الأس لجرميته بدن المولود.

وقال أبقراط: إن جمهور مادة المنى هو من الدماغ، وإنه ينزل في العرقين اللذين خلف الأذنين، ولذلك يقطع فصدتهما النسل ويورث العقر.^١

ولم يعرف جالينوس هل يورث قطع هذين العرقين العقر أم لا؟

وأنا أرى أن المنى ليس يجب أن يكون من الدماغ وحده، وإن كانت خميرته من الدماغ، وصح ما يقوله أبقراط من أمر العرقين، بل يجب أن يكون له من كل عضو رئيس عين، وأن تكون الأعضاء الأخرى ترشح أيضاً إلى هذه الأصول، وبذلك يكون الشبه.^٢

قال القرشي - شارح كتاب القانون - في شرح عبارة الشيخ الأخيرة:

إنما يكون تولد المنى من الرطوبة المبهوثة على الأعضاء كالطل، وهي تتبخّر حتى تنعقد إلى الدماغ، وهناك تفارقها الحرارة المصحّرة فتبرد وتتكاثف وتعود إلى قوامها، ثم من هناك ينزل إلى العروق التي خلف الأذنين وينفذ إلى النخاع في عروق هناك، لئلا يتغيّر عن التعداد الذي أفاده الدماغ، فلا يتبخّر بالحرارة كرهة أخرى. فإذا نزلت من هناك حتى وصلت إلى قرب الأتيين صادف هناك عروقاً وأصله من الكلبيين إلى الأتيين، وتلك العروق مملوءة من الدم، فتسحق في الكلبيين وتعدل، فيحيله ذلك النازل من الدماغ إلى مشابهه بعض الاستحالة، ثم ينفذ بعد ذلك إلى الأتيين، ويكمل فيهما تعدله وبياضه ونضجه، ومنهما يندفع إلى أوعيته.^٣

ونقل المجلسي رحمته عن الحكيم «أرسطو» وجماعة من الحكماء: أنه ليس للمرأة مني - بهذا الوصف المعروف - وإنما تنصل من مبيضها رطوبة شبيهة بالمنى، وقد يطلق عليها اسم المنى مجازاً بالتشبيه (وهو ماء أصفر رقيق أشبه بدم الاستحاضة القليلة). قالوا: وإذا

١ - قال القرشي - في تفسير قوله تعالى: «لَنظَلُنَّا مِنَّه الْوَتِينَ» انفاقة ٦٩: ٤٨ - عرق في الظاهر يكون منه تولد. التفسير، ج ٤، ص ٣٨٤.

٢ - لقانون في الطب، اتفاقات الأوتى من الفن الثمسين، ج ٢، ص ٥٣٢ - ٥٣٤.

٣ - بنقل العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٩٠ من كتاب السماء والعام.

امتزج مني الرجل بتلك الرطوبة تتولد منه مادة الجنين. ومني الرجل هو العاقد الناعل، ورطوبة المرأة هي المنعقدة والمنشعلة.^١

وهذا الذي ذكره حكما، القديم والحديث هو الذي دلّت عليه الآيات وصريح الروايات، ولنذكر نماذج منها:



قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْكُونُ. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُقُونَ»^٢ فالذي يُخلق هو الذي يُمنى كما في قوله: «أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ بَيْتِي»^٣ وهذا إلى جنب قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»^٤ يدلُّ بوضوح على أن الرجل هو باذر نطفة الجنين التي يتكوّن منها، وإنما المرأة أرض صالحة لهذا الإنبات والإيلاد، كما قال: «نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ»^٥. نعم يجب أن لا يُسَى بالمواد الأرض الصالحة وأملاحها الحظّ الأوفى في تنمية الزرع وإنبات النبات. وهكذا المرأة لها الحظّ الأوفر في تنمية الجنين وتربيته ليكون ولدًا سويًا. نظير ما ليبيض الدجاج في صناره وبياضه من تموين فرخها وتكوينه الأولي، لكّنه لا يعدو تغذية نطفة الديك الداخلة في البيضة والتي تشكّل هي المبدأ الأول لتكوين الفرخ.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم والدم والشعر فمن المرأة»^٦.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن للرحم أربعة سُبُل، في أيّ سبيل سلك فيه ماء الرجل كان منه الولد. وفي رواية أخرى: إن الله خلق للرحم أربعة أوعية...»^٧

وجاء في باب المديات: وجعل مني الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء، وذلك

١ - المصدر، ص ٣٦٨.

٢ - الواقعة ٥٦، ٥٨، ٥٩.

٣ - التقيّة ٥٧، ٥٨.

٤ - البقرة ٢٢٣.

٥ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٣٦، حديث ٩، و ص ٣٣٨، ج ١٥، عن علي بن أبي طالب.

٦ - التذافي، ج ٦، ص ١٦ و ١٧، حديث ١ و ٢، باب أكثر ما تلد المرأة.

أن الله خلق الإنسان من سلالة وهي النطفة، فهذا جزء. ثم علقته، فهو جزءان. ثم مضعة فهو ثلاثة. ثم عظماً، فهو أربعة. ثم يكسى لحماً، فحينئذ تم جنيناً، فكمملت له خمسة أجزاء.^١

قال تعالى: «وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»^٢ جاء في تأويلها عن الإمام الباقر عليه السلام قال: في أصلاب النبيين. وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام: في أصلاب النبيين بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام.^٣ وتقول مخاطباً للإمام الحسين عليه السلام - في زيارته عند ضريحه بمشهد كربلاء -: أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المظهرة...^٤

وعن ابن عباس قال: ما زال النبي عليه السلام يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه. قال: وسأله عليه السلام فقلت: بأبي أنت وأمي أين كنت و آدم في الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه. ثم قال: إني كنت في صلبه وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب نبي إبراهيم. لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفياً مهذباً لا تشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما.^٥

وقد ورد بطرق متظافرة عن النبي عليه السلام: كنت أنا وعلي علي يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الظاهرين وأرحام المظهرات، حتى انتهينا إلى صلب عبدالمطلب فتسما قسامين، فجعل في عبد الله نصفاً وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة في، وجعل الوصية والفضيلة في علي.^٦

١ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٥٤، حديث ٣٧.

٢ - انشعرا ٢٦: ٢٦٩.

٣ - تصافي في تفسير القرآن، تلخيص الكاشاني، ج ٤، ص ٢٢٨، في تفسير آية ٢١٩ من سورة انشعرا.

٤ - زيارة وارث، وهي السابعة من زيارته الصلوة. ٥ - اندر المنور، ج ٥، ص ٩٨.

٦ - عن أماني التفيد وغيره بروايات كثيرة أوردها المجدسي في بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٦.

وفي الكافي بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة التي أخذ عليها الميناق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم حرّك الرجل للجماح، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقتي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم، فتردد فيه أربعين يوماً ثم تصير علقة - إلى أن قال: - ثم يبعث الله ملكين... فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أوصال الرجال وأرحام النساء.^١

وفي رواية أخرى أيضاً صحيحة الإسناد عنه عليه السلام: إذا وقعت النطفة في الرحم استقرت فيها أربعين يوماً.^٢

وعنه أيضاً - وقد سئل عن قوله تعالى: «مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ»^٣ - قال: المخلّقة هم الذرّ الذين خلقهم الله في صلب آدم عليه السلام، وأخذ عليهم الميناق ثم أجراهم في أوصال الرجال وأرحام النساء.^٤

وفي رواية الصدوق بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا وقع الولد في جوف أمه... إلى الوقت المنقذ لولادته.^٥
وفي البصائر: تقطر قطرة من تحت العرش فتقع على ثمرة أو بقلة، فيأكلها الإمام الذي يخلق منه نطفة الإمام بعده، فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب، ثم يصير إلى الرحم فيمكث فيها أربعين ليلة.^٦



والمتلخص من مجموع ما ذكرنا من كلمات أعلام التحقيق مشفوعة بظهور الآيات وصريح الروايات، هو: أن النطفة في حقيقتها من ماء الرجل وهو منية. وهي تستعمل على حيوانات منوية دقيقة هي أصل مبدأ الإنسان ذكراً أو أنثى، ولا شأن لببيضة المرأة عند

١ - الكافي، ج ٦، ص ١٤، حديث ٤.

٢ - المصدر، ص ١٦، حديث ٧، والبحار، ج ٥٧، ص ٣٥٦ و ٣٥٧، حديث ٤٠ و ٤١.

٣ - الصحيح ٤٢: ٥.

٤ - الكافي، ج ٦، ص ١٢، حديث ١.

٥ - بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٥٨، حديث ٤٧.

٦ - المصدر، ص ٣٥٢، حديث ٤٦.

تلقحها بنطفة الرجل سوى تنمية هذه النطفة وتغذيتها وتموينها بما يؤول إلى لحم وشعر،
 أمّا العظم والعصب والعروق - وهي مادة الإنسان الأصلية - فهي من ماء الرجل لا غير.
 إنّ حياة ما في نطفة الرجل هي حياة حيوانية، وأمّا حياة بيضة المرأة فهي حياة
 نباتية، سرعان ما تدبّل وتتعمّن فتتسد إذا لم ينقذها الحيوان المنوي الكائن في نطفة
 الرجل، والهائم في طلب البيضة ليدخل فيها، عندما ينطلق في الرحم لغرض تلقيحها
 وإخصابها. «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ». وفي الحديث: اختاروا النطفكم.^١
 وليس للمرأة مني كمنّي الرجل، وإمّا هو ماء أصفر رقيق هو أشبه بالمستحال من
 الدم، قد تنزله شهوة ويحصل لها فتور عنده، وهي تبيض في كل شهر بيضة هي معدة
 لتغذية نطفة الرجل وتنميتها إذا دخلت فيها. وأمّا إطلاق النطفة - في بعض الكلمات - على
 مائها فبأصل إطلاق الكلمة في معناها اللغوي: سلالة الماء وزلاله. وقد عرفت من كلام
 الحكماء أنّ إطلاق المنّي على مائها إمّا بالاشتراك اللغوي - أي معنى آخر سوى ما أريد
 من المنّي عند إطلاقه على ماء الرجل - أو تشبيهه ومجاز، وبذلك يجمع بين مختلف
 الروايات.

مركز تحقيق التراث
 * * * * *

والأستاذ عبد الكريم عبدالله نيازى في «أطوار الجنين» و «أمراض الوراثة» مقالان
 عرضهما على آيات من القرآن الحكيم. نوردهما نصّاً، والعهدّة عليه:

القرآن الكريم وأطوار الجنين

يتحدّث القرآن الكريم عن أطوار النموّ الإنساني في مواضع متعدّدة... ويجعلها دليلاً
 قاطعاً على إعادة الله الخلق كما بدأكم تعودون!!

ولقد تحدّثت الكثير من الآيات الكريمة عن هذه الأطوار مجمّلة ومفصّلة:

«ما نكّم لا ترجون لله وقاراً. وقد خلقكم أطواراً». قال ابن عباس وقنادة وعكرمة

٢ - وسائل الشريعة، ج ٢٠، ص ٤٩، حديث ٦.

١ - البقرة ٢: ٢٢٣.

٣ - نوح ٧٦: ١٣-١٤.

والسدّي وابن زيد: معناه من نطفة تمّ من علقته ثمّ من مضغته... إلى آخر أطوار الجنين.

«يا أيّها النّاس إنّ كنتم في ريبٍ من أنّبعتِ فأنا خلقناكم من ترابٍ ثمّ من نطفةٍ ثمّ من علقةٍ ثمّ من مضغَةٍ مخلّقةٍ وغير مخلّقةٍ نبّين لكم ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجلٍ مّسّميّ ثمّ نُخرِجكم طفلاً ثمّ لتبتلّوا أشدّكم ومنكم من يتوفّى ومنكم من يردّ إلى أرذل العُمُر نكي لا يعلم من بعد علمٍ شيئاً»^١.

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَاقٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^٢.

«الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»^٣.

«يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاهُ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ»^٤.

من هذه الآيات الكريمة نستطيع أن نحدّد معالم أطوار الجنين الإنساني وهي:

مركز بحثية كميتر علوم إسلامي

١ - نطفة.

٢ - علقته.

٣ - مضغة مخلّقة وغير مخلّقة.

٤ - عظام.

٥ - لحم يكسو العظام.

٦ - التسوية والتصوير «خلق آخر» والتعديل.

٧ - نفخ الروح.

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه ردّ على من قال إنّ العزل هو المبوّدة

٢ - التّؤمّنون: ٢٣، ١٢، ١٤.

٤ - الانفطار: ٨١، ٦، ٨.

١ - التّحجّ: ٢٢، ٥.

٣ - التّيسوت: ٣٦، ٧، ٩.

الصغرى قائلاً: لا تكون مؤودة حتى تمرّ على الأطوار السبع: تكون سلالة من طين، ثمّ تكون نطفة، ثمّ تكون علقته، ثمّ تكون مضغة، ثمّ تكون عظاماً، ثمّ تكون لحماً، ثمّ تكون خلقاً آخر، فقال عمر: صدقت أطل الله بقائك.

وكما عرفنا فإنّ أوّل هذه الأطوار هو طور النطفة، والنطفة تنطلق على ثلاثة أشياء هي:

١- نطفة الذكر، وهي الحيوانات المنوية.

٢- نطفة الأنثى، وهي البويضة.

٣- النطفة الأمشاج، وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، أي البويضة

الملقحة، والنطفة الأمشاج هي بداية مرحلة خلق الإنسان، حيث يلقح الحيوان المنوي البويضة في الثلث الوحشي من قناة الرحم «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَسْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»^١.

فإذا ما ملّحت البويضة وصارت بويضة ملقحة ابتدأت انقسامات متعددة، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق. وتتحوّل البويضة الملقحة «النطفة الأمشاج» إلى ما يشبه التوتة فتسمّى عندئذ التوتة. ثمّ تنتقل بعد ذلك فتصير مثل الكرة المجوّفة وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية. ويبقى قطر النطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثومية لا يزيد عن ربع مليمتر!!

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعاً كاملاً حتى تعلق هذه النطفة الأمشاج التي تحوّلت إلى كرة جرثومية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بواسطتها وبواسطة حملات دقيقة بجدار الرحم... وتتحوّل عندئذ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقه.

وفي اليوم الرابع عشر والجنين في مرحلة العلقه لا يزيد حجمه عن نقطة وفي اليوم الثامن عشر لا يزيد حجمه عن حرف كتابي ٥ وفي اليوم الرابع والعشرين وقد بدأ مرحلة المضغة يكون حجمه أقلّ من حبة القمح أو الأرز. وفي الأسبوع الرابع وهو في قمة مرحلة المضغة لا يزيد حجمه عن حبة القمح. وفي الأسبوع السادس والنصف في أوج تكوين

الأعضاء لا يزيد حجمه عن حبة فاصوليا بل أقل من ذلك. وفي الأسبوع السابع والنصف وقد تكاملت الأعضاء تقريباً لا يزيد حجمه عن حبة الفاصوليا أو الفول. وفي الأسبوع التاسع بعد انتهاء فترة الحمل ودخوله إلى مرحلة الجنين لا يزيد حجم الجنين عن ثلاثة سنتيمترات، أي ما يزيد قليلاً عن البوصة. وفي الأسبوع الحادي عشر يكون الشكل الإنساني مميزاً لدرجة لا يمكن أن يخطئها أحد، وتبدأ في هذه الفترة الأعضاء التناسلية الخارجية في التمايز. وفي الأسبوع الخامس عشر تستطيع الأم أن تحس حركة وليدها بكل وضوح، وتكون الأعضاء التناسلية الخارجية واضحة جداً.

العلاقة

هي الطور الثاني الذي تنتقل إليه النطفة، ويبدأ العلق منذ اليوم السابع (منذ التلقيح) عندما تلتصق الكرة الجرثومية بجدار الرحم، وتمتد الخلايا الخارجية الآكلة معاليق صغيرة متعددة لتلتقي بمتيلاتها الموجودة على الخلايا الظلالية في غشاء الرحم، حتى تتمكن من الولوج إلى داخل الغشاء، وتبدأ عندئذٍ تعلقها بواسطة الخلايا المخلاوية الآكلة التي تتحول إلى الحملات المشيمية، وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم! ثم إن الكرة الجرثومية تنقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة وظيفتها العلق بجدار الرحم وامتصاص الغذاء منه «وهي تشكل ٩٠ بالمائة من مجموع خلايا الكرة الجرثومية» وكتلة خلايا داخلية «تشكل ١٠ بالمائة من مجموع الكرة الجرثومية» وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين، ويتعلق الجنين بواسطة معلق يربطه بالغشاء المشيمي «الكوريون».

فهناك إذً جملة تعلقات في هذه المرحلة، تعلق أولي بواسطة الحملات الدقيقة، ثم تعلق ثاني بواسطة الخلايا الآكلة، ثم تعلق ثالث بواسطة الحملات المشيمية، ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي و بين الغشاء المشيمي بواسطة المعلق. ولاشك أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق. وأن وصف العلاقة العالقة بجدار الرحم والمعاطة بالدم المتجمد «المتخثر» هو أدق وصف لهذه المرحلة.

وتستغرق هذه المرحلة أسبوعين تقريباً، ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح كمنثري الشكل ذي ثلاث طبقات متميزة:

أ - الطبقة الخارجية «الأكثودرم».

ب - الطبقة المتوسطة «الميزودرم».

ج - الطبقة الداخلية «الأنثودرم».

وفي نهاية هذه المرحلة تتكثف الطبقة المتوسطة القريبة من محور الجنين لتشكل الكتلة البدنية، ويبدأ ظهور أو كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح، وعندئذ تكون العلقمة قد تحولت إلى مضغة.^١

وفي هذه المرحلة نجد أن الكرة الجرثومية التي كانت قبيل العلقمة لا تزيد عن نصف مليمتر قد أصبحت بعد العلقمة بأسبوع واحد فقط مليمترًا ونصفًا. وفي نهاية الأسبوع الثالث منذ التلقيح يصبح طول اللوح الجنيني - من الآن فصاعدًا - لا يحسب إلا طول الجنين الحقيقي فقط - مليمترين ونصف.

والطور الثالث حسب التقسيم القرآني هو طور المضغة «الهيكل الغضروفي المعدن للتحول إلى العظام».

الأسبوع الرابع

ويبدأ هذا الطور بظهور الكتلة البدنية ويكون أول ظهورها في أعلى اللوح جهة الرأس. ثم يتوالى ظهور هذه الكتلة من الرأس إلى مؤخرة الجنين، ويبدأ ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح. ثم تستمر في الظهور واحدة على كل جانب من محور الجنين حتى تبلغ ٤٢ إلى ٤٥ زوجاً من الكتلة البدنية.

وهذه الكتلة البدنية ليست إلا تكثفاً لطبقة الميزودرم المتوسطة بجانب محور و ميازيب في الطبقة الخارجية «الأكثودرم» وبروز نتوء في الطبقة المتوسطة «الميزودرم» و

١ - كتلة غضروفية تشبه مضغفة العلقمة في التعم.

تتكوّن بذلك خمسة أزواج من الأقواس البلعومية في المنطقة العليا من الجنين تحت قبة الرأس مباشرة.

ويكون وصف المضغفة أو القطعة من اللحم التي مضغتها الأسنان ولاكتها ثم قذفها هو أصدق وصف وأدق لهذه المرحلة.

فقد كان التعبير القرآني: أن العطفة تتحوّل إلى علقة: كرة جراثيمية لها خلايا آكلة وقاضمة تعلق بجدار الرحم وتتغذى بدم المرأة. وهي في شكلها دودة صغيرة تشبه دودة العلقة التي تمتص الدم.

ثم إن هذه العلقة تتحوّل إلى كتلة غضروفية تشبه العلك في الفم، وتكون منشأ لتكوين العظام، ثم تكوين العضلات (اللحم) بعد بضعة أيام لتكسر العظام، أي تغطّيها وتلتحم معها.



مرحلة العظام واللحم

وهي مرحلة تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع، وتتحوّل الكتلة البدئية إلى جزءين:

١ - جزء أمامي وإنسي، ويسمى القطعة الهيكلية وهي تكوّن عظام الفترات، كما أن

١ - جام وصف المتضمة - وهي كتلة غضروفية - بالمتضمة وغير المتضمة (الرحج ٢٦: ٥) أي حالة بين بين، لا هي في نعومة العلقة ولا في صلابة العظم، بل لها حالة مرونة قابلة للانحناء كما في الغضروف، تكلمها أخذة في الصلابة لتتكوّن عظاماً وتشكلاً تاماً.

والمتضمة هي المستوية التامة، يقال: خلق الله أي سواد... فالمتضمة، لا هي متشكلة تماماً - كما في الهيكل العظمي - ولا غير متشكلة رأساً، إذ فيها بعض التشكيل وهي في بدء مراحل التكوين.

قال ابن عباس: تامة الخلق وغير تامة، وهكذا ذكر قتادة، وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة وهي «ما كان سقفاً لا تخطيطاً فيه ولا تصويراً، راجع: مجمع البيان، ج ٧، ص ٧١.

والأظهر ما قد مرناه، لأن الظاهر: أن مجموع الوصفين معاً جام وصفاً للمضغفة، أي هي في حالتها الغضروفية لا متشكلة تماماً ولا غير متشكلة رأساً، بل فيها بعض التشكيل وتكلمه غير تام، تتأخذ في التمام بعد صيرورتها عظاماً.

أما التفسير الآخر فيجعل من المتضمة قسمين، بعض أخذ في النمو والتشكيل، وبعض آتت إلى التمام وانسقط. غير أن التوافق ظاهرة في التجمع لا التقسيم.

انسياب خلاياه في المنطقة العنقية «٤-٨» يشكل عظام الأطراف العليا، وانسياب خلاياه في المنطقة القطنية «١-٥» والعجزية «١-٤» يشكل عظام الأطراف السفلى. كما تشكل الأربع كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس «الجزء الموحري القاعدي» من الجمجمة. وتتكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة الصدرية «١-١٢».

و بذلك يتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه الكتل البدنية. أمّا عظام الوجه و الفكّين و عظام الأذن الوسطى «المطرقة و السندان و الركاب» فإنها جميعاً تشكل من القوس البلعومي الأول، و يتكوّن العظم اللامي من القوس البلعومي الثاني!! ولا يبقى إلا قحفلة الجمجمة التي تتكوّن من الخلايا الميزودرمية «المتوسطة» المتكثفة في قمة الرأس، والتي تتحوّل مباشرةً من غشاء إلى عظم دون أن تتحوّل إلى غضاريف، كما هو معهود في أغلب عظام الجسد.

٢- جزء خلفي وظهري ويسمى المشط العضلي الأدمي الذي سرعان ما ينقسم بدوره إلى قسمين:

أ- آدمي، وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة.
ب- عضلي، وهو يشكل معظم عضلات الجسم، وخاصة تلك الموجودة في الجذع. كما ينساب هذا التقطاع العضلي في المنطقة العنقية «٤-٨» لتكون عضلات الطرف العلوي، وفي المنطقة القطنية والعجزية لتكون عضلات الأطراف السفلية. ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول: إن عضلات الأطراف تتكوّن في موضعها، ويكون تكوّن العظام سابقاً ولو ببضعة أيام لتكون العضلات، وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام.

ويقول الدكتور «لانجمان» في كتاب علم الأجنة الإنساني: وفي الأسبوع السادس تكون هذه الهياكل الغضروفية لعظام الأطراف العلوية والسفلية قد ظهرت بوضوح وإن كان الطرف العلوي يسبق الطرف السفلي ببضعة أيام. وأول علامة على وجود عضلات الأطراف تظهر في الأسبوع السابع.

وعندما يتحدث «لانجمان» عن الثغرات والعمود الفقري يقول: وبعد أن تتحرك خلايا

التقطع الهيكلية إلى الجهة الإنسية مكونة العمود الفقري تعرف الخلايا المشبكية من الكتلة البديلة باسم المقطع الآدمي والمقطع العضلي. و نتيجة لتكوّن جسم الفترة من قطعتين هيكليتين متجاورتين فإن ذلك الالتحام يؤدي إلى تحرّك المقطع العظمية لتغطيتها.

ومعنى ذلك أنّ العظام تسبق العضلات، تمّ تكسو العضلات العظام، وصدق الله العظيم حيث يقول: «فَخَلَقْنَا الْمُضَعَّةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا»^١.

قال سيد قطب: وهنا يقف الإنسان مذهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدّم علم الأجنة التشريحي. ذلك أنّ خلايا العظام غير خلايا اللحم (العضلات). وقد ثبت أنّ خلايا العظام هي التي تتكوّن أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام وتمام الهيكل العظمي للجنين، وهي الحقيقة التي يسجلها النصّ القرآني^٢.



ثمّ أنشأناه خلقاً آخر

وهو طور التصوير والتسوية والتعديل، تمّ النسخ في الروح. والآيات الدالة على التصوير كثيرة:

منها قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ»^٣.

«وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ»^٤.

«وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»^٥.

«يا أيها الإنسان ما غرّك برّبك الكريم. الذي خلقك فسوّاك فعدّلك. في أيّ صورة ما شاء ركبك»^٦ ومن أسماء الله الحسنى المصوّر «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى»^٧.

٢ - في ظلال القرآن، ج ١٨، ص ١٦ - ١٧.

٤ - الأعراف ١٧، ١١.

٦ - الانفطار ٨٢، ٦، ٨.

١ - المؤمنون ٢٣، ١٤.

٣ - آل عمران ٣، ٦٧.

٥ - التغابن ٦٤، ٣.

٧ - الحشر ٥٩، ١٤.

وأما التسوية فهي تتم مع التصوير وقبله وبعده، وهي تشمل جميع الأعضاء. فالأطراف مثلاً عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكثف لخلايا الميزودرم «الطبقة المتوسطة» مغطى بغطاء من الطبقة الخارجية الأكتودرم. ثم تتكون في الطبقة المكتنفة من الميزودرم خلايا غضروفية، وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج العشائي. ثم ماتلبث الخلايا العظمية أن تظهر فتقوم بتثبيت النسيج الغضروفي كما تتكون خلايا آكلة فتأكل الغضاريف وخلاياها، وتضع الغضاريف عظاماً تكون مراكز للمتعظم وينتشر منها التمتعظم في أجزاء الهيكل الغضروفي.

إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة في الجنين بشكل منير، إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديداً. هذه أنبوبة القلب المستطيلة تتحول إلى شكل حرف كتابي S. ثم تتكون الغرف المتتالية: الأذين العام، والبطين العام، وبصلة القلب، والجيب الوريدي. ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذين الأيمن، وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر، ومن بصلة القلب أيضاً تنشأ جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي. ومن له أدنى إمام بعلم الأجنة وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تُهدم ويعاد بناؤها باستمرار. وتنجلى هذه التسوية والتعديل في أجلى صورها في الجنين، ثم تقل نسبياً بعد الولادة، ثم تقل كذلك بعد البلوغ، ولكنها لا تتوقف حتى في الشيخوخة.

وهناك جهاز واحد فقط لا يشمله التغيير والتبديل المستمر، ألا وهو الجهاز العصبي. فالجهاز العصبي: الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب لا تتغير بعد الولادة من حيث الهدم والبناء. ولكنها تتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها. أما قبل الولادة في الجنين - وخاصة في الشهر الثاني من الحمل - فإن التغيير يكون فيها على أشده. ففي كل لحظة هناك تغيير في الشكل أو في الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا قد أدت وظيفتها. أو في بناء مجموعة أخرى.

إن ما يحدث في الجنين شبيه إلى حد ما بما يحدث عند بناء عمارة، فهناك السقالات

والأعمدة التي تقام ثم تهدم وتزال بعد أداء وظيفتها، وهناك بناء الأساس أولاً، ثم بناء الأعمدة والجدران، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة الأبواب والنوافذ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التبليط والتزيين والتحسين «الديكور» ولا يمكن أن تقوم مرحلة التبليط قبل بناء الأعمدة والجدران، ولا يمكن وضع الموزاييك والتحسينات قبل إقامة الأبواب والنوافذ، وهكذا كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها.

وكذلك في بناء جسم الإنسان، كل مرحلة تدلف إلى المرحلة التي بعدها وما استخدم من أدوات في المرحلة السابقة ولم يعد له حاجة فلا بد من إزالته حتى لا يعوق الطريق.

وهذه باختصار هي التسوية والتعديل... وهي مرحلة مستمرة في بناء جسم الإنسان منذ أن كان جنيناً، إلى أن يصبح شيخاً هرمًا، ولكن هذه التسوية والتعديل أبرز ما تكون في الجنين.

ولا يمكن أن تتم التسوية والتعديل إلا بعد وضع الأسس، والأسس لجميع الأعضاء، توضع في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والثامن، ولهذا تعتبر هذه الفترة هي الفترة الحرجة التي تكون فيها الجينات أشد ما تكون قابلية للتغيير، ولذا فإن تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحمّيات مثل الحصبة الألمانية تكون في أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة.

ولذا ينبغي أن تجتنب الحامل التعرض لتأثيرات الأدوية والعقاقير والأشعة والأمراض المعدية مثل الحصبة الألمانية طوال فترة الحمل بصورة عامة، وفي هذه الفترة الحرجة «الأسبوع الرابع حتى الأسبوع الثامن» على وجه الخصوص.

هذا هو ملخص للتقسيم القرآني لمرحلة نمو الجنين الإنساني:

١ - نطفة «الأسبوع الأول منذ التلقيح».

٢ - علقة «الأسبوع الثاني والثالث».

٣ - مضغة «الأسبوع الرابع».

٤- العظام والعضلات «الأسبوع الخامس والسادس والسابع».

٥- التصوير «الأسبوع الخامس والسادس والسابع».

٦- التسوية والتعديل.

٧- نفخ الروح.

أما تقسيم جهابذة علم الأجنة فينتفق فيما يأتي:

مرحلة البيوضة الملقحة «النفثة الأمشاج» ويختلفون بعد ذلك، فمنهم من يجعل من الأسبوع الثاني حتى الأسبوع الثامن مرحلة واحدة، هي مرحلة الحمل، ويقسم بعد ذلك ما يحدث في مرحلة الحمل إلى:

أ- الانغراز «العققة».

ب- الجنين ذو الطبقتين.

ج- مرحلة الجنين ذي الثلاث طبقات.

د- الكتل البدنية.

هـ- تكوّن الأعضاء.



ومنهم من يقسم هذه المرحلة إلى ثلاثة أقسام فقط هي:

أ- مرحلة العلوق، وتستمر حتى تظهر أغشية الجنين والدورة الدموية وتتميز طبقات اللوح الجنيني إلى ثلاث طبقات، وتدعى أحياناً هذه المرحلة ما قبل الكتل البدنية... وهذا التقسيم ينطبق تماماً على مرحلة العققة، لأنها تبدأ بعد العلوق مباشرة، وتنتهي بظهور الكتل البدنية «أي المضغطة» ومدّة هذه المرحلة أسبوعان فقط «أي منذ نهاية الأسبوع الأول للتلقیح وحتى نهاية الأسبوع الثالث للتلقیح».

ب- مرحلة الكتل البدنية المضغوفة، ولا يختلف علماء علم الأجنة في هذه المرحلة، وهي تبدأ من اليوم العشرين أو الواحد والعشرين وتنتهي باليوم الثلاثين، وهذه المرحلة حسب التعريف القرآني هي مرحلة المضغطة.

ج- مرحلة تكوّن الأعضاء، وتبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن، وهي الفترة الحرجة بالنسبة للجينات لقابليتها الشديدة للتأثر بعوامل البيئة في هذه الفترة.

وفي هذه المرحلة نرى التقسيم القرآني يربط بين المضغة (الحالة الغضروفية) التي تتحوّل إلى عظام فيكسوها اللحم «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا». كما يربط التقسيم القرآني التصوير والتسوية والتعديل بما يحدث بعد المضغة «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^١.

وتشرحها الأحاديث النبوية الشريفة: إذا مرّ بالنطفة انتنان وأربعون ليلة بعث الله ملكاً ففسّورها... وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها... ثمّ قال: يا ربّ ذكر أم أنثى؟ فيقتضي ربّك ما يشاء ويكتبه الملك. أخرجه مسلم.

ففي نهاية الأسبوع السادس تكون النطفة قد بلغت أوج نشاطها في تكوين هذه الأعضاء، وهي قمّة المرحلة المحرّجة الممتدّة من الأسبوع الرابع وحتى الأسبوع الثامن، فيوجّهها التوجيه الذي أمر به، ونحن نعلم أنّ المبيض والخصية لا يمكن التعرف عليهما قبل دخول الملك، فإذا دخل الملك أمكن في الأسبوع السابع والثامن التعرف على الغدّة التناسلية أخصية هي أم مبيض.

وفي حديث آخر رواه مسلم أيضاً: أنّ النطفة إذا استقرّت في الرحم أربعين ليلة ثمّ يتسوّر عليها الملك فيقول: يا ربّ ذكر أم أنثى؟ وفي رواية «لبضع وأربعين ليلة» وفي رواية أخرى «لخمس وأربعين ليلة».

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه: «وكلّ الله بالرحم ملكاً يقول: أي ربّ نطفة، أي ربّ علقته، أي ربّ مضغته، فإذا أراد الله أن يتضمي خلقاً قال: يا ربّ أذكر أم أنثى؟ أنثى أم سعيدة؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه».

وهكذا نرى من مجموع الآيات والأحاديث أنّ قمّة تكوين الأعضاء وتحديد الذكورة والأنوثة أعلى مستوى الغدد التناسلية إنّما يكون في الأربعين، وهذه هي الفترة التي تسمّى فترة تكوين الأعضاء، وهي تبدأ من الأسبوع الرابع وتنتهي في الأسبوع الثامن، وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس.

الأسبوع الخامس إلى الأسبوع الثامن

وفي هذه الفترة يستطيل الحميل من ٥ ملليمترات إلى ٢٣ ملليمترًا، وتظهر عليه علامات خارجية كثيرة واضحة، وإن كان بعضها لم يكتمل في هذه الفترة. وأول مظاهر هذه الفترة:

- ١- اعتدال ملحوظ في تقوس الجسم عامة.
- ٢- بدء تكوين الوجه.
- ٣- ظهور واضح لبدء العينين والأذنين والأنف.
- ٤- بدء ظهور أزرار الطرفين العلويين فالطرفين السفليين وربما تقسيمهما.
- ٥- صغر نسبي في الذيل.
- ٦- استطالة العنق البدني ليكون الحبل السري.
- ٧- انبعاج واضح للكبد والقلب يرى على سطح الجسم.
- ٨- تحديد منطقة العنق وظهور الأقواس البلعومية على جانبيها.
- ٩- أعضاء التناسل الظاهرة «الغدد التناسلية» وإن كانت غير الجنس يمكن تمييزها في نهاية هذه الفترة.

وفي نهاية الأسبوع الثامن تكاد تكون الأعضاء الداخلية كلها اتخذت موضعها... وإن بدت تشكل أولي. وتعتبر في نهاية الأسبوع الثامن اكتمال دورة الحميل وبدء دورة الجنين، فإذا ما انتهت مرحلة تكوين الأعضاء فإن مرحلة الحميل تكون قد انتهت... وبدأت مرحلة أخرى تعرف لدى علماء علم الأجنة بمرحلة الجنين... وهي تبدأ من بداية الشهر الثالث وتنتهي بالولادة.

ولا يكون في هذه المرحلة إلا تخليق يسير، وأبرز سمة في هذه المرحلة هي ظاهرة النمو المتصل السريع، وتستمر هذه المرحلة حتى تنتهي بالأم الطلق والولادة.

ومما تقدم يبدو أن التقسيم القرآني لمراحل نمو الجنين الإنساني أدق من وصف علم الأجنة... وإن كان التقسيم القرآني يتفق مع كثير من هذه التقسيمات - كالنطفة

والمضغفة والعظام واللحم - ولا يركّز بعض علماء علم الأجنّة على مرحلة الحلقة كما يركّز عليها التقسيم القرآني... وكذلك مرحلة التصوير والتسوية والتعديل. أمّا نفخ الروح فهو لا يزال في ظني الغيب الذي لا يعلمه: «إِلَّا اللَّهُ وَآلُ اللَّهِ يُخَوِّنُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا».

وسنعرض بإيجاز لما يحدث في فترة الجنين، أي منذ الشهر الثالث إلى الولادة:
الشهر الثالث: «الشهر القمري بحسب ٢٨ يوماً».

- تبدو العنق ظاهرة.
- يلتصق الجننان.
- تتخذ الأطراف شكلاً قريباً من شكلها عند الولادة.
- بداية ظهور الأظافر في أطراف الأصابع.
- يتميز غشاء المدرق إلى جزء به: البويبي التناسلي والشرجي بوضوح.
- تبدو أجزاء القلب بوضوح ويكون له غشاء التكوّن.
- تتميز أجسام الفقرات وتظهر بعض مراكز التمعظم.
- ينمو الطحال والغدتان فوق الكليتين «الغدتان الكظريتان».
- يبلغ طول الجنين من الرأس إلى العقب ٩٠ ملمتراً.

الشهر الرابع:

- يظهر على الرأس ثمّ الجسم وبر «أي شعر خفيف».
- ويكتمل تكوين المشيمة.
- تتميز أعضاء التناسل الظاهرة فيبدو القضيب في الغلام والشفران والفرج في البنت.
- تتراجع الأمعاء التي كانت بمنطقة الحبل السري إلى تجويف البطن.

الشهر الخامس:

- يغطّي الرّغيب الرأس والجسم بأكمله، وتحسّ الأمّ أول حركات الجنين وذلك في

بداية هذا الشهر.

- تدخل الأمعاء بأكملها من منطقة السرة إلى تجويف البطن.
- يبدأ ظهور الشعر ثروة الرأس والحاجبين.
- ينمو القلب والكبد.
- يبدأ الرحم والمهبل نموّهما.

الشهر السادس:

- يزداد السائل الأمنيوس «الرهل» وهو كيس السلى زيادة كبيرة.
- تظهر طبقة دهنية تغطي بشرة الجنين.
- ينمو الجنين في هذا الشهر أكثر من أي فترة أخرى، إذ يصل طول الرأس العقبي ٣٥٠ مليمترًا ووزنه كيلو غراماً كاملاً.

الشهر السابع:

- يصل السائل الأمنيوس إلى غايته ويبلغ لثراً ونصف لتر، ثم يقل في الأشهر التالية.
- يمتلئ الجسم بازدياد الطبقة الدهنية تحت الجلد.
- نمو كبير للجهاز العصبي والعظمي وتكامل أجزأوهما.

الشهر الثامن:

- تتخذ السرة موضعها المحدد في المولود.
- يظهر الجسم مليئاً، ويزول الوبر «الزغب».
- يغزر شعر فروة الرأس.
- يغطي جسم الجنين بطبقة دهنية متجمّنة.
- تصل الأطراف إلى أطراف الأصابع.

الشهر التاسع:

- يزداد النمو واستدارة الجسم وامتلاؤه، وينفتح الجفنان، وتنزل الخصيتان إلى كيس العنق خارج الجسم.

الشهر العاشر:

□ يكتمل النمو - وخاصة في الرئتين - وتنمو الجيوب الهوائية.
 وإذا ذكرنا عشرة أشهر للجنين فالمقصود عشرة أشهر قمرية بالحساب هو ٢٨ يوماً فقط، فتكون الجملة ٢٨٠ يوماً، ويبدأ حسابها منذ بداية آخر حيضة حاضتها المرأة الحامل، وبذلك يكون العمر الحقيقي للجنين هو ٢٨٠ - ١٤ = ٢٦٦ يوماً فقط، وهذا هو العمر التقديري للجنين منذ لحظة التلقيح وبما أن الحساب منذ لحظة التلقيح - أو حتى من الاتصال الجنسي الذي حصل بعده الحمل - عسير جداً، فإن الحساب في الغالب لا يكون منذ بداية آخر حيضة حاضتها الأم.

القرآن الكريم وأمراض الوراثة

لعلّ القرآن الكريم كان أول من أشار إلى انتقال الأمراض الوراثية إلى الأبناء وإلى الجنين، فكان أول دليل وأول برهان منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، في حين كان العلم ما يزال يحبو، ولم يتم اكتشاف ذلك إلا حديثاً وبعد تجارب طويلة.
 قال الله تعالى: «فَأَنْتَ بِدُومِهَا تَحْمِلُهَا فَاتُوا بِهَا مَرِيماً لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً قَرِيحاً. يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثاً». هنا قد تعجب قوم مريم كيف تأتي أمراً قريحاً وأبوها لم يكن امرء سوء وأنها لم تكن بغيثاً!! فبين الله تعالى في هذه الآية أنه حتى الأخلاق تنتقل بالوراثة، وأن الأب إن كان غير حميد والأم إن كانت فاسدة نقلا إلى ذريتهما سوء الأخلاق بالتوريث.

قال الله تعالى: «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَفْقَهُوا شَيْئاً مِمَّا تَكْتُمُ لَهُمْ إِنَّكَ كَاشِعٌ لِمُضِعِّ السُّلُوفِ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَصَلِّ عَلَى الْكُفَّارِ النُّجَّارِ لَا يَلِدُونَ إِلَّا أُمَّتَالَهُمْ، وَلَا جَزَمَ أَنَّ الْوَلَدَ عَلَى سَرٍّ أُبِيَدَ، وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا حَيَّةً.

قال الله سبحانه وتعالى: «فَأَنزَلْنَا إِلَيْنِ سُرْقَتَهُ فَفَعَلْنَا مِثْلَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ» أي إن سرق فذلك شيء ورأى فيه، سبق أن سرق أخ له من قبل، فالسرقة وراثته في هذا الفرع، وهذا بطبيعة الحال على حسب اعتقادهم، وإن كان لا يطابق الواقع فيما يتعلق بسيّدنا يوسف عليه السلام.

هذا وفي أحاديث رسول الله ﷺ ما يؤيد تأنيير المرأة في توريث أخلاقها لأبناؤها، فيقول ﷺ في الحديث الشريف: «تزوَّجوا من الحجر الصالح فإنَّ الجرق دساس». ويقول في حديث آخر: «تخيَّروا النطفكم ولا تضعوها في غير الأكفاء». فنرى في هذين الحديثين الشريفين أن رسول الله ﷺ قد وضع أسس علم الوراثة، فحذّر من زواج المرأة إن لم تكن من الحجر الصالح، أو لم تكن من الأكفاء، لأنَّ الجرق دساس ينقل إلى النسل ما فيها من خير وما فيها من شر.

وحنناً إن تكن المرأة سيئة الخلق ورثت بويضتها نطفة الرجل فيخرج الجنين كأنه سيئ الخلق، وإن تكن غير كفء، بأن تكون ضعيفة العقل أو ذات بلد فتقل بويضتها وراثته البلد والمجنون وغير ذلك من الأمراض إلى نسلها. ولذلك أمر الرسول ﷺ بأختيار المرأة ذات الدين والخلق، فقال ﷺ في حديث آخر: تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك، فإنَّ النسل سيرث منها خلقها فيكون ملكاً رحيماً إن صلحت، وشيطاناً رجيماً إن فسدت، وهي مرآة أبنائها، وهم صورة مصعّرة منها، وفضل الرسول ﷺ دينها وخلقها. وهذه وجهة نظر الدين في الوراثة من الأبوين، وسنرى بعد ذلك رأي الطب في ذلك.

الطب والوراثة

يقول الطب: إنَّ الجنين يعتمد في خلقته وتكوينه على نوع الحيوان المنوي في الرجل ونوع البويضة في المرأة، فيخرج الولد يشبه الأبوين جسماً وعقلاً، فإن اختلف

عنهما كان موضع غرابة وشذوذ، وهذه قاعدة.

وقانون «ماندل» يقول بأن هناك وحدات تمثل صفات خاصة موجودة في الحيوان المنوي وفي البويضة، وهذه الوحدات تنتقل بعضها أو كلها إلى النسل، وعندما تتحد وحدات الأبوين المختلفة مع بعضها بإتحاد الحيوان المنوي والبويضة تتغلب وحدة على الأخرى، أو بمعنى آخر قد تغطي إحدى خواص الوحدات من إحداهما على الأخرى في الذرية. ولتضرب لذلك مثلاً يسهل علينا فهم هذه النظرية.

إذا توالد خنزيران برّيان - وقد اختير الخنزيران لسهولة عمل التجارب عليهما في المعامل - أحدهما «الذكر أو الأنثى» أبيض اللون، والثاني أسود، كان أول نسل منهما أسود اللون كأحد الأبوين، وذلك لأنّ اللون الأسود يطغى ويمسح اللون الأبيض، وليس معنى ذلك أن يذهب اللون الأبيض إلى غير رجعة، فإنّ هذا النسل سوف ينتج إذا تناسل نسلًا بعضه أسود وبعضه أبيض، وقد وجد أنّ ثلاثة أرباع النسل في هذه الحالة أسود كأحد الأجداد السود، والربع أبيض كالأجداد الأبيضين.

ومن هذا المثال السابق ندرك كيف يطغى اللون الأسود في الإرث التناسلي، فكذلك الخلق الفاسد يطغى على الخلق الحسن، كما يطغى اللون الأسود على الأبيض. فإن كان أحد الأبوين شريراً الخلق نشأ النسل أكثر ميلاً إلى الفساد وجرى ذلك في أنسال متعاقبة، ينشأ بعضهم إن لم يكن كلهم وقد التوت حُرُوقهم وسقطت مروءاتهم وضلّت عقولهم.

وهناك أمثلة من واقع الحياة وسجلّ الأطباع، ولنبدأ بذكر إرث الجنين من الأب. بدأت أسرة بأكملها - وهي أسرة «جيوكسي» في نيويورك - برجل كانت مهنته صيد السمك، وكان شريراً فاسد الأخلاق، نزاعاً إلى الشرّ ميلاً إلى الاستهتار، كما كان كسولاً في عمله حاملاً في مهنته، وقد ولد في سنة ١٧٢٠ م ورزق بخمس بنات فتزوَّجن فأتين في ستة أنسال متعاقبة بحوالي ١٢٠٠ شخص بما فيهم مائتان ضموا إلى هذه الأسرة برابطة الزواج، وقد عرف تاريخ ٥٤٠ منهم تمام المعرفة، وعرف عن ٥٠٠ آخرين جزء،

من تاريخهم، فكانوا بين أشخاص التزموا مهنة التسول وعاشوا في ملاجئ الإحسان وبين رجال ونساء فاسدين، وأكثر من نصف النساء عاهرات، وبعضهم حذق أساليب الإجرام، وتفنن في الاحتيال والنهب والسرقة والقتل.

ولم يعثر في سجل هذه الأسرة من بداية تاريخها على واحد قد تعلم في مدرسة أو تخرج في جامعة، ولكن وجد فيها عشرون شخصاً قد تعلموا صناعات مختلفة، ولكن أين تعلموها؟ لقد تعلموها بين جدران السجون، وسبب هذا النسل الفاسد كله ليس إلا رجلاً واحداً فاسداً، قد لُقحت نطفته الفاسدة المرأة، فنقلت إلى بويضتها الفاسد فورت البنات والبنين الشر.

هذا مثل طَبِي أوردته كتب الطب، وأثبتت كيف نشأ النسل فاسداً كأبيه، وقد سبقه القرآن الكريم فقال: «فَأَنْتَ بِه قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَانُوا يَا مَرْيَمُ نَقَدِ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً. يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرَةً سَوِيَّةً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ تَعِيناً».

إن إدمان الخمر هو مرض عائلات بأسرها، وإن عدواه تنتقل إلى الذرية بالتوريث ثم بالتقليد، فإن مرض الخمر يسبب أمراضاً للذرية يقتدونه. ثم إن المخ يتأثر بالخمر، فيصيح مدمنها ضعيف العقل لا يبرم أمراً ولا يعي شيئاً، فالخمر تسمم خلايا الجسم، ولا سيما المجموعة العصبية منه، وتؤثر في الحيوانات المنوية فتفسد «بروتوبلازمها» وتشوهه، فينشأ النسل كذلك مريضاً ضعيف المخ.

وليس فساد النطفة من الخمر مقصوراً على أنسال نسل ضعيف المخ أو فاسد الأخلاق، بل إنها تسبب أمراضاً أخرى في ذريات مدمن الخمر. وما أمراض الفساد الباهي والشهوة الضالّة كمرض «الساديزم» و«الماسوشيزم» إلا نتيجة ذلك.

وهذه الأمراض الوراثية هي علامة نقص في المخ وضعف في الإرادة ونزوع إلى الجريمة. وما هذا النزوع للجريمة إلا مرض عقلي، فكما أنه لا يوجد فاصل حقيقي بين حدّي العقل والجنون فكذلك لا يوجد فاصل حقيقي بين حدّي الجريمة والجنون. فإنه

لتوجد أنواع من الجرائم غريزية في الإنسان لا يمكن أن تميّز من السفه أو انحلال الميخ أو الجنون، حتى أنه من الصعب تقرير علاج أصحاب هذه الجرائم، هل يكون بين جدران السجون؟ أو فوق أسرة المستشفيات؟

إرث الجنين التناسلي من الأم

١ - أثبت الطب أن للبويضة تأثيراً كبيراً في تكوين الجنين، فالبويضة السقيمة تنتج طفلاً مشوّه الخلق. وقد ذكر الدكتور «هيجار» حالة سيّدة استوّصل لها أحد المبيضين اللذين يفرزان البويضات، وذلك لوجود مرض خبيث فيه، ثم بعد ذلك حملت، ثم وضعت طفلاً مشوّه الخلق، فعجب لذلك حيث قد أزيل المبيض، فأعاد الفحص ووجد أن المبيض الثاني مصاب بورم خبيث، وقد نشأ الطفل مشوّهاً لمرض هذا المبيض الثاني.

ويذكر الدكتور «مارشان» أن تأثير التركيب يتضح أثره، ويبدو تأثيره في البويضة من المبيض، لأنه ينتقل كل خواص الأم إلى البويضة أثناء نموها في الرحم.

٢ - وبويضة المرأة الفاسدة تنتج نسلاً فاسداً، فيصف «بويلمان» حالة أسرة بدأت بفناتين أنسلتهما امرأة شريرة سكيراً، واعتُبت في خمسة أو ستة أسال ٨٣٤ شخصاً، عرف تاريخ ٧٠٩ منهم، وكانوا بين أولاد لقطاء وأطفال عاشوا في الملاجئ وأشخاص اتخذوا التسول مهنة لهم، وبين نساء عاهرات ورجال أشرار ولصوص وقتلة.

٣ - وهذا مثل آخر عن بويضة المرأة ضعيفة العقل ذكره الدكتور «هنري جودارد» عن أسرة بدأت برجل إنجليزي طيب العصر قد تزوّج من فتاة ضعيفة العقل بلهاء، فرزقهما الله ولداً أبله. ثم تزوّج هذا بامرأة سليمة، فأنجبا خمسة أطفال ضعاف الميخ واثني سليمين.

ثم تتبع تاريخ هؤلاء فكانوا إما مرضى بأمراض عقلية نتيجة انحراف جهازهم التناسلي أو مدمني خمور أو مصابين بالصرع أو مجرمين أو ضعاف عقول، ولم يوجد فيهم بحالة اعتيادية إلا عدد قليل جداً. وهناك أمراض تنقل في النطفة وفي البويضة

للسل كمرض الزهري، فإن كان أحد الأبوين أو كلاهما مريضاً بالزهري انتقل هذا المرض إلى نسلهما في أجيال متعاقبة.

و هكذا كان رسولنا الكريم ﷺ أول من أشار إلى انتقال الأمراض بالوراثة: تخيروا لنظفكم ولا تضعوها في غير الأكفأ.

إنَّ العَلَبَ الحديث قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك بعض الأمراض تنتقل إلى الطفل بالوراثة، لأنَّ الحالة الصحية للأبوين والسيرة الطيبة للعائلة لهما تأثير على الجنين وعلى صحته وعلى وضعه الصحي.

ولقد بدأ العالم الغربي يأخذ بمبدأ الفحص قبل الزواج لضمان أن يولد الأطفال وهم سالمون على قدر الإمكان من الأمراض الوراثية.

أمَّا عن الأمراض الوراثية فلا يمكن حصرها وتعدادها، ولكننا نؤكد ما أكدته العلم الحديث من أن الجنين يحمل صفات الوالدين و صفات العائلة، وأن وضعه الصحي يتأثر بهذه الصفات... والأمراض الوراثية في معظمها هي الأمراض التي لا يمكن معالجتها بالوسائل الطبية المتعارف عليها مثل: الهيموفيليا «صعوبة تخثر الدم».

وفي بعض الأحيان هناك من يتحدر مريضاً من أب سليم. والجواب على ذلك: أن السبب هو في مرض الأجداد السابقين - كما رأينا فيما سبق الخنزير البري الأبيض - قد ينشأ في ثالث دور من التناسل من أبوين أسودين، راجعاً إلى لون جدّه الأبيض الأول.

فالأب والأم والأجداد ينتشون صفاتهم في الأولاد، و يورثونهم ما فيهم من صفات، حتى ليرى المولود كأنه نسخة طبعت مرّة أخرى من صحيفة لوح موجود، وقد نرى عائلات قد انتشر في أفرادها جميعاً شمم الأنوف، و عائلات غيرها قد تنشئ بينهم فطس الأنوف، ونرى طول القامة وضخامتها في أفراد، وقصرها وضخامتها في أفراد آخرين، ونرى عائلات قد انتقل فيها - نسلاً بعد نسل - مرض البول السكري، وإلى عائلات غيرها قد انتقل فيها الميل إلى الانتحار حتى أن أفرادها ليتشابهون في طريقة الانتحار.

وقد رأينا أن بني إسرائيل قد توارثوا حبّ جمع المال ينتقل فيهم جيلاً بعد جيل، و شاهدنا العرب الرّحّل وقد كرهوا سكنى المدن و عرفوا بحبّ الخيام، يتوارث الأبناء منهم ذلك عن الآباء. وهذه أدلة على أن الوراثة تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وأن هذه الوراثة جسمانية وعقلية ونفسية.

فكما تتجلّى في الجسم في خلقته وقامته وصورته وحركاته تتجلّى في العقل نموّه أو ضعفه و صحته أو مرضه، وذكائه أو بلاءه، و تتجلّى كذلك في النفس في صفاتها و سجاياها و غرائزها و طباعها.

هذا و قد رأينا أن النطفة هي العامل في ذلك و الناقل لها في الأب إلى نسله، و حيث إن الدين الإسلامي قد أمّم من قبل بتأثير الوراثة. فقد عبّر القرآن الكريم عن النطفة بأنها أمشاج... «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^١.

وكلما تعمّقنا في الدراسة ظهرت لنا حقيقة قوله تعالى: «مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^٢ و «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^٣. و القرار المكين هو رحم المرأة، و حقاً إنه لقرار مكين، إذ تربطه ألياف قوية في موضعه، و تثبته أربطة متينة، و يحمله حوض من عظام متينة، فتوقه الحجبتان، و على جانبيه الحرقفتان، و عظام العجز و العصعص من خلف له ساندان، ثم إنه ليغطى من أعلى بالمشانة و من أسفل بالمستقيم!!

ثم نتأمل كيف بُني جداره، و قوي إزاره، و تتألف عضلاته، و تكاثرت انحناءاته، و تجوّف داخله؟ ثم كيف تقسم هيكله إلى جزء أقل حجماً من الأول، و هو عنق الرحم؟ ثم نتأمل كيف تكوّن و تتركّب من ثلاث طبقات: طبقة بريثونية، و طبقة أخرى عضلية، و غشاء مخاطي؟ ثم كيف تكوّنت الطبقة العضلية أيضاً من ثلاث طبقات: فالأولى سطحية ضفيريّة الشكل، و الثانية غائرة سميقة مكوّنة من ألياف حلقيّة، و الثالثة موجودة بين

٢ - الأندام ٦: ٢٨.

١ - لقمان ٦٧: ١٤.

٣ - المؤمنون ٢٤: ١٢.

هاتين الطبقتين وتتكوّن من ألياف طويلة؟

هذا هو الرحم - بيت الجنين ومعقله - لم يغفل الخالق العظيم أن يحصن بابه كما حصن حيطانه، حتى يكون قراراً مكيناً وبيتاً كاملاً أميناً، فكيف حصن بابه؟

باب الرحم هو عنقه الذي يخرج منه دم الطمث في غير وقت، فماذا يحدث لهذا العنق بعد أن يحدث الحمل؟ يسدّ تجويفه بكتلة مخاطية صلبة تصير للعنق باباً، كما تغلق السدادة عنق الزجاج، وتنشأ هذه السدادة من ازدياد إفراز الغدد العنقية، وليست هذه السدادة طبقة واحدة، بل هي ثلاث طبقات بعضها فوق بعض. أو بمعنى آخر: هذا الباب يتكوّن من ثلاثة أسوار خلف سور وقاية من الجراثيم وضماناً من عدم تخطئها.

أمّا السور الأول فقد وجد بالتحصن أنّه يحوي جراثيم. أمّا السور العنقي الأوسط فهو خطّ الدفاع الهام، حيث يحتوي على كرات بيضاء تفتك بما يصل إليها من جراثيم. أمّا السور الثالث - وهو الأقرب إلى الجنين - فهو لذلك خالي من الجراثيم بعد خطوط الدفاع الأولى.

وقد ثبت طبيّاً أنّ جميع الجراثيم لا تستطيع اختراق خطّ الدفاع الأوسط ما عدا جرثومة السيلان، والسيلان مرض معدٍ ينتقل بالزنا، وكان الله تعالى لم يشأ بذلك أن يحمي نسل الزاني. ويؤكد ذلك عدم استقرار الأجنة في أرحام المصابات بمرض الزهري - وهو أيضاً من أمراض الزنا - وإن كان ينتقل بالتوريث التناسلي إلى الأبناء والبريات، فكم من امرأة صارت بالزهري سقاطاً.

هذا وإن الجنين نفسه وهو في الرحم قد لفّ في ثلاثة أكسية، كساء من فوق كساء، وبينه وبين الأكسية ماء وقاية للجنين يمنع عنه تأثير الصدمات ويحفظ فيه حرارة جسمه. قال تعالى: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ تَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِي تُصَرِّفُونَ».

هذا هو الرحم وقد ثبتت بالأربطة القوية، وتحصن بالعظام وتوثق منه بنيانه

وتحصنت أوباه وجدرانه، سور خلف سور، وسياج بعده سياج، ليكون للجنين قراراً، وفيه يتدرج أطواراً، ويحميه تسعة أشهر طوالاً.

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

ولكي نفهم كيف تصير النطفة علقة في هذه الآية الكريمة لا بد من أن نشرح بإيجاز شيئاً من متعلقات الرحم، ونهما البوقان والمبيضان وأربطتهما.

البوق: قناة تصل تجويف الرحم بتجويف البريتون، وهو معدة لنقل البويضة، ولمرور الحيوانات المنوية.

المبيض: هو عضو بيضاوي الشكل موضوع على جانب الرحم، وهو الذي ينتج البويضات للتناسل، ويشرز إفرازات تؤثر على نظام النمو لسائر الجسم. يقول الله تعالى:

«ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً»^١ وهنا فليتنامل الإنسان كلمة العطف «تَمْ». فلم يقل سبحانه: خلقنا النطفة علقة، لأن هنا دوراً يحدث، وفترة تمضي قبل أن تتحول النطفة إلى علقة!!

فإن النطفة لتصير علقة يجب أن يعيش منها حيوان واحد يمكنه أن يصل إلى بويضة المرأة في البوق، فإن لم يلتق بها حتى الطرف الوحشي للبوق فلا يحصل حمل، فإن البويضة إذا تجاوزت هذا الطرف أحيطت بمادة زلالية تعوق بل تمنع دخول الحيوان المنوي فيها.

ثم إن هذه النطفة كثيراً ما تموت في طريقها، فإن وصل أحدها إلى البويضة حصل الحمل، وإلا فالنطفة تمني، تم تموت وتذوي، فلا يحصل الحمل. وهذا هو السبب في تأخر الحمل عند بعض السيدات، فقد تكون النطفة ضعيفة فلا تستطيع الوصول إلى البويضة فتموت في طريقها ولا تبلغ هدفها، أو قد تكون هذه الحيوانات المنوية غير تامة النمو، وقد يكون خالياً منها المنى، كما هو الحال في مني بعض الناس، حيث يكون ذلك خلقة فيهم، أو يكون قد أصابهم مرض الخصيتين، فيخرج المنى خالياً من الحيوانات

المنوية. وفي حالة خلو المنوي من الحيوانات المنوية لا يحدث حمل أبداً. وإذا التقى الحيوان المنوي بالبويضة في البوق فهناك طور يمرّ قبل حدوث الحمل أو قبل تحويل النطفة إلى علقنة.

كيف يحصل التلقيح؟

إذا سرى الحيوان المنوي في داخل الرحم جذب بجاذبية خاصة إلى بويضة المرأة، فيلتقيان في البوق، ثم يخترق رأسه البويضة وينفصل ذيله خارجاً ويختفي، ثم تدخل البويضة الملقحة إلى الرحم مدفوعة بانتباض البوق ومساعدة أهداب البشرة المغطية للبطانة المخاطية. وعند دخول البويضة الملقحة إلى الرحم تأخذ طريقها في الغشاء المخاطي، ثم تعلق فيه وتتغرس في داخله، ثم يسد مكان دخولها، فإذا نظرنا إلى هذه البويضة الملقحة في مكانها رأينا جسماً متعلقاً في داخل الغشاء المخاطي للرحم. وهذا دور العلقنة، ففي اللغة: أعلق ظفره بالشئ: أنشبهه، وكذلك البويضة الملقحة قد تعلقت في داخل الغشاء المخاطي للرحم وابتمسكت فيه.

مركز حيتات كميتر علوم رسي

تفسير آخر لدور العلقنة

قال الله تعالى: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ». إبتاتاً لوجود الحياة فيها، ولا سيما أن الحيوان المنوي بعد أن يتحد بالبويضة يتناول باستطالة حتى يصبح شكله كالعلقنة تماماً، وهو في ذلك الوقت لا يمكن أن يرى بالعين المجردة ولا يميّز إلا بالمجهر، فمن يستطيع أن ينبئ عن ذلك إلا رب العالمين؟! ومن يستطيع أن يصون هذه العلقنة - وهي لا ترى إلا بالمجهر حديثاً - غير الخلاق العظيم؟!

وهكذا يثبت المولى عز وجل كيف تنتقل خواص الأب والأم إلى الجنين، وكيف أن خواص الوراثة تنتقل عبر الحيوان المنوي للمذكر وبويضة الأنثى، ولماذا حرّم الزنا في

الإسلام حفاظاً على النسل ومنعاً من انتقال الأمراض.

والسائل المنوي للمذكر عبارة عن سائل رخوي أصفر له رائحة خاصة تنشأ من اختلاطه بإفرازات تأتي من الحويصلات المنوية وغدد كوبر ومن غدة البروستاتا وغدد مجرى البول، ولا سيّما باختلاطه بإفراز غدة البروستاتا. والكمية التي تخرج في الدفعة الواحدة تتراوح بين غرام وعشر غرامات، وهذا السائل يحتوي على الحيوانات المنوية وبعض خلايا بشرية وكريات بيضاء، وبه مواد زلالية ودهنية وبعض الأملاح. ويخرج من الدفعة الواحدة من هذه الحيوانات المنوية أكثر من ٢٢٠ مليوناً، ويحتاج حدوث الحمل إلى حيوان منوي واحد لا أكثر.

والحيوان المنوي لا يرى بالعين المجردة، إذ يبلغ طوله ٥٥ ميكرونًا، والميكرون واحد من ألف من المليمتر، ويتكوّن الحيوان المنوي من رأس وعنق وجسم وذيل.

يقول الله تعالى في سورة الإنسان: «كَلَّا لَئِن عَلِيَ الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»^١ ولقد فسّر المعتدلون النطفة الأمشاج بأنها اختلاط من مني الرجل وماء المرأة الممتزجين المختلطين، وفي اللغة العربية: مشج الشيء أي خلطه.

والنطفة المقصود بها الحيوان المنوي، أي أنها خاصّة بالرجل، ويقول عليه الصلاة والسلام: «تخيّر والنطفكم ولا تضعوها في غير الأكفاء»!!

إنّ الحيوان المنوي يتحد بالبويضة، وينقل إليها صفات الذكر، فينشأ الجنين يشبه أباه، ويرث منه أمراضه. ولقد أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك أنّ نواة الحيوان المنوي ونواة البويضة هما الحاملان لخواصّ الوراثة، وذلك بانقسامهما إلى وحدات تسمى «كروموزومات» وهي التي تنقل الإرث التناسلي.

فسبحان الله العظيم، إنّ العلم كلّما تقدّم وظهرت لنا نظرياته الحديثة ازداد إيماننا بالله عزّ وجلّ وازداد إيماننا بالدين الإسلامي الحنيف والقرآن الكريم، وسبحان الله القائل: «ما

فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^١.

إنَّ جوانب عطاء القرآن الكريم - كتاب الله الخالد - للناس كثيرة ومتعددة، لا يحيط بها إنسان مهما استبحر في العلم وظنَّ أنه بلغ من المعرفة ذروتها، فكلُّما بلغ الإنسان شأواً من المعرفة وجد القرآن الكريم أبعد مدى، لأنَّه كلام الله الذي أحاط بكلِّ شيء، علماً، يقول تعالى: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا تَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ»...^٢ ويقول تعالى: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً»^٣.

وكلُّما تقدَّم العلم وأعظت الأفكار أحسن ما وصلت إليه بحوتها للحياة والأحياء وجد الباحثون ما يحتهم على الجدِّ والتشمير إلى المزيد من الهدى إليه، وحصلوا عليه من مثل قوله تعالى: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا»^٤ ويقول تعالى: «سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^٥.

والقرآن الكريم يحدو قافلة الذين يسيرون أشوار الكائنات، ويحاولون الإفادة من كلِّ ما خلق الله في أرضه وسمائه، من حيوان ونبات، وجماد وأفلاك، وظواهر كونية، وفي بحار ومحيطات، وأجواز فضاء، تميِّز الأيام عن غيرها تماماً وراء لثام، فيبدو العجب العجاب الذي نقول ويقول غيرنا أمامه: «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»^٦. أجل ماذا خلق الذين من دونه؟ وآيات الله وكلماته ما تزال تتحدثني العناء. «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسئَلُهُمُ الدُّبَابُ شَيْئاً لَأَسئَلُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»^٧ وماذا علم هؤلاء وهؤلاء؟ «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»^٨.

١ - لقمان: ٣٦، ٣٧.

٢ - الأندلس: ٣٨.

٣ - لقمان: ٣٧، ٣٨.

٤ - الإسراء: ١٧، ٨٥.

٥ - لقمان: ٣٦، ٣٧.

٥ - فضائل: ٤٦، ٤٣.

٦ - الحج: ٢٢، ٧٣.

٧ - البقرة: ٢، ٢٥٥. راجع: القرآن الكريم معجزة وتكريم، ص ١٨٤-٢١٣.

«وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ»!

هنا سؤال قد يختلف بين البعض: هل كان العلم بحمل الأنتى ونوعيته ذكوراً وإناً، خاصاً به تعالى، ولا سيما بعد تواجد الأجهزة الحديثة لمعرفة ذلك بسهولة؟

لكن السؤال إنما يتوجه إلى مَنْ فسر الآية بصورة جزئية وأن الأنتى الكذائبة هل حملت أم لا، وما هو حملها: أنتى أم ذكر؟ الأمر الذي يمكن معرفته بالأجهزة الحديثة!

غير أن الآية لا تعني ذلك؛ وهي واردة بشأن علمه تعالى الأزلي المحيط بما تحمل كل أنتى من إنسان أو حيوان، البري منه والبحري، من دبابات وزواحف وحشرات وكذا الطيور والوحوش على الإطلاق، بل ويعلمه يشمل أصناف النبات والأصناف والمرجان وكل موجود في التكوين وكان يتولد عن طريق تراوج الذكر مع الأنتى.

فإنه تبارك وتعالى يعلم ذلك كله أولاً لكل زمان وبصورة شاملة لكل الأنثى في عالم الوجود، الأمر الذي يختص العلم به والإحاطة به بمن يعلم غيب السموات والأرض لا أحد سواه.

قال تعالى: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ».

إنه تعالى يعلم علماً سابقاً أولاً: ماذا تحمل كل أنتى - عددٌ وجنساً ووصفاً - ويعلم أيضاً ماذا تغيضه الأرحام أي تفسده كما يغيض الوادي بالماء إذا ابتلعه، فيجعله ينقص. كما يعلم ما يزداد وينمو ويكثر. وكل شيء - كل موجود على الإطلاق - عنده بمقدار، هو عند الله منضبط في نظام يلائمه، خاضع لتقديره تعالى وتديره الحكيم.

ومن ثم عقبه بقوله: «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» أي المستور والمشهود عنده سواء، حيث إحاطة علمه الأزلي القديم.

والآيات من هذا القبيل كثيرة تؤكد على إحاطة علمه تعالى الشاملة، كما في قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ

إِنَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا خَبْرٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^١ والكتاب المبين كناية عن علمه تعالى الأزلي القديم... فكل شيء - بشخصه وشأنه - مسطور في ذلك الكتاب أولاً، معلوم لديه تعالى قديماً.

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^٢.
أمور خمسة جاءت في الآية، كان شأنها الاختصاص به تعالى:

- ١ - العلم بالساعة، متى تقوم القيامة.
- ٢ - هو الذي ينزل الغيث، بأسباب مهدها في نظام الطبيعة.
- ٣ - يعلم ما في الأرحام، في أعدادها وأجناسها وأوصافها، عبر الدهور ومدى الأحقاب.

٤ - لا تعلم نفس ماذا تكسب غداً بل الله يعلمه أولاً.

٥ - ما تدرى نفس بأي أرض تموت. بل الله يعلمه قديماً.

وقال تعالى: «وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى...»^٣.

وقال: «هُوَ الَّذِي يُضَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ...»^٤.

كان قرار الجنين في الرحم وكذا تصوير هندامه وترشيح صفاته، وفق عوامل طبيعته، كان الله قد مهدها وقدرها وكانت رهن إرادته تعالى، حيث يفعل ما يشاء وفق حكمته وعلمه بمصالح الأمور.

٢ - قصص ٣٦، ٣٤.

١ - الأندلس ٦، ٥٩.

٤ - آل عمران ٥٣، ٥٦.

٣ - الحجج ٤٢، ٤١.

الرجع والصدع

وأثرهما الهائل في تكييف الحياة

«وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ»^١

الفضاء المحيط بالأرض له خاصية ارتجاعية، بسبب حالتها الانحنائية الحاصلة لها بفعل الجاذبة الأرضية. وهذا الوضع الدائري للسماء هو الذي أكسبها هذه الخاصية الارتجاعية، فترجع كل ما يصعد إليها بشدة ودفق.

وقد فهم المفسرون الأوائل: أنها ترجع البخار الصاعد إليها مطراً.

والآن فقد علمنا أن الأمواج اللاسلكية والتلفزيونية ترتد هي الأخرى من السماء إذا أرسلت إليها، بسبب انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية. ولهذا نستطيع أن نلتقط ما تذيعه المذابيح البعيدة بعد انعكاسها ونستمع إليها ونشاهدها، ولولا ذلك لضاعت وتشتتت ولم نعر عليها. فالسماء أشبه بمرآة عاكسة ترجع ما يبت إليها، فهي السماء ذات الرجع.

وهي أيضاً تعكس الأشعة الحرارية تحت الحمراء فترجعها إلى الأرض لتدفئها.



والأرض تنصدع ليخرج منها النبات ونافورات الغاز الطبيعي والبتروول وينابيع المياه الكبريتية ونفت البراكين، وتنصدع مع كل هزة زلزالية.
إننا مرة بعد أخرى نجد أنفسنا أمام ألفاظ دقيقة، جامعة في معانيها، ومختارة بدقة، ومصنوفة بإحكام.

وإنها علم إلهي نافذ إلى أعماق الطبيعة، وليست علماً بشرياً مقصوراً على مظاهر الكون دون الوصول إلى أسرارها الكامنة.
فنحن أمام دقة وإعجاز وعلم شامل.

ومعنى آخر لعله أدق وأنسب لما بين صدع الأرض ورجع السماء من رابطة طبيعية، وهو أن يكون المراد - والله العالم - تراجع السماء في دورة الفلك السنوية، بسبب انحراف محور الأرض في دورتها حول الشمس قليلاً عن العمود على مستوى فلكها (مدارها) ويكون انحرافه بزاوية قدرها (٢٣/٥ درجة) ولذلك تأثير على تغير مناخ الأرض بنتيجة دورانها حول الشمس، ويؤدي إلى ما نسميه بتبدل الفصول الأربعة، فتصدع الأرض - أي تنفلق - لتخرج نباتها كلما تراجعت السماء من فصل إلى فصل، من شتاء إلى ربيع فالصيف وإلى خريف. وهكذا بسبب هذا التراجع السماوي وتبدل الفصول تستجر عيون الأرض وتتدفق مياها فتنبض بغزارة الأمطار، أو تغور وتنضب وتجذب الأرض إذا أمسكت السماء قطرها.

هكذا يرتبط اختلاف مناخ الأرض باختلاف حركات السماء ربطاً وثيقاً، «صُنِعَ اللَّهُ أَنْذِي أَنْتَقَى كُلَّ شَيْءٍ»،^١ «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».^٢

ومعنى ثالث أعمق وأخفى هي: رجعة الاعتدالين في دورة تستغرق ٢٦ ألف سنة، ومن جرّاتها يطرأ على الأرض كل ١٣ ألف سنة تغيير عظيم في المناخ وفي سطح القشرة

الأرضية من صدوع وشتوق وفوالق وجيوب، بسبب ما يحصل من تغيير في باطن الأرض من هذا التحوّل.

فقد دلت البحوث الفلكية على أن القطب الشمالي الأرضي لا يتجه اتجاهها ثابتاً إلى نقطة في السماء (النجمة القطبية) بل له دورة حول دائرة متصورة في السماء قطرها الظاهري ١٨ متراً، وتستغرق هذه الدورة ٢٦ ألف سنة.

فإذا تصوّرنا مدّ المحور الأرضي عن القطب الشمالي إلى الفضاء فالخطّ الوهمي هذا ينحرف عن النجمة القطبية اليوم درجةً ونصفاً، فإذا أخذ هذا الخطّ بالاقتراب من النجمة القطبية حتى إذا ما بلغ الانحراف عنها بنصف درجة أخذ بالابتعاد عنها، وهكذا يبتعد ويقترب منها في دائرة تستغرق دورتها ستاً وعشرين ألف سنة. وتسمى هذه الظاهرة الفلكية عندهم برجعة الاعتدالين، مطابقة لما جاء في تعبير القرآن «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ»؛ وسبب هذه الدورة أو الرجعة تأثير جاذبية الشمس والقمر، على التسم المنبعج من سطح الأرض (منطقة خطّ الاستواء الدائري)، كلّ منهما يحاول إرجاع الأرض إلى مستوى مداره.

فأخذ نقطة الاعتدال (وهي نقطة الملتقى بين مدار الأرض والدائرة الاستوائية المائلة عن المدار) بالرجوع من جرّاء ذلك.

ورجعة الاعتدالين هذه لها أثر عظيم على حياة سكّان الأرض، إذ أن من جرّائها يطرأ على الأرض كلّ ثلاثة عشر ألف سنة تغيير عظيم في المناخ، فنصف الكرة الشمالي يحلّ الصيف فيه الآن، والأرض أبعد ما تكون عن الشمس في دورتها حولها، ولذلك كان الصيف معتدلاً. وبالعكس في النصف الجنوبي الذي يكون الصيف فيها شديد الحرّ لقرب الشمس منها. والشتاء في النصف الشمالي الآن معتدل أيضاً لقرب الشمس منه. والعكس في النصف الجنوبي.

لكن بعد ١٣ ألف سنة يتحوّل المناخان، ويكون اتجاه الأرض عكس اتجاهها اليوم، فالصيف في النصف الشمالي شديد الحرّ وهو معتدل في النصف الجنوبي، والشتاء على

العكس، كل ذلك بسبب تبادل المناخ الحاصل بارتجاع نقطة الاعتدالين.
وأما الصدع فهو ينشأ من هذا الرجوع أيضاً، إذ أن دلائل العلم الحديث برهنت على أن
الزلازل الأرضية تكون صدوعاً وشفوقاً وفوالق في القشرة، بعوامل طبيعية أهمها رجعة
الاعتدالين - أي عدم تبات القطب الشمالي - ولاتزال الزلازل تنتاب الأرض كل يوم
عشرات المرات منها العنيفة وأكثرها الخفيفة، تسجلها مقاييس الزلازل من حيث لا يشعر
الإنسان بها. وهذه الزلازل كثيراً ما تحدث شفوقاً وصدوعاً في قشرة الأرض كما هو
معروف.

قال رشيد رشدي (مدرس الجغرافية في المدارس العالية ببغداد): انظر إلى هذا
الانسجام والاتساق، والإعجاز في تعبير الرجوع والصدع، والربط الوثيق الطبيعي بينهما،
فلو حاول كل عباقرة البيان ونوابغ علوم الطبيعة ليأتوا بكلمتين تخلقان هاتين اللفظتين
بمعناهما المتسع الشامل لما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.



مركز تحقيقات كميتر علوم رشدي

الفضاء يتمدد

توسّعاً مطّرداً مع تضاعف الزمان

«وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا نَمُوسِعُونَ»^١

يقال: آد يأيدُ أيدياً، وزان: باع يبيع بيعاً، بمعنى اشتدّ وقوي وصلب. أي بينا السماء بقوة وإحكام. والإيساع: الإكثار من الذهاب بالشيء في الجهات.^٢ وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى حقيقة كونية ظلت خافية ثلاثة عشر قرناً، حتى ظهرت معالمها في القرن الرابع عشر للهجرة (أوائل القرن العشرين للميلاد) حيث عثر العلم على ظاهرة التوسّع في عالم النجوم.

إنّ فسحة الفضاء لا تزال تتمدد وتتوسّع اطّراداً مع توالي الأحقاب، وإنّ مجموعة المجرّات غير العديدة تزداد تلوياً وانفلاتاً عن بعضها، كأنّها في حركاتها اللولبية أو الحلزونية آخذة بالفرار من مراكز دوائرها - إن صحّ هذا التعبير - وبذلك تتوسّع دائرة الوجود المتكوّن من هذه الأنجم المتكدّسة في ضلوع المجرّات.

هذا مضافاً إلى ما تتولّد من كواكب على إثر انفجارات هائلة في كرات عظيمة كادت تشكّل مجموعات شمسية في أحضان المجرّات.

١ - مجمع البيان، ج ٩، ص ١٦٠.

٢ - انذاريات ١: ٤٧.

عن ابن عباس في تفسير الآية: قادرون على خلق ما هو أعظم منها، أي سماوات هي أعظم مما ترون فوق رؤوسكم بأعين مجردة.

لكن الآية نصت على فعليّة هذا الاتّساع ولا يزال، وليس مجرد القدرة عليه فحسباً.

وأول من تنبّه لمطاطية السماء هو العالم الفلكي «آبه جرج لومتر» البلجيكي المتولد سنة ١٨٩٤م، وذلك عام ١٩٢٧م. كان أستاذاً بجامعة «لوون» أبدى نظرتَه هذه ردّاً على نظرية «اينشتاين» (ت ١٩٥٥م) الماديّة المحضّة للكون، كانت تفرض من شكل العالم اسطوانياً محدوداً من جوانبه الأربعة: اليمين واليسار والخلف والأمام. أمّا الفوق والتحت فلانهائيان. هكذا كان «اينشتاين» يفرض شكل العالم.

أمّا «لومتر» فقد ردّ على هذه الفرضية التي تجعل من الكون مادة هامة لا حراك فيها. وكذا من فرضية (ويليام دوسيتير) (ت ١٩٣٤م) القائلة بأن الكون حركة بلا مادة.

قال لومتر: هاتان النظرتان لا تترجح إحداهما على الأخرى، بل المترجح في النظر أنّ هذا الكون يتشكّل من مادة وحركة، ومن تمّ فإنّ له أمداً ونهاية، وإنه يشبه أن يكون ككرة قديمة يتنفّخ فيزداد توسعاً وتضخماً، ويصلط شيئاً فشيئاً عبر الأحقاب.

وُسّرت فرضيته هذه في مجلة علمية سنوية في «بروكسل» ولكنها سرعان ما توسيت ولم يعرّها أحد باهتمام. غير أنّ الأرصاد الأمريكية في نفس الوقت كانت تعمل في الكشف عن هذه الحقيقة لثري فرضية «لومتر» من عالم الكون بعين شهود.

كان «وستوملون سليفر» مدير المرصد الأمريكي عام ١٩١٢م قد أثبت أنّ أطيافاً جمّة من سحابت حلزونية تتغيّر من جهاتها، وكأنّها بفضل التوّدة الفاردة آخذة بالفرار والابتعاد من عالمنا الشمسي.

وحقيقة الفرار هذه لثنت من نظر الأستاذ «هوبل أودون ياول» فقام بجمع أطياف السحابت الحلزونية، والتي كانت جميعاً تؤيد نظرية «سليفر»، فعصم «هوبل» النظرية

وأعلن أن السحاييات الحلزونية آخذة بالفرار جميعاً بعضها من بعض، وسرعة هذا الفرار تتناسب مع الفواصل بينها، وبذلك احتارت نظار العلماء بالنسبة إلى أجرام السماء. وفي هذا الأثناء عثر الأستاذ «ادينكتون» على مقال الأستاذ «لومتر» الألف، فجعل يطالعهم وحرص شديد، معترفاً بصدق الحقيقة التي اكتشفها «لومتر» من ذي قبل، واتضح لديه ظاهرة التمدد في عالم الكون. وكان ذلك تحولاً في فرضية عالم النجوم. ومن ثم قام «ادينكتون» عام ١٩٣١م بتنظيم نظرية «التوسع الكوني» وتقدم بها إلى جامعة لندن كحقيقة ثابتة من عالم الوجود.

وخلاصة النظرية: أن عالم المجرات - وهي تفوق الملايين - قد تحولت من حالتها الهامدة التي كان يفرضها «اينشتاين» في شكلها المنحني إلى صورة كرة دائرية تتضخم وتتوسع شيئاً فشيئاً، وسرعة هذا التوسع تبلغ في شعاع مطرد مع ضعف الزمان. ففي مدة ملياردي عام (عمر الأرض) ازداد هذا الشعاع بضعف. وهي سرعة هائلة يطرد معها توسع الكون وانبساط هذا الفضاء الرحيب.

قال الأستاذ رشيد رشدي: والكون برحبه الفسيح أخذ في التوسع، كما برهن عليه التحقيق العلمي الحديث. ودلت عليه الآية الكريمة: «وَأَنسَاءَ بَنِينَهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» ولام التأكيد هنا لا تحتاج إلى توضيح في الدلالة على حتمية هذه التوسعة وعلى استمرارها في الأكوان والعوالم السماوية، فيالها من معجزة قرآنية.^٢

وقال سيّدنا الطباطبائي رحمه الله: ومن المحتمل أن يكون «موسعون» من «أوسع في الثنقة» أي كثرها، فيكون المراد: توسعة خلق السماء، كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم.^٣



هذا، ولكن غالبية المفسرين حملوا التوسعة هنا على الغنى والسعة في الرزق، كما

٢ - بصائر جغرافية، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

١ - راجع: تاريخ العلوم، ص ٨٦١ - ٨٦٨.

٣ - التميزان، ج ١٨، ص ٤١٣ - ٤١٤.

في قوله تعالى: «يَعْنِي اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ»^١ وبقرينة قوله قبل ذلك: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ»^٢ وقوله بعد ذلك: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين»^٣.

نعم هو معنى مجازي للتوسعة، أخذاً من التوسعة في المكان للتوسعة في الحال. قال الراغب: السعة يقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل، كالقدرة والوجود ونحو ذلك. ففي المكان نحو قوله: «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ»^٤ وفي الحال قوله تعالى: «لِيُتَفَقَّحُوا ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعِيهِ»^٥ وقوله: «عَلَى الْمَوْجِ قُدْرُهُ»^٦ والوسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف. والوسع الجدة والطاقة... وأوسع فلان: إذا كان له الغنى وصار ذا سعة. هكذا روي عن الحسن في تفسير الآية، قال: «وإنما لموسعون الرزق على الخلق بالمطر»^٧.

غير أن هذا المعنى المجازي للسعة يتوقف على مجاز آخر في كلمة «أيد» مجازاً من القدرة إلى النعمة، كما ذكره سيدينا الطباطبائي وهو مجاز شائع أيضاً. وسياق الآية عرض لمظاهر قدرته تعالى في الخلق والتدبير «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ»^٨ ومن تم جاء تعييبها بقوله: «فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ تَذِيرٌ مُبِين»^٩.

مركز تحقيقات كميتر علوم راسدي

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| ١ - انشاء، ج ١، ص ١٣٠. | ٢ - انذاريات، ج ١، ص ٢٦. |
| ٣ - انذاريات، ج ١، ص ٥٨. | ٤ - التلخيص، ج ١، ص ٥٦. |
| ٥ - انطلاق، ج ١، ص ٧. | ٦ - البقرة، ج ١، ص ٢٣٦. |
| ٧ - مجمع البيان، ج ٩، ص ١٦٠. | ٨ - فاطر، ج ١، ص ٣٥. |
| ٩ - انذاريات، ج ١، ص ٥٠. | |

تخلخل الهواء في أطباق السماء

وعندها تتضايق الأنفاس

«وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يُجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا

خَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ»^١



التصعد؛ محاولة أمر شاق يتكلف وتخرج. يقال: تصعد الأمر وتصاعده أي شق

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامي

عليه وصعب.

وقد ذكر المفسرون في معنى الآية وفي وجه هذا التشبيه الغريب: أن من يرد الله خذلانه يتركه وشأنه، ومن ثم يمنع من فيض أطفائه. فيتسو قلبه وينبو عن قبول الحق وعن الاهتداء إلى جادة الصواب. فعنده يجد قلبه مطموساً مغلقاً عليه أبواب الرحمة ومنافذ النور، فيجد نفسه في تضايق من الحياة ويتخرج عليه العيش. فعالة هكذا إنسان متعوس، تشبه حالة من يحاول أمراً ممتنعاً عليه فيتكلفه من غير جدوى، كمحاولة الصعود إلى أطباق السماء، ونتيجته ضيق النفس وكربة الصدر والرهق المضني لا غير.

وهذا التفسير كان يصح لو كان التعبير «كأنما يصعد إلى السماء» لكن التعبير «كأنما

يصعد في السماء».

وانظرة «التصعد» تعني معنى آخر هو: تضايق النفس وكربة الصدر والتحرّج، يقال: تصعد نفسه أي صعّب عليه إخراجها. كما يطلق «الصعود» و«الصعد» على العقبة الكؤودة، ويستعاران لكل أمر شاقّ متناهٍ في المشقة. قال تعالى: «وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْنُكُهُ عَذَاباً صَعَدًا». أي شاقاً أليماً للغاية. وقال: «سَأَرْهَقُهُ صُعُوداً» قال الراغب: أي عَقَبَةً شاقّةً.

إذاً فمعنى «كأنما يصعد في السماء»: يكابد الأمرين وتتضايق عليه الحياة، كمن يتضايق صدره ويتحرّج عليه التنفس في جوّ خائق، لا يصل الهواء الكافي إلى رئتيه، وهذا كمن يحاول العيشة في جوّ السماء المتخلخل الهواء.

وتوضيحاً لهذا الجانب من تفسير الآية وبيان وجه الشبه لا بدّ أن نمهد مقدّمة:

كان المعتقد قديماً أنّ الهواء لا وزن له، حتّى سنة ١٦٤٣م، التي قد تمّ فيها اختراع آلة المرواز (بارومتر) على يد «تروشللي»، وبواسطتها عرف وزن الهواء. فثبت عند ذلك أنّ الهواء مكوّن من مجموعة من الغازات، لكل منها وزن معيّن. ويعرف وزن الهواء فوق أي نقطة معيّنة بالضغط الجوي، ويمكن قياسه بواسطة البارومتر. وقد عرف الآن أنّ هذا الضغط عند مستوى البحر يعادل ثقل عمود من الزئبق ارتفاعه حوالي ٧٦ سم مكعب. وهذا يساوي من الثقل زهاء ألف غرام على كلّ سانتيمتر مربع.

وقدّر متوسط ضغط الهواء على إنسان عند سطح البحر ما يعادل ١٤ طنّاً، أي ١٤ مليون غرام، لكنّه على ارتفاع ٥ كيلو مترات من سطح البحر، يقلّ هذا الوزن إلى ٧ ملايين غرام، فكلّما ارتفعنا عن سطح البحر، ينقص الضغط، خصوصاً في طبقات عليا من الهواء، حيث تقلّ كثافة الهواء فيخفّ وزنه بنسبة هائلة.

والواقع أنّ نصف الغاز الهوائي - أي كثافة الغلاف الهوائي، سواء من حيث الوزن أم من حيث الضغط - يقع بين سطح البحر وارتفاع ٦ آلاف متر. كما أنّ ثلاثة أرباعه تقع تحت مستوى ١٢٠ ألف متر.

أما إذا ارتفعنا إلى مستوى ٨٠ ألف متر فلا يبقى فوق ذلك أكثر من (١/٢٠٠٠٠) من الوزن الكلي للهواء.

وبالجملة إن الهواء يخفّ ضغطه كلما ارتفعنا، فعلى ارتفاع ثلاثة أميال ونصف يكون الضغط نصف الضغط على سطح البحر، وعلى ارتفاع سبعة أميال يكون الربع، وعلى ارتفاع عشرة أميال يكون الثمن، ثم هو لا يطرّد.

ويرجع نقص الضغط بالارتفاع إلى أمور أهمها:

١- قلّة ارتفاع العمود الهوائي.

٢- فسحة الفضاء في الطبقات العليا، ممّا يوجب تخلخلًا في الهواء.

٣- ابتعادها عن قوّة جذب الأرض، التي كانت توجب ضغط الهواء في الطبقات السفلى الملاصقة للأرض خصوصاً.

٤- توفّر الغازات الخفيفة في الطبقة العليا بدل توفّر الغازات الثقيلة في الطبقة السفلى. وعوامل أخرى لا مجال لشرحها.



وبعد، فإنّ الهواء يضغط على أجسامنا من جميع الجوانب، سوى أننا لا نشعر بتأثيره ولا يتقلبه، وذلك لأنّ الدم الذي يجري في عروقنا يولّد ضغطاً على الجدران الداخلية للأوعية الدموية، وهذا الضغط الداخلي يوازن ضغط الهواء الواقع على أجسامنا فلا نشعر به. ولكنّ الناس الذين يتسلّقون الجبال العالية يحسّون بضيق في التنفّس بسبب اختلال التوازن بين ضغط الهواء الخارجي وضغط الدم.

وفي سنة ١٨٦٢م حاول شخصان انكليزيان الصعود بمنطاد إلى أقصى ارتفاع ممكن، فبلغا إلى حدّ سبعة أميال، ولكنهما عانيا مصاعب جيّمة، فتعدّرتنفسهما وأخذتا ينزّان دماً من آذانهما وعيونهما وأنفيهما وحجرتيهما، ولم يستطع العلماء في بادئ الأمر تشخيص السبب، حتى عرفوا فيما بعد أنّ الهواء يقلّ ضغطاً كلما ارتفع، فهو في الطبقات

١- راجع التفصيل في كتاب: بصائر جغرافية، ص ٢٠٤-٢٠٨.

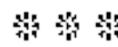
العليا أقل ضغطاً منه في الطبقات السفلى.^١

وحيث إن الجلد الذي يغطي الأعضاء المذكورة (الأذن والعين والأنف والحجرة) رقيق جداً (وهو من نوع الأغشية الرقيقة) تعذر عليه مقاومة ضغط الدم عندما يقل ضغط الهواء الخارجي فيندفق الدم من خلاله ويحصل النزيف. ويصعب التنفس بسبب هذا الضغط الداخلي.

وبذلك يتعسر تنفس الإنسان ويتضايق صدره ويكاد يختنق كلما أخذ في الارتفاع عن سطح البحر متوَعِّلاً في الفضاء.

وذلك بسبب قلة الهواء وتخلخله الموجب لانخفاض الضغط الخارجي على الجسم، مما يؤدي لنقص معدل مرور الهواء عبر الأسناخ الرئوية إلى الدم. كما يؤدي انخفاض الضغط لتمدد غازات المعدة والأمعاء التي تدفع الحجاب الحاجز للأعلى، فيضغط على الرئتين ويعيق تمددها. وكل ذلك يؤدي لصعوبة في التنفس، وضيق يزداد حرجاً كلما صعد الإنسان عالياً، حتى أنه قد يحصل نزوف من الأنف أو الضم يؤدي أيضاً للموفاة.

وعامل آخر: انخفاض نسبة الأوكسجين في الارتفاعات العالية، فهي تعادل ٢١٪ تقريباً من الهواء فوق سطح الأرض، وتنعدم نهائياً في علو ٦٧ ميلاً. ويبلغ توتر الأوكسجين في الأسناخ الرئوية عند سطح البحر ١٠٠ ملم. ولا يزيد عن ٢٥ ملم في ارتفاع ٨ آلاف متر، حيث يفقد الإنسان وعيه بعد (٢-٣) دقائق ثم يموت.^٢



فسبحانه من عظيم، في تعبيره هذا الدقيق: «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ»^٣ فهو كمن يحس بحرج في تنفسه، وتتضايق عليه الحياة بسبب ارتفاعه في طبقات عليا من الفضاء، وليس تشبيهاً بمن يحاول الصعود إلى السماء فيضيق صدره بسبب العجز. هكذا يكشف العلم عن أسرار هذا الكتاب المبين «كِتَابُ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»^٤.

٢ - مع لفظ، في القرآن الكريم، ص ٢١.

١ - مبادئ العلوم العامة، ص ٥٧.

٤ - ص ٣٨، ٢٩.

٣ - الأنعام: ٦، ١٢٤.

الغلاف الهوائي حجابٌ حاجز

«وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ».

يحيط بالأرض غلافٌ هوائي سميك قد يبلغ ارتفاعه أكثر من ٣٥٠ كيلومتراً. والهواء يتكوّن من غاز النروجين بنسبة (٧٨/٠٢) والأوكسجين (٢٠/٩٩) وثاني أوكسيد الكاربون (٠/٠٤) وبخار الماء وغازات أخرى (٠/٩٤). وهذا الغلاف الهوائي بهذا السمك وبهذه التركيب من تركيبه الغازي يكون تُرساً واقياً للأرض من قذائف السماء، وهي تترى على الأرض من كلّ جوانبها في عدد هائل (بالملايين يومياً).

وذلك أنّ الفضاء ملوّهاً بالأحجار المتناثرة، على أثر تحطّم كواكب مندثرة، فتتكوّن منها مجموعات حجرية كثيرة مبعثرة دائرة حول الشمس. فإذا ما اقتربت الأرض في دورانها حول الشمس من إحدى هذه المجموعات (وكم لها من اقتراب منها يومياً) انجذبت إليها كميات كبيرة من تلك الأحجار بفعل جاذبيتها (جاذبيّة الأرض) فتتهال عليها وفرة من أحجار، منها الصغيرة ومنها الكبيرة، وتبلغ سرعة سقوطها ما بين (٥٠ و ٦٠ كيلومتراً في الثانية أو تزيد، وهي سرعة هائلة. فإذا دخلت الجوّ الأرضي احترّرت

فأثقت وهي تخرق الهواء، فرسمت وراءها خطاً من نور لا يلبث أن ينمحي.
لكنها لاحتكاكها بأجزاء الهواء أثناء اختراقها الجو الأرضي، وبتأثير غاز
الأوكسجين وغاز الأزوت تحترق فور مرورها خلال الطبقات الجوية العالية، فتحوّل إلى
ذرات رمادية تبقى عالقة في الهواء، مكونة الغبار الكوني.
وهذه هي التي دُعيت بالشهب كأنها شعلة متوهجة انتضت من السماء، ولا تلبث أن
تخفى وتذهب هباءً منثوراً.

ومنها ما يكون كبيراً جداً فينفجر عند انتضاضه، فيسمع له دوي كبير، وتتساقط
بعض أجزائه دون احتراقها على سطح الأرض، وتكون مادتها من النيكل والحديد.
فانظر إلى آثار رحمة الله، كيف يكون الجو الهوائي ترساً منيعاً يقي الأرض يومياً من
ملايين القذائف السماوية التي تذوب قبل وصولها إلى سطح الأرض، فلولا الخلاف
الغازي للأرض، لتعدت الحياة على سطحها. فقد أصبح الهواء بمجموعه - وخاصة منه
الأزوت - وقاءً عاماً للأرض من هذه الرجوم. ولولا هذه الخاصية والميزة لهذه الغازات
لتعدت الحياة، كما في القمر الذي لا هواء له أو هو متخلخل جداً، ولذلك كان سطح القمر
معروضاً كل يوم لتصف متلاحق لا يفتك عنه، لعدم وجود هواء في جوه يقيه شر هذه
البلية!

«سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ»^١

١ - قد تكون القذيفة المنظمة بحيث تبلغ بضعة أطنان (كل طن ألف كيلو جراماً) أو أكثر، فلا يمكن تدار الأزوت وغيره من
الغازات من تحطيمها، فتصل إلى الأرض كحجر سماوي، مذرة مغرقة. وقد عثروا على بعضها في أنحاء الأرض
وخاصة في المناطق غير المتأهونة. أليس ذا عجباً؟! بصائر جغرافية، ص ١١٣ و ٢٩٠.
وتحفظ في إحدى المتاحف كمنة من الحديد والنيكل زنها ٦٠ طناً من التيازك الواقعة من السماء. مع الله في السماء
تدكتور أحمد زكي، ص ١٦٥. ٢ - الزخرف ٥٣: ١٤.

ماسكة الفضاء

(الجاذبية العامّة)

«وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ»^١

سئل الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن هذه الآية فقال: هي محبوبكة إلى الأرض، وشبك بين أصابعه، فقيل له: كيف تكون محبوبكة إلى الأرض والله يقول: «رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»؟ قال عليه السلام: ثُمَّ عَمَدٌ، وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهَا.

والحبك: الشدّ الوثيق. وتوب محبوبك وحبك: متين النسيج جيّد الصنع. وتشبيك الأصابع: تداخل بعضها في البعض، ولعلّه كناية عن الوشائج الوثيقة المترابطة المتشابهة مع بعضها والماسكة بأجرام الفضاء، فلا تتبعثر ولا تتهاوى، وحفظاً على التوازن القائم بين أجزاء الكون. وما هي إلا قانون الجاذبية العامّة، تفاعلت مع القوّة الطاردة فأمسكت بعري السماوات والأرض أن تزولا. وهكذا توازن النظام وأمكنّت الحياة على الأرض.

والعمد: هي الطاقات والقوى الحاكمة على نظام الكون، إنها موجودة قد كشفها العلم

٢ - لرعد ١٣: ٢.

١ - انذاريات ١: ٥٦.

٣ - تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٢٨.

ولمس آثارها وعثر على حصائلها التي هي الحياة والبقاء.

فقد عثر العلم على أن الأجسام على نسب كتلتها تتجاذب مع بعضها، وهي التي جعلت الشمس تمسك بالأرض فتدور حولها، وهي التي جعلت الشمس تمسك بعطارد والزهرة وجعلتهما يدوران حولها، كلاً في مداره. وهي التي أمسكت بالمريخ والمشتري وزحل وجعلتها جميعاً حول الشمس تدور. وهكذا سائر الكواكب في سائر المنظومات، وسائر المنظومات في سائر المجرات، بل وجميع المجرات في عرض الفضاء اللامتناهي، هي التي عملت في إمساكنهن دون الشقوق والاندثار «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ»^١ «إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا»^٢.

هذه هي الجاذبية، قد جهل العلم بحقيقتها وعن نشأتها، سوى أنه عرفها بحدودها وميزاتها وبعض آثارها. هذا فحسب، أما كيف حصلت وبم حصلت وما سببها وسرّها الكامن وراء ظاهرها؟! فهذا شيء مجهول، وسيبقى مجهولاً إلى الأبد، شأن سائر مكتشفات العلم التي بقيت خافية السر في طبيع الوجود.

ففي أواخر القرن السابع عشر للميلاد قام إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) بتجارب، وعلى أثرها عثر على تجاذب عام بين الأجسام، قائم بنسبة كتلتها طردياً، وبنسبة مربع المسافة بينها عكسياً، وعرف بقانون «الجاذبية العامة»^٣.

وقانون الجاذبية، عبارة عن جذب كل كتلة لكل كتلة أخرى^٤ بقوة تزداد بازدياد كتلتيهما، وتقل بنسبة مربع المسافة بينهما.

ومعنى ذلك أنه لو زادت المسافة إلى الضعف وكانت الكتلة ثابتة لتقصت القوة الجاذبة إلى الربع. وإذا زادت المسافة ثلاث مرات لتقصت الجاذبة بينهما إلى $\frac{1}{9}$ ما كانت

٢ - ذا طر ٣٥، ٤١.

١ - الترويه ٣٠، ٢٥.

٣ - مبادئ التلوم، ص ٨.

٤ - تعرف كتلة كل جسم بأنها كمية المادة المحتوية في ذلك الجسم، والكتلة هي التي تبين مقدار الوزن. وقد اصطلح على اتخاذ الترام وحدة عالمية تصفارقة بين التكتل، والتفرام: كتلة مستتر مكمم، من التمام المتفطر. مبادئ التلوم، ص

عليه. أما إذا كانت المسافة ثابتة فإن زيادة الكتلتين من شأنها أن تزيد القوة الجاذبة زيادة مطردة.



وهل الجاذبية بنفسها قدرة فاعلة أم وراءها سرٌّ أخفى؟

قال إسحاق نيوتن: ولا يمكن أن يتصور المرء أن المادة الهامدة بدون تأثير من خارج المادة هي العاملة بذاتها. وأرجو أن لا ينسب ذلك إليّ... أن القول بالجاذبية المادية، وأنها من خواص المادة الجامدة، وأن لكل جسم أن يؤثر على جسم آخر، وبينهما الفراغ التام، قول لا يستقيم، ولا يصح أن يقول به من كانت عقليته عقلية علمية، بل الجاذبية لا بد أن يكون لها سبب وسيط يعمل وفقاً لقوانين أخرى لانعلمها، وهل ذلك الوسيط مادي أو أمر متعالٍ عن المادة؟ فهذا ما أتركه إلى فهم القارئ وتقديره.

هذا ما يقوله مكتشف قانون الجاذبية، يبتعد عن خفاء سرّها، ولكنه مع ذلك فإن هذا القانون، رغم الجهل بحقيقته فإنه ذو أهمية كبرى في معرفة السرّ العلمي لحفظ التوازن العام بين أجزاء الكون، ولولاه لتبعثت هباءً وانتشرت منوراً في الفضاء.

وبذلك أيضاً يعلّل قانون الجاذبية، ولولاه ظارت الأجسام المستقرّة على الأرض أو المحيطة بها إلى أبعاد السماء، ولما استقرّت المحيطات والبحار في مستقرّها، ولما بقي هواء محيط بالأرض، ولانعدمت الحياة على سطح الأرض بانعدام الهواء، وهكذا لم يبق سحاب معلقاً في جو السماء، ولما أمطرت السماء على الأرض وجثّت المياه.



أما القوة المركزية الطاردة فهي: أن كل جسم يدور حول مركز فإنّه يكتسب بذلك قوة تدفعه في الابتعاد عن المركز وهي أيضاً بنسبة مربع السرعة كلما كانت الحركة الدورية أسرع فإنّ قوة الطرد تزداد، وبالعكس تقلّ مع انخفاض السرعة. فلو كانت سرعة الدوران بمقياس ١٠ كيلومترات في الساعة فإنّ قوة الدفع الطاردة تكون حينذاك بمقياس

$10 \times 10 = 100$ كيلومتر في الساعة^١

ولكن يجب أن لا يتناسى المسافة بين النقطة المركزية والجسم الدائر، وكذا كتلته، فإن ذلك كله ذو تأثير على مبلغ قوّة الطرد.

قال الدكتور أحمد زكي: إن من المهم أن نعرف شيئاً عن علاقة هذه القوّة من حيث مقدارها بالدوران من حيث سرعته و من حيث عدد لفّات الشيء الدائر، لهذا نقول: هب أن كرة من حديد وزنها ٧ أرطال تدور حول محور، وهي مرتبطة بالمحور بحبل طوله ٣ أقدام، وهب أن الكرة تلفت لثنتين في الثانية حول هذا المحور، إذاً فالقوّة المركزية الطاردة التي بها تشدّ الكرة المحور (وهي تساوي القوّة الجاذبة التي يجذب بها المحور الكرة) تساوي بالتقريب: $1 \times 7 \times 3 \times 2 = 42$ كتلة الحديد \times طول الحبل (أي نصف قطر الدوران) \times (عدد اللفّات في الثانية)^٢ $= 1 \times 7 \times 3 \times 2 = 42$ من الأبطال.

ومعنى هذا أنه كلما زادت سرعة اللفّ في الثانية زادت القوّة، وكلما قلت تلك قلت هذه.^٣



ويستطرد الأستاذ رشيد رشدي قائلاً: إن القوّة الجاذبية للأرض تأخذ بالتناقص كلما اتجهنا نحو خطّ الاستواء، حيث تزداد سرعة الأرض المحورية التي تؤدّي إلى زيادة القوّة الطاردة، وهذا النقص عند خطّ الاستواء يكون بنسبة ٢٨٩/١ ولما كان العدد ٢٨٩ مربع العدد ١٧ والقوّة الطاردة تزداد بنسبة مربع السرعة، فلو بلغت سرعة الأرض حول نفسها ١٧ مرّة عمّا عليها الآن لازدادت القوّة الطاردة ٢٨٩ مرّة عمّا هي عليها الآن، ولتساوت القوّة الطاردة مع القوّة الجاذبة للأرض، وحينذاك لآل ثقل الأجسام عند خطّ الاستواء إلى صفر، أي فلن يبقى عندئذٍ تأثير ما للجاذبية الأرضية، ولاختل النظام الراهن على وجه الأرض حيث تستحيل الحياة عليها.^٤

٢ - مع الله في السماء، ص ٧٠ - ٧١.

١ - المصدر، ص ٢٧٥.

٣ - بصائر جغرافية، ص ٢٧٤.

إن محور الأرض الذي يصل بين قطبيها أصغر من محورها الذي عند خط الاستواء. الأول طوله ٧٩٠٠ ميلاً، والثاني طوله ٧٩٢٦ ميلاً، أي يزيد على الأول بـ (٢٦) ميلاً، ولذلك برزت الأرض قليلاً عند بطنها (خط الاستواء) وتفرطحت عند قطبيها.

والسبب في ذلك يعود إلى حركة الأرض المحورية، فتتفاعل فيها القوة المركزية الطاردة التي تفعل في كل جسم دائر. والأرض اليوم جامدة ولكنها بالأمس كانت أكثر ليونة، فلم تكن تقاوم تغييرات تحصل في شكلها، كما هي تقاوم اليوم.

إن دورة الأرض المحورية لا تتوثر في جميع سطحها تأثيراً سواً. إنها عند خط الاستواء أكثر بُعداً من المركز عن خط العرض ٣٠ عن عرضها ٦٠ عن عرضها ٩٠، أي عند القطب، لأن القطب لا يكاد يدور. ومن أجل هذا اشتد بروز الأرض قديماً، وهي لينة عند خط الاستواء، وأخذ يقل تدرجاً، ذهاباً إلى القطبين. وبمقدار ما خرجت الأرض بطنها، دخلت عند الرأس والقدم.

لتفرطح الأرض ودورانها حول محورها، وأيضاً تفاعل القوتين الجاذبة والطاردة، نتائج كثيرة وخطيرة.

منها: أن الأشياء توزن عند القطبين أكثر مما توزن عند خط الاستواء. ولفظ علمي: الكتلة الواحدة إذا نقلناها من خط الاستواء إلى القطب فهي تزداد ثقلاً كلما سرنا في هذا الطريق، لأن النقل أو الوزن ما هو إلا قوة جذب الأرض بجرمها العظيم، ما على سطحها من أشياء.

وقوة الجاذبية تناسب تناسباً عكسياً مع مربع المسافة بين الشئين المتجاذبين وجاذبية الأرض متركرة في مركزها، وتنقص كلما بعدت الأشياء عن هذا المركز. والكتلة عند القطب أقرب إلى مركز الأرض منها وهي عند خط الاستواء.

وعامل آخر يؤثر في اختلاف هذا الوزن وفي قوة هذا الانجذاب، ذلك قوة الأرض المركزية الطاردة تحاول أن تطرد ما على الأرض بفعل دورانها تحاول أن تقذف بها بعيداً. وأثر هذه القوة الطاردة على الأشياء على عكس القوة الجاذبة. ومن ثم فإن الطاردة

تضعف من الجاذبية وتنقص منها، والقوة الطاردة فاعلة أكثر فعلها عند الاستواء، ومعدومة عند القطبين، لأنهما لا يدوران حول المركز.

فهذا العامل الجديد يخف بالأوزان عند خط الاستواء، وهو لا يؤثر عند القطبين. فتفرطح الأرض ودورانها يفعّلان في الأجسام على سطح الأرض، ويفعلان معاً: يزيدان الشدّ معاً، أو ينقصان منه معاً. وهذا الاختلاف يكون بنسبة ٢٨٩/١، أي أنّ جسمًا ثامن وزنه عند القطب (تقيس مقدار شدّ الأرض له) فنجد أنّ وزنه ٢٩٠ رطلاً - مثلاً - تمّ نعيد وزنه عند الاستواء فنجد أنّ وزنه نقص رطلاً، أي صار ٢٨٩ رطلاً. ولا يكون ذلك بالميزان ذي الكفتين طبعاً، لأنّه في هذه الحالة تخفّ السنجة كما يخفّ الشيء الموزون، أو تزيد كما يزيد، وإنما يكون الوزن بقياس مقدار الشدّ، فكان يستخدم ميزان ذو زنبورك، أو نحو ذلك.

ومن نتائج زيادة جاذبية الأرض عند القطبين: أنّ الأشياء تنزلق على سطحها إلى حيث الجاذبية أكبر، فكان من المنتظر أن يسير ماء البحار والمحيطات إلى القطبين انزلاقاً وانحداراً.

ولكن الأرض كرة تدور حول محورها فيكسبها دورانها هذا قوة مركزية طاردة، يكون اتجاهها عمودياً على المحور، وهي تعمل في عكس اتجاه جاذبية الأرض، فهي تميل إلى دفع تلك المياه من القطبين إلى خط الاستواء.

وبذلك تعادلت القوتان: قوة الجاذبية وقوة الدفع، وبذلك توزعت المياه على سطح الأرض توزيعاً عادلاً.

قال الدكتور أحمد زكي: وهذا تقدير لولاه لتغيّر وجه الأرض. فمن ياترى قدره، وقدر هذه الدرجة الدقيقة من الضبط والربط؟^١

فسبحان من «خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»^٢ «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»^٣.

٢ - الفرقان: ٢٥، ٢٦.

١ - مع الله في التعلّم، ص ٧٦، ٧٥.

٣ - القصص: ٥٤، ٥٩.

الرتق والفتق

في السماوات والأرض

«أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^١

«ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا

أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ»^٢

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رسدي

اختلف أهل التفسير في المراد من الرتق والفتق في الآية على قولين:

الأول: أن السماء كانت رتقاً مسدوداً نوافذها لا تمطر، والأرض ملتحمَةً مساربها

لا تبت، ففتقناهما: «ففتقنا أبواب السماء بماءٍ مُمَهَّمِرٍ»^٣ «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَبْيَسْنَا فِيهَا

حَبًّا»^٤.

قال البيضاوي: وعليه فالمراد بالسماوات هي سماء الدنيا، وجمعها باعتبار الآفاق.

أو لعل للسماوات بأسرها مدخلاً في الأمطار^٥ وكلاهما خلاف التحقيق والتعبير أيضاً.

قال الطبرسي: وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام.^٦

١- فضائل: ٥٦، ١١ و ١٢.

١- الأنبياء: ٤٦، ٣٠.

٢- عبس: ١٨، ٢٦، ٢٧.

٣- لقصر: ٥٤، ١١.

٤- مجمع البيان، ج ٧، ص ٤٤.

٥- أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٣٩.

أمّا الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام فهي التي يرويها الكليني في الروضة بإسناد مجهول^١ عن رجل شامي جاء إلى الإمام فسأله عن الآية، فقال له الإمام: فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتين ففتقت إحداهما عن الأخرى؟ قال: نعم. قال: استغفر ربك، فإن قول الله جلّ وعزّ: «كانتا رتقاً» يقول: كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق... فتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب...^٢

وأيضاً عن أبي الربيع - وهو أيضاً مجهول - قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في العام الذي حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب... فجاء نافع إلى الإمام وسأله عن هذه الآية، فقال:... وكانت السماوات رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلما أن تاب الله على آدم أمر السماء فتنطرت بالعمام ثم أمرها فأرخت عزاليها (هي فم المزايدة)، ثم أمر الأرض فأنبثت الأشجار وأمرت التمار وتفتقت بالأنهار، فكان ذلك رتقها وهذا فتقتها.^٣

وأمّا الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام فهي نفس الرواية الثانية، رواها القمي - والإسناد إليه مقطوع - وأبدل من نافع بالأبرش الكلبي، فجاء إلى أبي عبد الله عليه السلام وسأله عن الآية فقال: هو كما وصف نفسه - إلى أن قال: - وكانتا مرتزقتين ليس لهما أبواب، فتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات.^٤

قال المجلسي العظيم: وهذا خلاف ما أتر عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أن المراد بالرتق جعل الفرج بين كل من السماوات والأرض^٥ وستعرض له إن شاء الله.

الثاني - وهو المعروف قديماً وحديثاً: أن السماوات والأرض كانتا رتقاً أي ذاتي

١ - توقيع محضدين داود في الطريق.

٢ - الكافي، ج ٨، ص ٩٥، رقم ٦٧.

٣ - المصدر، ص ١٢٠، رقم ٩٣ وفي نسخ الروضة «وتفتقت» بدل «وتفتقت» وتعل ما أنبتنا هو التصحيح.

٤ - تفسير القمي، ج ٢، ص ٧٠.

٥ - مرآة العقول، ج ٢٥، ص ٢٣٢ ط حديثه وج ٤، ص ٢٩٤ ط قديمة.

رتق وهو الضم والالتحام، أي كانتا شيئاً واحداً وحقيقة متحدة، ففتقناهما بالتنوع والتمييز.

قال الرازي: كانتا شيئاً واحداً ملتزقين، ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وهو قول قتادة وسعيد بن جبير، ورواية عكرمة عن ابن عباس.

ولأبي مسلم الإصفهاني رأي أسد، قال: يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد والإظهار، كقوله تعالى «فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»... فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق، وعن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق.^٦

وفي كثير من الآيات إشارة إلى هذا المعنى، منها ما جاء بلفظ «فَطَّرَ»^٧ أو «فاطر»^٨ فإن الفطر وإن كان المراد به الخلق والإبداع لكنه بعناية فصله إلى الوجود الخاص، بحدوده وأبعاده، بعد أن كان مندكاً في الوجود الكلي الشامل، لامتياز فيه ولاتحديد.

وهذا كما يتعطل الخياط البزة الواحدة التي قمصان وأتواب. وكما يفعل النخار بالطينة أشكالاً من الآنية والجرار. فالكل مندمج في الأصل الواحد، وإنما يخرجها إلى الوجود فاعل الصور والأشكال.

مركز تحقيقات كرامتية علوم راسدي

وهذا المعنى هو الذي جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال - في خلق العالم - :
ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء - إلى أن قال في خلق الملائكة: - ثم فتق ما بين السماوات العلوى، فملائهن أطواراً من ملائكته.^٩

وقال - في عجب صنعة الكون - : ففتقها سبع سماوات بعد ارتفاقها.^{١٠}

وهذا هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة في سورة فصلت: «ثم استوى إلى السماء»

١ - الأنعام: ٦، ١٤، ويوسف: ١٢، ١٠٢، إبراهيم: ١٤، ١٠، وفاطر: ٣٥، ١، والزمر: ٣٩، ٤٦، والشورى: ٤٢، ١١.

٢ - التفسير الكبير، ج ٤٢، ص ١٦٢ - ١٦٣.

٣ - الأنعام: ٦، ١٧٩، والأنبياء: ٢١، ٤٦.

٤ - في ست آيات: الأنعام: ٦، ١٤، ويوسف: ١٢، ١٠١، إبراهيم: ١٤، ١٠، وفاطر: ٣٥، ١، والزمر: ٣٩، ٤٦، والشورى: ٤٢، ١١.

٥ - أوتى خطبة من نهج البلاغة، ص ٤٠ - ٤١، واتسكائف: جمع سكاكة - بانضم - وهي الهواء الملاقى لثمان اسماء.

٦ - الخطبة رقم ٢١١، ص ٣٢٨.

وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ»^١.

فالدخان - وهي المادة الأولى لخلق السماوات - هو الأصل؛ ومنه تفرّعت السماوات العلى وخرجت إلى الوجود. وقوله «ائتيا» كناية عن الأمر بالتكوين. «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^٢.

قوله: «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» يدلّ على سبق مادّتهنّ على وجودهنّ، فأفاض عليهنّ الصّور المائزة بينهما.

ويدلّ عليه أيضاً قوله في سورة النازعات: «رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا»^٣. فقد سواهنّ برفع سمكهنّ، كناية عن تمدّد جوانبها لتأخذ شكلها الخاص.



ولعلّك تقول: هلا كان قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» عقيب قوله «.. كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..»^٤ قرينة راجحة لإرادة المعنى الأول من الآية؟

قلت: مظاهر أربعة من مظاهر الكون جاءت هنا من سورة الأنبياء (الآيات رقم ٣٠-٣٣) مترادفة مع بعضها البعض، تلك آيات عظمته تعالى في الخلق وجليل قدرته في التدبير، كلّ ظاهرة آية برأسها مستقلة في حقيقتها وفي تكوينها وفي دلالتها على عظمة الكون.

أولاً: رتق السماوات والأرض وفتقهما.

ثانياً: كون الماء منشأ الحياة كلّها.

ثالثاً: جعل الرواسي في الأرض لتحول دون ميدانها.

رابعاً: الغلاف الهوائي جيئة واقية للأرض عن الخراب وزوال الحياة عن سطحها.

وكلّ واحدة منها آية تدلّ على أنّه واحد، وهم عن آياتها معرضون. وعليه فكما أنّ

١- فضّلت ٤٦: ١١، ١٢.

٢- يس ٣٦: ٨٢.

٣- النازعات ٢٨، ٢٩.

٤- الأنبياء ٣٠: ٢٦.

جعل الجبال أوتاداً لاساس له بمسألة الفتق والرتق كذلك جعل الماء منشأ الحياة كلها، سوى أن الجميع آيات رب العالمين.

وقد بحثنا عن الآيات الثلاث الأخرى كلاً في مجاله.

ونظرة تفرع الموجودات من أصل واحد فتقاً بعد رتق نظرة قديمة، حدثت بها التوراة في أصل التكوين أيضاً. قال الإمام الرازي - في تأويل قوله تعالى: «أولم ير الذين كفروا» - كانت اليهود والنصارى ومن يليهم من المشركين عالمين بذلك، فإنه جاء في التوراة: إن الله تعالى خلق جوهرة، ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء، ثم خلق السماوات والأرض منها وفتق بينها.

قال الأستاذ الطنطاوي: لم تظهر هذه العلوم - عن أصل السماوات والأرض بهذه الصورة التي كشفت النقاب عن قسم وفير من إعجاز القرآن العلمي - إلا على يد من كفروا بدين الإسلام، والمسلمون لا يعلمون إلا من التوراة، فنحن نكتب ذلك عنهم، فصدق الله وجاءت المعجزات القرآنية تنزي في عصر العلم.

وقد رجح سيّدنا الطباطبائي هذا المعنى وقربه، قال: لانزال نشاهد انفصال المركبات الأرضية والجوية بعضها من بعض، وانفصال أنواع النبات من الأرض، والحيوان من الحيوان، والإنسان من الإنسان. وظهور المنفصل بالانفصال في صور جديدة لها آثار وخواص جديدة، بعد ما كان متصلاً بأصله الذي انفصل عنه، غير مميز الوجود ولا ظاهر الأثر ولا بارز الحكم، فقد كانت هذه الفعليّات كامنة الوجود في القوة، مودعة الذوات في المادة، رتقاً من غير فتق، حتى فتقت بعد الرتق، وظهرت بفعليّة ذواتها وآثارها.

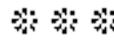
والسماوات بأجرامها والأرض بجرمها حالهما حال سائر أنواع الموجودات التي لمسنا كينونات وجوداتها بروزاً وانهداماً، والمادة نفس المادة، والأحكام والقوانين

١ - التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ١٦٦. وهذه العبارة محذوفة من أول التوراة التحفزة، وإنما تجدد بما بعد خلق السماوات والأرض. والآية المذكورة ٢٠ من سورة الأنبياء. ٢ - تفسير الجواهر، ج ١٠، ص ١٩٩.

السائدة على عالم الوجود سفلاً وعلواً لا تختلف ولا تتخلف. فتكرّر المواليد في المتناول المشهود يدلنا على وقوع مثلها في الأجواء المتباعدة. وأن الجميع كانت يوماً رتقاً منضمة بعضها إلى بعض، ولم يكن ميّز بين السماء والأرض، ففتقها الله بتدبير وإحكام، ليظهر ما بكل من فعلية وآثار.

وقد قرّبت الأبحاث العلمية الحديثة هذه النظرة، حيث أوضحت أن الأجرام الواقعة تحت الحسّ مؤلفة من عناصر معدودة مشتركة، ولكل منها بقاء محدود وعمر مؤجل وإن اختلفت بالطول والقصر.

هذا وأما إرادة الإمطار والإنبات من الرتق بعد الفتق، فهذا يخص البرهان على ذاته المقدسة بهاتين الظاهرتين فحسب، بخلاف البرهان على التقريب الأول.^١



وتقول النظرة الحديثة: إن الكون في أصله سديم، جمعه سُدم،^٢ والسديم يشبه سحابة من غاز وغبار، وأصحّ تعبير عنه ما جاء في القرآن: الدُخان. وقد يقع في أوسط السديم نجوم تشعّ فيه فتثيره، وتعرف هذه بالسُدم النيرة. ومن السُدم «المعتم» ذلك أنها تتألف من غبار رقيق دقيق، صغرت حجّاته حتى بلغت قدر موجات الضوء.

والسديم يغلب فيه الغاز فيكون نيراً، ويغلب فيه الغبار فيكون معتماً. والسُدم من نيرة ومعتم، ليس الذي بها من غاز وغبار إلا ما تبقى من خلق النجوم. إن نظرية الخلق تقول: إن المجرة كانت من غاز وغبار. ومن هذين تكوّنت النجوم بالتكثف، وبقيت لها بقية. ومن هذه البقية كانت السُدم المعتم التي نرى مئات منها في المجرة، نراها سوداء لأنها حجبت ما وراءها من نجوم مضيئة.

١ - التميزان، ج ١٤، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

٢ - والسديم: أصله الضباب أو الرقيق منه، واستمرّ تسمية الغازية القهاريّة التي تكوّنت منها الأجرام السماوية. ويطلق عليها اسم «النيرة» وهو لفظ عربي من أصل يوناني، يدلّ في مصطلح العلم القديم على مادة الأجرام السماوية، وقد كان يعتقد أنها مادة نظيفة تداية لا تكوّن ولا تتفسد. وسُمّي بالانصر الخامس، تمييزاً له من العناصر الأربعة المتخالفة لاكوّن والتعداد. راجع: «المصطلحات العلمية والتقنية» ملحق لسان العرب، ج ١، ص ٤٤٦.

قال الدكتور أحمد زكي: ونظر العلماء في: كيف تكوّنت مجموعتنا الشمسية؟ وخرجوا بنظريات عدّة.

ومن أقدم هذه النظريات نظرية الفيلسوف الألماني «عمانويل كنت» عام ١٧٥٥م، قال: إنّ المجموعة الشمسية كانت سديماً، كانت ضباباً من غازات وعناصر، بعضها الثقيل وبعضها الخفيف، وينتج عمّا بينها من اختلاف أن تتحدر العناصر الأثقل إلى أواسط السديم، ويعارض ذلك رغبة الغازات في التمدّد. وينتج عن هذا دوران جانبي، فيأخذ السديم يدور دوران الرحى. وفي القلب تتولّد الشمس، ومن حولها من مادّة السديم تتولّد الكواكب.

نظرية لها أخطاء علمية ظاهرة، يضيق المقام عن إيرادها.

ويأتي العالم الفرنسي «لابلاس» بنظريته عام ١٧٩٦م، وهو يبيّن على نظرية «كنت» ويقول: إنّ أصل المجموعة الشمسية سديم، ولكنّه نشأ وهو يدور كالرحى، وهو لم يتعرّض له: كيف أنّ هذا السديم يدور؟ وينكمش السديم الدائر. ومعنى هذا سرعة تحدث في دورانه. فهذا يقضي على الحركة، ثمّ هو يزداد سرعةً ودوراناً، حتى تتكوّن قوّة طاردة تطرد أجزاء منه عن مركز الدوران، فتطير عن السديم أجزاء، تظلّ دائرة، فهذه هي الكواكب.

نظرية بها إغراء وبها إقناع ظاهران، ولكنها لاتصمد للنتقد ولا تصمد للحساب، إنّها إن شاققت وصفاً وصمدت وصفاً وكيفاً لم تصمد تقديراً ولم تصمد كماً.

وينتهي العلماء إلى أنّ الصعوبة في هذه النظريات وأمثالها أنّها تحاول إنتاج الحركة الدوّارة من السديم نفسه، فتخرج النتائج غير مرضية، وتخرج لاتتفق وحال الكواكب الجارية. وجب إذاً أن يهدف العلماء إلى نظرية تأتي فيها قوّة الدوران من الخارج.

فزعّموا أنّ نجماً يقترب من نجم، وكلاهما مائع، فكلاهما من غاز. ويجذب النجمان أحدهما الآخر، فتخرج من النجم الواحد انبعاجات يتحكّم في حركتها النجم الثاني وهو يمرّ. والانبعاجة يتغيّر موضعها من النجم الأول الذي هي منه تبعاً لموضع النجم الثاني

العابر. فلو أن هذا النجم اقترب اقتراباً كافياً من النجم الأول لسلخ منه هذه الانبعاثة التي تدور مع دورانه. وهي إذا انسلخت فإنما أن تلحق بهذا النجم الثاني الذي هو لاشكاً أعظم النجمين. أو يكون هذا النجم الثاني قد فات سريعاً، ففقد فعله في القطعة المنسلخة، فتغلب عليها وفعلت فيها جاذبية النجم الأول فأخذت تدور حوله، ثم هي تستقطع قطعاً هي الكواكب.

ونظرية أخرى تقول: إن النجم إذا اقترب من نجم اصطدم به اصطداماً، فتقطع أحدهما، وبردت القطع ودارت فكانت النجوم.

وغير هذه النظرية ثلاثة فإربعة، وكلها تنبئ على اقتراب نجم من نجم.

فإن صحّت هذه النظريات، فكم من مجموعة شمسية تحتل أن تكون من جراء هذا؟

عدد غير كبير لاشكاً في هذا. والسبب في هذه القلة هو قلّة احتمال اقتراب نجم من نجم. ذلك لأن النجوم متباعدة في الفضاء، فباعد كبيراً. إن أقرب نجم للشمس يبعد عنها ٢٥ مليون مليون ميل. إن الفضاء الكوني شيء هائل، ودرجة الاحتمال يحسبها الحاسبون، وحسبها «السيرجيمس جيتير» فوجد أن احتمال اقتراب نجم معين بنجم آخر يحتمل مرّة واحدة في كل ٦٠٠/٠٠٠ مليون مليون عام، واحتمال اقتراب نجم معين من نجم آخر يزيد على ذلك قليلاً.

ومن جانب آخر تتراءى لنا نظرية في تكوّن هذا الكون كلّ، بشموسه ونجومه. إن هذه النظرية تقول: إن الكون كلّ كان ذرّة واحدة هائلة تم انفجرت، ومن انفجارها تكوّنت النجوم، والنجوم أخذت تتباعد، والكون لا يزال يتسع إلى اليوم وتتباعد نجومه.

فإن صحّ ذلك فالنجوم كانت في زمنٍ ما قريباً بعضها من بعض. فاحتمال تصادمها وتقاربها كان عند ذلك احتمالاً كبيراً. وإذا فاحتمال تكوّن المجموعات الشمسية احتمال كبيراً.

١ - مع الله في السماء، ص ١٩١ ومن ٢١٢-٢١٥. وراجع: مباني نجوم، ص ٢٩٠.

يقول الطنطاوي: هذه الآية من المعجزات، لأن هذا العلم لم يُعرف عند العرب ولا عند الأمم المعاصرين لهم، وإنما عرف في عصرنا الحاضر. فعلي أن أعلن وأقول لهم: إن هذه معجزة واضحة في القرآن، فإن الله قد استدل بحسن صنعه وإتقانه على تفردّه بالقدره والحكمة، إذ جعل الحرارة سبباً في حركات تلك العوالم التي كانت ناراً محترقة، ثم بواسطة هذه المدورات أزماناً برد ظاهر الشمس فانفصلت منه الأرض وغيرها من السيارات، وأرضنا منها، وكان هذا الحساب المدهش في سيرها والخلق البديع على ظهرها وإتقان كل شيء عليها. هكذا كان ذكره في القرآن مع جهل المسلمين وغير المسلمين من فرس وروم وأمم أخرى بهذه النظرية التي لم تكن إلا حديثاً معجزة مدهشة، فإن أهل أوروبا وهم الكافرون بنينا محمد ﷺ عرفوا هذا الرأي، عرفوا ذلك بعقولهم، فالحقل البشري مستعد لمعرفة هذا من اتباع الأسباب ومن درس العجائب في هذا الكون.



هذا، وقد استسلم الشيخ الطنطاوي للنظرة الحديثة عن أصل الخلقة، وحاول التوفيق بينها وبين النص القرآني محاولة ظاهرها البس والقطع من الأمر.

لكننا نقول - كما يقول سيّد قطب وقد أسلفنا شطراً من كلامه في صدر هذا الحقل - ونحن لانحاول أن نحمل النص القرآني المستيقن على نظرية غير مستيقنة، تُقبل اليوم وقد تُرفض غداً، لذلك لانحاول أن نوفق بين النصوص القرآنية والنظريات التي تسمى علمية، وهي شيء آخر غير الحقائق العلمية الثابتة القابلة للتجربة، كتمدد المعادن بالحرارة وتحوّل الماء بخاراً وتجمّده بالبرودة، ونحو ذلك، وهي شيء آخر غير النظريات العلمية.

إن القرآن ليس كتاب نظريات علمية ولم يجرى ليكون علماً تجريبياً كذلك، إنما هو منهج للحياة كلها، منهج لتقويم العقل ليعمل وينطلق في حدوده، دون أن يدخل في

جزئيات وتفصيليات علمية بحثية، فهذا متروك للمعتل بعد تقويمه وإطلاق سراحه في حدوده المضروبة.

نعم، قد يشير القرآن أحياناً إلى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقررها هنا: «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^١ ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن، وإن كنا لانعرف منه كيف كان فتق السماوات والأرض، أو فتق السماوات عن الأرض. وننتقل النظريات الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التي قررها القرآن، ولكننا لانجري بالنص القرآني وراء أية نظرية فلكية، ولانطلب تصديقاً للقرآن في نظريات البشر، وهو حقيقة مستيقنة. وقصارى ما يقال: إن النظريات الفلكية القائمة اليوم لا تعارض المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني، السابق عليها بأجيال.^٢



وجاء في كتاب «مباني علم النجوم»^٣ أن النجوم والكواكب السيارة العظام إنما وجدت على أثر تكاثف الغازات والغبار الموجودة في الفضاء، وذلك بسبب التجاذب بين ذراتها. ولما كانت القوة الجاذبة إنما تنبعث من مراكز الأجسام وبذلك يحصل الانجذاب إليها، ومن ثم فإن الموجودات السماوية المنحصلة من تكاثف الغاز والغبار تنقلص وتنكمش نحو مراكزها، وبذلك تتكوّن كروية الشكل بطبيعتها، إلا إذا كانت المادة المتكاثفة في حالة الدوران حول المركز، ففي هذه الحالة يحصل نوع تفرطح في طرفي محورها (القطبين) كما هو المشاهد في كرة الأرض وكذا في المشتري، المفرطحين في جانبي قطبيهما قليلاً.^٣

١ - الأنبياء ٤٦، ٣٠.

٢ - في خلال القرآن، المجلد ٥، ص ٥٣٠، وراجع أيضاً المجلد ٧ منه ص ٢٦٤، ٢٣٠.

٣ - مباني نجوم تأليف الأستاذة: استرود، تيندر، بيلانز، ترجمة الدكتور زمرديان والدكتور حاجبي، من نشرة جامعة طهران رقم ١٧٠٥، الطبعة الثانية لسنة ١٣٦٤ هـ، ص ٩، كما بعد.

ترغيب بليغ على الحركة العلمية - الحضارية

ونبذ دواعي الكسل والخمول

«فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ»^١

هنا سؤال لا بد من التنبيه له، وهو: أن الآية^٢ في ظاهر تعبيرها، خطاب مع مشركي العرب، وهم يومذاك لا يعرفون شيئاً عن مسائل التكوين ولا عن مبدأ هذا الكون الفسيح، فكيف جاز مجابتهم بمثل هذا الاستنكار اللاذع: «أولم يرا أنذين كفروا...؟!»... في حين أن استنكاراً هكذا إلى من كان من شأنه النظر، لكنه تقاعس ولم ينظر، لا الذي لا يعرف شيئاً على الإطلاق!

غير أن مثل هكذا توبيخ أو استنكار إنما توجه نحو ذلك التكاسل الفاضح والتقاعس عن القيام والحركة مع ركب الحضارة وعن مواكبة سائر الأمم المتحضرة السائرة إلى الأمام، والتي ازدهرت بها الحياة ولا تزال تزخر بها. ما عدا تلك الرقعة من الأرض حينذاك. «قانونا... فاذهب أنت وركك فقارلا إنا هاهنا قاعدون»^٣ هكذا كان منطلق الجزيرة المتوغلة في الجهل والخمود.

١ - البقرة ٤: ١٤٨.

٢ - انني تصدّرت انمقال وكانت تشبيهاً على الذين تكاسلوا عن التدبّر في ظاهرة ارتقى وافتنى (الأنبياء ٢١: ٣٠).

٣ - امائدة ٥: ٢٤.

جاء القرآن ليأخذ بأيديهم ويُشيلهم إلى حيث مستوى الحضارة الراقية وليكونوا رواد الأمم في الاتجاه نحو معالم السعادة في الحياة.

فلم يكن ذلك التوبيخ إلا تمهيداً لتواجد هذه النهضة المباركة: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»^١.

«قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ: أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَنِئِمْ وَأَفْرَادِي، ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا...»^٢.

حثّ على القيام، جماعياً وفرادى، ليأخذوا في التفكير والتدبر في معالم الحياة، سعياً وراء الوصول إلى مكارمها والنيل من فضائلها وفواضلها.

«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ...»^٣.

«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ...»^٤.

«أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»^٥.

«أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...»^٦.

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ...»^٧.

وهذا حثّ على الرحلة في طلب العلم - وحكم للعلماء رحلات في اكتساب العلوم والمعارف - فيتزودوا - في مسيرتهم في مختلف صفحات الأرض - الكثير من المعارف، فيزدادوا علماً ومعرفة بأسرار الخليقة وحقائق الملكوت. «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...»^٨.

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...»^٩.

«أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ

٢ - سبأ: ٣٤، ٤٦.

٤ - الطارق: ٨٦، ٨٥.

٦ - ي: ٥٥، ٥٦.

٨ - آل عمران: ٨٣، ١٩٦.

١ - البقرة: ١٤٣.

٣ - عبس: ٨٠، ٢٤.

٥ - الأعراف: ٧، ١٨٥.

٧ - التنبؤات: ٢٩، ٢٠.

٩ - الحجج: ٤٢، ٤٦.

قُوَّةٌ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرَوْهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرَوْهَا...»^١ «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ...»^٢ «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...»^٣

وهذا تنديد بتأخرهم عن سائر الأمم في تشييد الحضارة الإنسانية العليا.

وهكذا جاء التنديد بتقاعسهم عن النهضة العلميّة الحركيّة وراء الوقوف على أسرار الخليقة ومعرفة أسباب الوجود.

قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهَا بِقَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُتَوَكِّلِينَ...»^٤

«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً...»^٥

«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...»^٦

«أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا، أَفَهُمُ الْغَائِبُونَ...»^٧

والأرض هنا، هي المعمورة منها، ونقصها: خرابها؛ بنفاد أهلها ولا سيما بموت العلماء. كما في الحديث: *مركز تحقيقات كميتر علوم رسي*

وهذا بدء تذكيرهم بالتفكير في ملكوت السماوات والأرض. وشيئاً فشيئاً أخذ في الصعود على مدارج التفكير درجة درجة حتى بلوغ قمة المعرفة والكمال:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...»^٨

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...»^٩

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ...»^{١٠}

١ - الروم: ٣٠، ٩	٢ - انفجر: ٨٩، ٦
٣ - الفيل: ١٠٥، ١	٤ - الأحقاف: ٤٦، ٣٣
٥ - فصلات: ٤١، ١٥	٦ - الرعد: ١٣، ٤١
٧ - الأنبياء: ٢١، ٤٤	٨ - إبراهيم: ١٤، ١٩
٩ - الحج: ٢٢، ١٨	١٠ - النور: ٢٤، ٤١

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي عِبَادًا ثُمَّ يُوَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا...»^١
 «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...»^٢
 «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَنَوَّ شَاءَ لِيَجْعَلَ مَا يَكِينًا...»^٣

وهنا يرتقي صُعداً إلى معرفة الدقائق من أسرار الوجود:

«أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا...»^٤

وآيتنا المبحوت عنها من هذا القبيل: «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...»^٥

إذ كما أن العرب لو كانوا بقوا على حالهم الأولى (الأمية المحضنة) لما كان باستطاعتهم معرفة طباق السماء. وهكذا جانب تفكيك طباقها وتفصيل أجوائها. لو انتفضوا من غفوتهم ونبذوا الجهل والخمول، لاستطاعوا الحصول على معرفة الأسرار وخبايا طبائع الأشياء. إن علواً أو سفلاً.

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

وهذا على ملامة المشركين: أنهم لا يؤتون الزكاة في حين أن الزكاة فرض على

المسلمين بعد الإيمان. لكنهم لتعودهم عن اعتناق الإسلام، أوجبوا لأنفسهم الحرمان عن بركات فرائض الإسلام.

قال تعالى: «وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ»^٦

ويل لهم، قد جلبوا لأنفسهم خسارة الحرمان عن الربح العظيم.

فيالها من خسارة كانوا هم السبب في جلبها مغبة تكاسلهم وتقاعدتهم عن الملحق

بركبات السعداء الفائزين.

١- تقيان ٣٦: ٢٩

١- انور ٤٤: ٤٣

٢- نوح ١٧١: ١٥

٣- الفرقان ٢٥: ٤٥

٣- فضلت ٥٦: ٦-٧

٤- الأنبياء ٤٦: ٣٠

السحب

تكوينها، تنويعها

«ويُسَيِّئُ السُّحَابَ الثَّقَالَ»^١



مصطلحات علمية وُضعت وفق تعابير القرآن

قال الدكتور محمد جمال الدين الندي، فأكبر القرآن أن الرياح - ومنها الهواء الصاعد -

هي التي تثير السحاب وتكوّنه. والقرآن حسب علمنا أول كتاب يقرّر تلك الحقيقة.^٢

أما تكوين السحب، فإنها تتكوّن بتبريد الهواء تحت درجة الندى، فتقل قدرته على

حمل بخار الماء، ويتحوّل هذا الأخير إلى نقط من الماء أو إلى بلّورات من الثلج، تبعاً

لدرجة الحرارة السائدة.

ويتمّ تبريد الهواء في الطبيعة بعدة طرق:

١ - التبريد الذاتي، أي تبريد الهواء بمجرد انتشاره وتقليل الضغط الواقع عليه،

ويحدث ذلك عندما يصعد الهواء إلى طبقات عليا من الجوّ يقل فيها الضغط، فينتشر ويبرد

وتقل قدرته على حمل بخار الماء. ويتكاثف هذا الأخير إلى نقطة من الماء، أو إلى بلّورة

٢ - الله وتكوّن، ص ١٧٣.

١ - اترعد ١٣: ١٢.

من الثلج.

وتلعب هذه العملية أهم دور في تكوين السحب ونزول الأمطار. إذ معدل التبريد في الهواء الصاعد هو درجة سنتجراد لكل ١٠٠ متر إذا لم يحدث التكاثف ٦٥٪ درجة إذا حدث التكاثف.

٢- التبريد بالإشعاع الحراري أثناء الليل، وهو يؤد الضباب والسايرة وبعض السحب الطبقة أو البساطية المنخفضة.

٣- التبريد بالمزج، يعني خلط هواء ساخن رطب بأخر بارد جاف، بحيث تكون درجة حرارة الخليط تحت نقطة الندى. فيتم التكاثف على هيئة ضباب، كما هو الحال عند اختلاط كتل هواء تيار الخليج الدافئ في شمال المحيط الأطلسي، مما جعل البحارة يطلقون عليه اسم «بحر الظلمات» وتصوره مأوى الأشباح ومثوى الأرواح.



التقسيم الطبيعي للسحب

السحب إما أن تنمو رأسيًا وتسمى كالجمال، وعندئذ تسمى «ركامية». وإما أن تنمو أفقيًا وتمتد كالساط، وعندئذ تسمى «بساطية» أو «طبقة».

ويشرف القرآن بين النوعين، فيسمى النوع الأول ركامياً، والثاني بساطياً. فمما جاءت الإشارة فيه إلى النوع الأول قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ»^١.

وجاءت الإشارة إلى النوع الثاني في قوله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ»^٢.

والسحاب الممطر لا يعدو النوعين. والعرب تسمى السحاب الممطر باسم «المزن».

ولذلك فمن الوجهة العلمية هنالك المزن الركامي والمزن البساطي (الظبي). قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ».

السحب الركامية

والسحب الركامية هي النوع الأهم من السحب، لأنها قد تمتد عمودياً (رأسياً) عبر (١٥) أو (٢٠) كيلومتراً، فتصل إلى طبقات من الجو باردة جداً تنخفض فيها درجة الحرارة إلى (٦٠) أو (٧٠) درجة مئوية تحت الصفر.

وبذلك يتكوّن «البرّد» في أعالي تلك السحب. والمعروف علمياً أنّ نموّ البرد في أعالي السحب الركامية يعطي انفصال شحنات أو طاقات كهربائية سالبة، وأنّه عندما يتساقط داخل السحابة ويصل في قاعدتها إلى طبقات مرتفعة الحرارة فوق الصفر يذوب ذلك البرّد أو يتميّع ويعطي انفصال شحنات كهربائية موجبة. وعندما لا يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة في أسفل يحدث التفريغ الكهربائي على هيئة برق. وينجم عن التسخين الشديد المفاجئ الذي يحدثه البرق أن يتمدد الهواء فجأةً ويتمزّق مُحدثاً الرعد. وما جدولة الرعد إلا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات التي تحدث من قواعد السحب لصوت الرعد الأصلي.

وقد يحدث في بعض العواصف أن يتكرّر حدوث البرق داخل السحابة ٤٠ مرّة في الدقيقة الواحدة. أمّا إذا حدث التفريغ الكهربائي بين السحابة وأيّ جسم مرتفع على سطح الأرض فإنه يسمّى «صاعقة».

وتحدث عواصف الرعد في كافة أرجاء الأرض ما عدا المناطق القطبية، حيث ضالّة حجم الهواء بالنسبة إلى خطّ الاستواء.

وقد وجد بالحساب أنّ عدد عواصف الرعد التي تحدث في جوّ الأرض في يوم

واحد يبلغ أكثر من ٤٠ ألفاً، أي بمتوسط قدره ١٨٠٠ عاصفة في الساعة. وتستهلك العاصفة في المتوسط نحو (٢/٢) مليون كيلوات ساعة.^١

التبخر والإشباع والتكاثف

عوامل ثلاثة لنزول المطر

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَنِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ»^٢
 لحصول المطر عوامل ثلاثة لاغيرها، إذا توفرت لابد من نزول المطر، وإذا نقص عامل منها فلا إمكان لحصوله، وتلك العوامل هي:

- ١- التبخر، وهو عملية تحويل ذرات الماء إلى البخار، ليؤدي إلى تكوين سحاب.
 - ٢- وصول الهواء المتحمل للبخار إلى درجة الإشباع المختلف حسب المناخ.
 - ٣- التكاثف، وهو ضد عملية التبخر، فيتحول البخار إلى ذرات الماء.
- وهذا الترتيب على التعاقب مما لا محيص عنه لتكوين المطر ونزوله، وهو من بديهيات العلم المقطوع به والمفروض عنه بلا ريب واليك شرح هذه العوامل باختصار:
- (أولاً) التبخر، وهو عملية تحويل ذرات الماء إلى البخار، وانتقاله إلى الهواء، وذلك بتأثير حرارة الشمس على السطوح المائية المتوسعة، كالمحيطات والبحار والبحيرات والمستنقعات والأنهار، بل وحتى السطوح الثلجية والجليدية، بل وحتى على أوراق الأشجار والنباتات وخاصة الغابات.

(ثانياً) الإشباع، وهو استمرار التبخر حتى يبلغ حداً معيناً، ويسمى بدرجة التشبع، وتختلف حسب اختلاف المناخ. فكلما اختلفت درجة الحرارة اختلفت درجة التشبع اللازمة لتكوين الأمطار. فالهواء الحار في درجة التشبع يحوي مقداراً من البخار أعظم مما يمكن أن يحويه الهواء البارد. فكمية الرطوبة التي تكفي للتشبع في درجة ١٥ م مثلاً

لا تكفي للتشبع في درجة ٢٠م. وإذا كان الهواء متشبعاً قليل: إن نسبة رطوبته ١٠٠٪. وبعبارة أوضح: إنه حيثما وجد الماء والهواء فإنه يحدث تبادل بين جزيئات أحدهما مع الآخر، فتمرّ جزيئات الماء عن طريق التبخر إلى الهواء، كما تمرّ جزيئات الهواء إلى الماء. ولذلك يوجد دائماً مقدار من بخار الماء في الهواء، كما يوجد مقدار من الهواء في الماء.

وإذا كان مقدار البخار الذي هو الهواء قليلاً فإن الجزيئات البخارية التي تتصاعد من الماء تكون أكثر من جزيئات الهواء التي تمرّ إلى الماء، وعلى ذلك فإن عملية التبخر تستمر. ولكن إذا كان مقدار ما في الهواء من البخار كثيراً فإن تبادل الجزيئات بين الماء والهواء يكون متساوياً، وفي هذه الحالة يقال: إن الهواء متشبع بالبخار المائي، أو إنه في درجة الإشباع، أي لا يستطيع أن يحمل أكثر مما هو معلق به من البخار.

فدرجة الإشباع تتوقف على التساوي والتعادل في تبادل جزيئات الماء والهواء والتألف بينهما.

ومن ناحية أخرى - ذات أهمية كبرى - بأن درجة التشبع تتوقف على ظاهرتين طبيعيتين أخريين، لا بدّ منهما في وصول الهواء إلى حالة الإشباع الكافي:

الظاهرة الأولى: هي التساوي في الضغط، فلبخار الماء المتصاعد ضغط كما لبخار الهواء المتشبع ضغط، فإذا تساوى الضغطان فالتبخر والتكاثف يتعادلان، وفي هذه الحالة يقال: إن الهواء مشبع بالبخار الكافي. والمطر نتيجة لازمة لهذا التعادل.

والظاهرة الثانية: هي اتحاد الكهرباء السالبة والموجبة، فإذا ما تقارنت السحب وكلّ سحاب يحمل نوعاً من نوعي الكهرباء السالبة والموجبة، فإذا ما تقارنت السحب واختلف نوع الكهرباء فيها تجاذبت، وإلا تنافرت، شأن الكهرباء عموماً يتجاذب نوعان منه ويتنافران من النوع الواحد.

واجتماع السحب وتأليف بعضها مع بعض إنما هو بفعل الرياح، تغير السحب من

مكان إلى مكان، فإذا جمعت الرياح بين نوعين من الكهرباء ذوات الموجبة وذوات السالبة فعند ذلك تتجاذب بعضها إلى بعض وتتقارب وتتألف، وبذلك يحصل اللقاح الناتج للإمطار. «وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»^١.

ياترى من ذا كان يعرف هذه الظاهرة الطبيعية يومئذ؟! أن تقوم الرياح الباردة فتتير سحاباً، وهي تدفع السحب المكهربة إلى لقاء بعضها مع بعض، وتلقى بالسحابة السالبة التكهرب بين أذرع سحابة أخرى موجبة التكهرب، وبذلك يحدث عملية اللقاح، الناتجة للبرق والرعد ونزول المطر الغزير، فيخصب الأرض ويمهدها للإنبات، وهي عملية أخرى لللقاح في التربة الصالحة، بين الماء والأرض.^٢

(ثالثاً) التكاثف، وهو عكس عملية التبخر، ليتحول بخار الماء من الحالة الغازية إلى حالة السيلان، فتتقلب ذرات البخار إلى قطرات مائية دقيقة، إذا كانت درجة الحرارة فوق الصفر المتوي، أو حالة جليدية بَرْدًا أو تَلْجًا، إذا كانت درجة الحرارة تحت الصفر، الأمر الذي يعجز الهواء عن حمله، فتتساقط القطرات من الغيوم.

وهذا التكاثف إنما يحدث إذا ما تعاضد الهواء المتشبع ببخار الماء في طبقات جوئية ذات الضغط الأعظم، فبأثر الضغط العالي يتمدد الهواء ويفقد جزءاً كبيراً من حرارته، وبذلك يبرد وتنخفض درجة حرارته، درجة واحدة مئوية كلما ارتفع ١٧٠ متراً.

غير أن هذه النسبة تَعْلُدُ حَتَّى ارتفاع ٥ كيلومترات عن سطح البحر، وبعده تتغير هذه

١ - التمجيد: ١٥، ٢٦.

٢ - فيكون تقيح من نوع ثالث هذه المرة، تقيح بالتمعلي التحرفي ثلاثية التكريرة.

قدحن أمام كلمة صداقة مجازاً كما حملة التفسرون القدامى، وصداقة حرفياً كما أنهت العلم متأخراً، وعلى أي صورة قلبتها فهي تصدق منك، وهي بعد كلمة جديدة وغريبة، وصيغة مبتكرة حينما توصف بها الرياح! وهي بعد من التاجية الجمالية الإيقاعية ذروة، وفي التعلق بها عذبة: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ» تعلقها وتلوحتها في قصك، فتستوقف التسمع وتضطرب الأذن.

وكل هذا العلم التفصيلي في تكهرب السحاب والتقاء حبوب اللقاح ثم يكن معلوماً أنما نزول الآية، فتدبر.

النسبة، فتأخذ بالنقص باعتبار درجة واحدة مئوية لكل ١٠٠ متر ارتفاعاً. وتستمر هذه النسبة إلى ارتفاع ١٢ كيلومتراً حيث توجد طبقة هوائية ثابتة الحرارة، تبلغ درجة حرارتها ٥٥ درجة مئوية تحت الصفر.

والسحب تتعقد على ارتفاعات لا تزيد على ٦ أو ٧ كيلومترات عن سطح البحر في الأغلب.

وعمليّة التبريد هذه بالتمدد هي إحدى العوامل الفعّالة في إحداث التكاثف. وكذلك يبرد الهواء بشع حرارته كلما لامس جسمًا بارداً في الجو أو على سطح الأرض مثل الثلج والجليد، أو إذا تقابل مع هواء أبرد. والشع ذو أثر فعّال في تبريد الهواء وتكاثفه، وخاصة إذا هبّت الرياح من جهة حارة إلى جهة باردة.

وفي الحقيقة ليس الهواء هو الذي يبرد بهذه الطريقة، ولكنه «الهباء» الكثير المنتشر في الهواء، فيتخذ البخار لنفسه مراكز من هذا الهباء، يلتصق حولها، ويتكوّن حول كل مركز قطرة، فإذا اشتدّت برودة الجو الملبّد بالسحب استمرّ التكاثف، فتتضمّم قطرات السحب المائية إلى بعضها، فيعجز الهواء عن حملها، فتساقط أمطاراً على سطح الأرض بفعل جاذبيتها.



فقد تبين أنّ المطر لا يحصل إلا إذا توفّرت الشروط الثلاثة متعاقبة: التبخر فالتشبع فالتكاثف.

وهذا هو الذي دلّت عليه الآية الكريمة المنوّه عنها في صدر المقال، فقد جاءت بوصف موجز مذهش، ومعيّر للعقول.

﴿ عبّرت أولاً بقوله تعالى: «يُرْجى سحاباً» إشارة إلى عمليّة التبخير وتكوين السحب. والإرجاء هو عمليّة إتارة السحب وانتشالها بصورة أبحرة من البخار.

«اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً...» لأنّ الرياح بهبوبها على سطح البحار هي

التي تسبب التبخير والتدافع بها لتتصاعد وتتكاثر وتتكوّن سحباً.
 * ثم عبّرت عن عملية التشبع بقوله تعالى: «ثُمَّ يَوْتفُ بِئِنَّهُ» لأنّ درجة الإشباع الكافي إنّما تتوقف على حصول التعادل وتساوي تبادل الجزئيات بين الماء والهواء. وما هذا إلا التآلف والتعاقد بين تلك الجزئيات.
 ومن ناحية أخرى، لا يحصل التشبع إلا بالتعادل والتآلف بين ضغطي بخار الماء وبخار الهواء. أو الاتحاد بين نوعي الكهرباء كما سبق بيانه.
 وعليه فإنّ أصدق تعبير عن هذه الظاهرة هو وصف التأليف، الذي جاء وصفه في العلم بالتشبع.

* ثم جاءت بقوله تعالى: «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً». وهذا أبلغ تعبير عن عملية التكتاف الذي حقّقه العلم، إذ لا تفسير للركام سوى التكتاف وتراكم بعض الشيء على البعض مع ضغط. يقال: تراكم الشيء، أي اجتمع بعضه مع بعض بكثرة وازدحام. والركام: المتراكم بعضه فوق بعض بضغط.

وبعد، فإذا ما تحققت الشروط الثلاثة فعند ذلك: «فترى الودق يخرج من خلاله» الودق: المطر.

* وقد فصل تعالى بين العمليات الثلاث بـ «ثُمَّ» لأنّ كلّ عملية إنّما تحصل بتعاقب مع فترة. أمّا النتيجة - وهو الإمطار - فجاءت بالفاء: تعاقباً بلا تأخير، وهو الفور في حصول نتيجة عملية الإمطار.

فياله من دقيق تعبير، وسبحانه من عليم خبير!

الماء الأجاج

«لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أجاجاً».

هل في سنن الكون أن يتحوّل ماء المطر - الذي هو أنقى المياها وأعذبها - إلى ماء أجاج لا يستساغ شربه ولا يطيب طعمه؟

الآية قبلها تنص على أن الماء الذي يشربه الناس والدواب - وحتى الذي يسقى به
الزراع والنبات - هو الماء النازل من السماء: «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ
السَّمَاءِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ. نُوَسِّئُ لَهُمْ أَنْ يَرَوْا كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ الْقِسْفُ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ»^١.



إنك تعرف أن الأرض ربعها يابس وتلاثة أرباعها ماء، هذا الماء كله مالح أجاج، لكن
الله تعالى بفضله ورحمته يقطر للإنسان والحيوان والنبات من هذا الماء الأجاج ماءً عذباً
فراًتاً سائغاً للشاربين. أما جهاز التنطير فليس كتمله جهاز البحار كلها في ذلك دست^٢
لا يسخن من تحت، كما يفعل الإنسان في تقطيراته التافهة، ولكن يسخن من فوق بنار
تفوق حجم الأرض بآلاف المرات. فإذا ما تبخر الماء بحرارة الشمس تكثف في مكثف
ناهيك من مكثف الجو المحيط كله والجبال. والرياح مستمرة دائبة في حمل هذا البخار
المتكاثف ونقلها إلى حيث يشاء الله. فإذا أمطرت السماء وسالت الأودية وفاضت الأنهار
وحملت الخصب والماء إلى الأقطار تبخر بعض الماء وامتصت الأرض منه بعضاً وصار
باقيه إلى البحر الذي كان منه مصعده. لكن ليس شيء من الماء بضائع! فما تمتصه الأرض
تتفجر به بعد عيوناً، ويتبخر من الماء العذب أو يصير إلى البحر فهو في حرز حريز من
الضياح، إذ ماله أن يصير مرة أخرى ماء يحيى به الناس والأنعام، وتحيي به الأرض بعد
موتها. فالماء بين البحر والجو واليابسة في دورة مقدرة متصلة، لا انتطاع فيها ولا تنهي
أبداً، إلا أن يشاء الله، هو رب كل شيء.

هكذا يتحوّل الماء من أصل مالح أجاج إلى مقطر عذب فرات، في جهاز تنظر كهذا
الجهاز العظيم في جو السماء.



١ - المزم: السحاب انصبغ بانعام.

٢ - الواقعة: ٥٦، ٦٨، ٧٠.

٣ - كلمة عامية بمعنى الصرجل: القدر، وهو كل ما يغلي فيه الماء.

وبعد، فهل هناك ما يحول دون هذا التحول في الماء فينزل من السماء أجاجاً لا يستساغ شربه ولا يطيب طعمه؟

أجاب العلماء: نعم، إن في الجو من العوامل ما يمكنها التحول دون هذا التحول والانتقال، لو لا رحمته تعالى بالعباد، وقد جعل حواجز دون هذا التحول. جاء في كتاب «سنن الله الكونية» للعلامة محمد أحمد الغمراوي:

إن عذوبة الماء الذي يسقيهم الله إياه من السحاب هي بمحض رحمته تعالى. إن الماء طبعاً عذب بطبيعته، وماء المطر معروف أنه أنقى المياه، لكن طبيعة تكوُّنه من السحاب تعرضه لأن ينقلب أجاجاً لا ينتفع به الإنسان.

وذلك لأن الهواء خليط من عناصر عدّة تختلف نسبة وجودها مع البعض، وأهم تلك العناصر هو النتروجين (الأزوت)، ونسبة وجوده في الهواء تعادل (٧٨/٢١) بالمائة. ثم الأوكسجين، ونسبة وجوده (٢٠/٩٦). والأرجون (٧٩٪). وتأتي أوكسيد الكربون (٤٪).

وعناصر الهواء موجودة فيزوتيرة مختلفة في مختلف ميكنة، وليست ممزوجة امتزاجاً كيميائياً. ومعنى ذلك أنها لا تتفاعل مع بعضها، وأن كلاً منها محتفظ بكيانه مستقلاً كأن لا وجود للعناصر الأخرى.

وفي هذا من الحكمة البالغة والنعمة السابغة ما لا يكاد يخفى، إذ لو لا ذلك لاكتسب الهواء مميزات وخواصاً كيميائية أخرى تختلف عن مميزاته الحالية، فلم تكن تصلح للحياة بشكلها المعروف، وتنوعاتها التي نشاهدها على سطح الكرة.

خذ مثلاً أن غاز الأزوت لا يتحد مع غيره اتحاداً كيميائياً إلا بصعوبة وبشروط ملائمة خاصة، فيتحد في مثل هذه الظروف مع غاز الأوكسجين، مكوناً ما يسمونه بحامض الأزوتيك أو النتريك، وهو ما يعرف عند القدماء بماء الفضة، وهو أقوى

الحوامض وأضرها على حياة الإنسان بالذات. فلو كان الغازان يمتزجان مع بعضهما امتزاجاً كيميائياً بسهولة ويسر وبلا واسطة أعمال كيماوية، لانتقلب الجو جهنم سعيراً، لأنه بذلك كان الغازان يستحيلان في الجو حامضاً فتاكاً، ولأمطرت السماء ماء النضّة بدلاً من الماء العذب الثرات، وما هو إلا شواظ من نار ولهب جهنم لا يبقي ولا يذر، فسبحانه وتعالى من رؤوف رحيم.

«قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قَبْدُكَ فَلْيَفْرَحُوا».

وإذ قد عرفت أن أربعة أخماس الهواء هو الآزوت (النتروجين) وهذا الغاز لا يكاد يتحد في العادة بشيء، ولا بالأوكسجين الذي يكاد يتحد بكل شيء، لكن الكيماويين وجدوا أنهم يستطيعون بالكهربائية أن يحولوا الآزوت غير الفعّال إلى آزوت فعّال يتحد بأشياء كثيرة في درجة الحرارة العادية. كما وجدوا أنهم يستطيعون أن يحملوا الآزوت على الاتحاد بالأوكسجين بإمرار الشرر الكهربائي في مخلوط منهما. ومن هذا الاتحاد ينشأ بعض أكاسيد الآزوت، قابل للتذوق في الحماض، وإذا ذاب فيه اتحد به وكون حمضين آزوتيين، أحدهما: حمض الآزوتيك (أو ماء النار) كما كان يسميه القدماء. وإليه يصير الحمض الثاني. وقليل من حمض الآزوتيك في الماء كافٍ لإفساد طعمه.

وأظنك الآن بدأت تدرك الطريق الذي يمكن أن ينقلب به ماء المظرماء أجاجاً من غير حرق لنواميس الطبيعة ولا تبديل لسنة الله التي جرت في الخلق، فهو نفس الطريق الكهربائي الذي يتكون به المظرم، وكل الذي يلزم أن يتعدّل التفريق الكهربائي أو يتكرّر في الهواء تكراراً يتكوّن به مقدار كافٍ من الأكاسيد الآزوتية يذوب في ماء السحاب ويحوّله حمضياً لا يستسيغه الناس.

وهذا هو موضع من الله على الناس، إنه يكيّف التشريع بالصورة التي ينزل بها المظرم،

ولا يوجّ بها الماء.

إنّ شيئاً من ذينك الحمضين لا بدّ أن ينزل في ماء العواصف، وهذا ضروريّ لحياة النبات، لكن الله برحمته وحكمته قدّر تكوينه بحيث لا يتأذى به إنسان ولا حيوان، ولو شاء الله لكثّره في ماء المطر فأفسده على الناس.

وسواء شكر الناس هذه النعمة أم كفروها فإنّ قوله تعالى: «لو نشاء جعلناه أجاجاً» إشارة إلى تلك العوامل الكهربائية التي يتكوّن بها المطر. يفهمها من يفقه تلك الحقائق السابقة، ومن يعرف أنّ الطريق الكهربائي هو أحد الطُرق العلمية التي يمكن بها تحويل الآزوت الجوي إلى حمضي، فسبحان الذي أنقذ صنع كل شيء وأحكمه إحكاماً.



مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

«والجبال أوتاداً»^١

«وجعلنا في الأرض رواسي أنْ تُمدَّ بهم»^٢.

عبّر القرآن الكريم عن الجبال بالأوتاد، وأبان عن وجه الحكمة فيها وهي محافظة الأرض دون أن تضطرب بأهلها. فكيف هذا الإبتاد؟ وكيف ذلك الميدان الذي حال دونه وجود الجبال؟

ولفهم هذا الجانب من السؤال لابد من النظر في تعابير القرآن أولاً، ثم ما تعرّضه معطيات العلم الحديث.

جاء التعبير بالرواسي عن الجبال في تسع آيات،^٣ وكانت العاشرة قوله تعالى: «وَالْجِبَالُ أَرْسَاظٌ»^٤.

والوتد: المسمار وكل ما رز في الحائط أو الأرض من خشب ونحوه ليمسك به الشيء كالخباء وشبهه.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَرْزَهَا فِيهَا أوتاداً»^٥ أي أثبت الجبال في الأرض تبوت الأوتاد، رسوخاً وإحكاماً.

١ - أنبأ: ٧٨، ٧٩.

٢ - الرعد: ١٣، انفص: ٢٧، الحجر: ١٥، ١٩، ق: ٥٠، ٧، انفص: ١٦، ١٥، لقمان: ٣١، ١٠، الأنبياء: ٤١، ٤٦، فطت: ٤١.

٣ - المرسلات: ٧٧، ٧٨.

٤ - انفصات: ٧٩، ٨٢.

٥ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢١١، ص ٤٢٨.

قال **عنه** : ووُتِدَ بالصخور مَيِّدانَ أرضه أَي تَبَّتْهَا فِيهَا لِتَحُولَ دُونَ اضْطِرَابِهَا.
والمَيِّد والمَيِّدانُ: الحركة والاضطراب ضدَّ السكون والهدوء.

وفي خطبة أخرى أوضح هذا المعنى بتفصيل أكثر، قال:

وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا، وَنَشَوَزَ مَتُونَهَا وَأَطْوَادَهَا، فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا.
فَمَضَتْ رُؤُوسَهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أَصْوَلُهَا فِي الْمَاءِ. فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنِ سَهُولِهَا، وَأَسَاخَ
قَوَاعِدَهَا فِي مَتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا. فَأَشْهَقَ قَلَالِهَا، وَأَطَالَ نَشَازَهَا، وَجَعَلَهَا
لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرْزَهَا فِيهَا أَوْ تَاداً. فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ
بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنِ مَوَاضِعِهَا. فَسَبَّحَانَ مِنْ أَمْسِكِهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا.^١

وإليك شرح الغريب من ألفاظ الخطبة:

جَلَامِيدٌ: جمع جَلْمُودٍ، وهو الصخر الصلب. وجبل الشيء بمعنى خلقه وفطره، ومنه
الجِبَلَةُ بمعنى الفطرة وأصل الخلقة.

وَأَنهَدَ الشيءَ: رفع به وعظَّمه. ومنه النهْدُ بمعنى التدي. يقال: نهَدَ الشدي أَي كعب
وانتبر وأشرف.

وَالْأَنْصَابُ: جمع نَصَبٍ هي نِوَاضِعُ نِصَبِ الْجِبَالِ.

وَأَسَاخَ فِي الشَّيْءِ: غَاصَ فِيهِ وَرَسَبَ. وَأَسَاخَ بِالشَّيْءِ: انخَسَفَ بِهِ. وَالْمَوْجَانُ: الهَيَاجُ.



وَأَمَّا مَا يَسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الْمَذْهَبِيِّ فَشَيْءٌ كَثِيرٌ، نَشِيرٌ إِلَى مَا يَخْصُصُ الْمَقَامَ مِنْ
دَلَائِلِ جَلَالِهِ:

قوله **عنه**: «وَرَسَتْ أَصْوَلُهَا» أَي رَسَخَتْ أَصْوَالَ الْجِبَالِ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ حَيْثُ الْمِيَاهُ
الْجَوْفِيَّةُ. وَلَعَلَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى جُذُورِ الْجِبَالِ مُتَّصِلَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، الْمَعْبُرُ عَنْهَا بِسَلْسَلِ جِبَلِيَّةٍ
مُحِيطَةٌ بِالْأَرْضِ.

قوله: «فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَنِ سَهُولِهَا» كَأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى مَبْدَأِ حُدُوثِ الْجِبَالِ عَلَى سَطْحِ
الْأَرْضِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُسْتَوِيًا، فَتَجَعَّدَ عَلَى أُرْتِ بِرُودَةِ الْقَشْرَةِ، فَكَانَتْ نَتَوَاتٍ وَانْخِفَاضَاتٍ،

٢ - المصدر: الخطبة رقم ٢١١، ص ٣٢٨.

١ - المصدر: الخطبة الأولى، ص ٤٩.

وبذلك انقسم وجه الأرض إلى مرتفعات شامخات وهضبات، وإلى وديان وسهول.
قوله: «وأسأخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها» أصرح في الدلالة على
السلاسل الجبلية المكننفة بالأرض من جميع أقطارها.

قوله: «وجعلها للأرض عماداً، ورزها فيها أو تاداً» لأنها هي التي حالت دون تفتتها
ودون اضطراب قشرتها، ودون خروجها عن مداراتها.

تلك ثلاث خلال، جاءت في وصف الإمام عليه السلام، لبيان حكمة نتوء الجبال وتسلسلها
الماسكة بأكناف الأرض، وإليك شرح هذا الجانب:

قال عليه السلام: «فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها، أو تسيخ بحملها، أو تزول عن
مواضعها...» تلك ثلاث فوائد وحكم جاءت في كلامه:

(أولاً) هدأت - رغم حركتها الانتظامية - من الميدان والاضطراب، فهي تتحرك
بهدوء وأثران، لا ترتعش ولا تميد ولا تضطرب.

(ثانياً) هدأت واطمأنت واستحكمت قشرتها وصلبت، فلا تسيخ ولا تنخسف
ولا تتسقق قشرتها، وإلا لأصبحت قشرة الأرض كلها براكين وفوهات ونافورات بالمواد
المنصهرة والجلاميد المذابة. مرزقيت كميتر علوم رسي

(ثالثاً) هدأت وانتظمت في حركاتها الوضعية والانتقالية على أنحائها وأنواعها،
والتي بها انتهجت الحياة عليها منهجها الرتيب، فلا تميل عن مواضعها في دوائرها الدائرة
فيها بانتظام.

هذه ثلاث حكم بيئها الإمام عليه السلام أترأ لوجود سلاسل الجبال في الأرض، الأمر الذي
يدعمه العلم باكتشافاته وبحوته وتجاربه.

وتوضيحاً لهذا الجانب نقول: إن هذا الأثر العظيم للجبال - في إمكان الحياة على
وجه الأرض - إنما يعلله جانب صخرية السلسلة الجبلية المنبئة في التشرة الأرضية
الصلبة، والمتشابكة بعضها مع بعض كأطواق محيطية بأكناف الأرض.

ومن ثم فالذي يُلقت إليه كلام الإمام عليه السلام في أولى خطبة نهج البلاغة هو تبديل
التعبير بالجبال إلى التعبير بالصخور، قال: «ووتد بالصخور ميئدان أرضه»، تفسيراً لقوله

تعالى: «وجعلنا في الأرض رواسي أن يمتد بهم» وهو جانب ذو أهمية كبيرة، حيث الأمر مرتبط بصخرية السلاسل الجبلية دون سائر جوانبها، الأمر الذي يستلقت الأنظار. وإليك بعض الكلام عن سلسلة الصخور الجبلية، ودورها في توازن الأرض وانتظام حركتها.



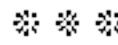
إن سلسلة الصخور الجبلية - رافعة وحافضة - دورها الخطير في توازن الأرض وتماسك أجزائها، وهكذا تبات قسرتها وصلابتها دون تلويها واضطرابها، رغم توهج باطنها والنهاب لظاها.

ومن درّس علوم الطبيعة يعلم أن الأرض مطوّقة بأطواق من السلاسل الجبلية التي جعلت الأرض أشدّ تماسكاً. وقد يعرف حكمة وجهة امتدادها وكيفية اتصالها مع بعضها، بحيث تكوّنت منها أطواق جبلية طوّقت الأرض تطويقاً على نظام بديع مستن مما يستلقت الأنظار، فإذا نظرنا إلى خارطة عالمية طبيعية فيها التضاريس الأرضية ظاهرة ظهوراً جلياً نرى السلاسل الجبلية تمتد في كل قارة على طولها بصورة عمومية لاعلى عرضها، فتكون بمثابة عمود فقري لكل منها، وحتى لاحظنا أشباه الجزائر في كل قارة فلا بد أن نرى السلاسل ممتدة على أطول قسم منها، وكذلك الجزائر الجبلية، مهما كانت صغيرة أو كبيرة، امتدت فيها السلاسل على طولها أيضاً.

وقد ثبت بصورة قطعية، وذلك عن طريق سبر قاعات البحار والمحيطات. أن الغالب من الجزائر ومرتعاتها ما هي إلا امتداداً للسلاسل الجبلية وجزء منها، حيث انغمر قسم بماء البحر وبقي القسم الآخر كجزائر فاهرة على سطح الماء.

فالقارات كلها تتصل بعضها ببعض بسلاسل جبلية عن طريق البر أو البحر. ومما يستلقت الأنظار أيضاً وجود طوق من السلاسل تحث البحر قليلاً قرب الساحل الشمالي للقارات الثلاث الشمالية، يطوق المحيط المتجمّد القطبي الشمالي

تطويقاً، وقد ظهرت منه كثير من الجزر التي تحفّت بهذا الساحل. ويقابل ذلك من الجهة المضادة من الأرض طوق آخر من السلاسل يطوق القارة القطبية المتجمدة الجنوبية، وترتبط بالطوقين المذكورين ارتباطاً وتيقاً أطواق أخرى لسلاسل جبلية ممتدة في التنازات وفي المحيطات من الشمال إلى الجنوب، كأنها إشارات تشابكت بعضها ببعض، فاستمسكت بعري الأرض دون التفتت والانبات وتفرق ذراتها هباءً في الفضاء.^١



ومن جانب آخر كانت الأرض ذات لهب في باطنها، إنها نارٌ موقدة ذات تعريض وزفير، تكاد تميّز من الغيظ، وتحاول تحطيم القشرة المحيطة بها لولا صلابتها وسمكها النخين. وما هذه الزلازل ونافورات البراكين إلا جانباً ضئيلاً من تلك الثورة والفورة النارية والمتوهجة في باطن الأرض.

إن صلابة القشرة الأرضية العليا - التي بردت منذ أحقاب من الزمان - هي التي كفتحت من جراح باطنها المتوقد، ولولا صلابتها و ضخامة سمكها لتلوت واضطربت اضطراب الأرشية، ولكانت الزلازل والهزات الأرضية مستمرة على أمدّها، ولعمّت وجه الأرض كلها. هذا إلى جانب أخطار خسف الأرض بأهلها وتشقق أكفافها، لولا أن الله تعالى أمسكها بفضله وأسكنها برحمته. «إِنَّ اللَّهَ يُسَكِّنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا»^٢.

هكذا قال سيّدنا الأستاذ الطباطبائي رحمته عند قوله تعالى: «وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم»^٣ فيه دلالة على أن للجبال ارتباطاً بالزلازل، ولولاها لاضطربت الأرض بقشرتها.^٤

قال سيّد قطب: الآية تقرّر أن هذه الجبال الرواسي تحفظ توازن الأرض، فلا تميد بهم ولا تضطرب. وحنظ التوازن يتحقق في صور شتى، فقد يكون توازناً بين الضغط الخارجي على الأرض والضغط الداخلي في جوفها، وهو يختلف من بقعة إلى بقعة. وقد

٢- خاطر ٣٥، ٤١.

١- بصائر جغرافية، ص ١٠٠، ١٠٤.

٣- التمييز، ج ١٤، ص ٣٠٥.

يكون بروز الجبال في موضع معادلاً لانخفاض الأرض في موضع آخر. وعلى أية حال فهذا النص يثبت للجبال علاقة بتوازن الأرض واستقرارها. فلنترك للبحوث العلمية كشف الطريقة التي يتم بها هذا التوازن، فذلك مجالها الأصيل.^١

وقال الأستاذ الطنطاوي: مرّت على الأرض أدوار سنّة مقسّمة إلى ٢٦ طبقة، والدور الأول منها كان عبارة عن الزمن الذي كوّن فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية^٢ صلبة، ومعلوم أنّ الأرض كانت ناراً ملتتهمة فبردت قشرتها وصارت صوانية، وهي الغلاف الحقيقي لتلك الكرة النارية، ولا تزال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتنفّدة في جوفها كلّ وقت ناراً بالبراكين. فهذه البراكين أشبه بأفواه تنفّس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها، ثمّ يخرب ذلك البركان وينفتح بركان آخر. وهذه البراكين تخرج ناراً ومواداً ذائبة تدلّنا على أصل أرضنا، وما كانت عليه قبل الدهر.

فهذه القشرة الصلبة^٣ لولها لتفجرت ينابيع النار من سائر أطرافها كما كانت بعدما انفصلت من الشمس كثيرة الثورات والثوران. وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هي التي نبنت منها هذه الجبال التي نراها فوق أرضنا، كما يقوله علماء طبقات الأرض.

فمن هنا ظهر أنّ هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل، لأنّ الطبقة الصوانية هي الحافظة لكرة النار التي تحتها، والكرة الصوانية هذه نبنت لها أسنان طالت وامتدّت حتى ارتفعت فوق الأرض، فلو زالت هذه الجبال لبتى ماتحتها مفتوحاً، وإذ ذاك تنور البراكين آلافاً مؤلّفة وتضطرب الأرض اضطراباً عظيماً وتزلزل زلزلاً شديداً، لأنّ البراكين وتورانها زلزلة.

١ - في فلاح القرآن، المجلد ٥، ص ٥٣٦.

٢ - ضرب من الحجارة فيه صلابة يخالص منه انشور عند قدحه بالزند. استعمله الإنسان في عصر ما قبل التاريخ في صناعة أدواته البسيطة وفي آلات الصيد، وهو حجر مسند من الترو يوجد في شكل عروق بطبقات الحجر الجيري من الأرض.

٣ - وقدّر سمك القشرة الصلبة الأرضية العليا بمئات الأمتار. مبادئ العلوم، ص ٤٣.

ثم إن هذه الجبال قطعة من القشرة، غاية الأمر أنها ارتفعت، فما هي إذاً إلا حافظة للكرة النارية التي لو تركت لشأنها لاضطربت في أقرب من لمح البصر، فأهلكت الحرث والنسل.

هذه هي المعجزة الأخرى للقرآن العظيم، لأن السابقين كانوا يؤمنون به فقط. فظهور ذلك - اليوم - من المعجزات القرآنية. ولقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً أن الجبال على الأرض لا قيمة لها بالنسبة للكرة الأرضية، فلو فرضنا أن الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم يكن ارتفاع الجبال فوقها إلا كمنحو نصف سبع شعيرة فوقها. ^١ ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها مليمترًا واحدًا ونصفه فقط. فما هذا الجزء اليسير بالنسبة لتلك الكرة العظيمة حتى يمنع ميلها وسقوطها!

نعم، كان الناس يؤمنون بظاهره، وقد ظهرت هذه النبوة فعلاً في العلم الحديث، ولم تظهر إلا على يد من كفروا بدين الإسلام، والمسلمون لا يعلمون إلا من الفرنجة، ونحن نكتب ذلك عنهم، فمنهم وإيهم. ^٢

فصدق الله وجاءت المعجزات العلمية في القرآن تتري كلما تقدم العلم وازدهرت حقائق العلوم وتجدت أسرار هذا الكون. ولم يعرف تفسير القرآن على وجه علمي برهاني إلا في هذا العصر، وستكشف حقائق آخر في مستقبل الأيام، فله درّه من معجزة خالدة خلود الزمان.



وتمخض البحث بالنتائج الثلاث التالية:

١ - إن للجبال (أي الصخور الجبلية المكتنفة بالأرض) أثرًا مباشرًا في توازن الأرض

١ - يبلغ أعلى قبال جبال الأرض هملايا ٨٧٠٠ مترًا، بينما قطر الأرض يبلغ ١٢٧٥٠ كيلو مترًا، والنسبة بينهما تعادل

١/١٤٥٠ تقريباً، وهي نسبة ضئيلة جداً. راجع: مباني جغرافياي إنساني تجواد صفحي نژاد، ص ١٧.

٢ - الذي ذكره شارح التفسير أن نسبة سبع عرض شميرة إلى كرة قطرها ذراع وهو أربعة وعشرون إصبعاً، والإصبع ستة

شعيرات. قال: ويترجم أن يكون كنسبة الواحد إلى ألف وثمانية. شرح بغيبي، ص ١٢ - ١٣.

٣ - ونعل هذا سهواً، وتصحيح أن النسبة مايمتر واحد على كرة قطرها متر ونصف تقريباً.

٤ - تفسير تجواهر، ج ١٠، ص ١٩٨-١٩٩.

دون أن تضطرب، فتحيد عن مداراتها المنتظمة المؤثرة في تنظيم الحياة عليها.
وقد أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه الآنف: «أو تزول عن مواضعها».
٢- وهكذا حالت صلابة القشرة وضخامة سمكها - وهي صخور جبلية - دون زلزالها
واهتزاز قشرتها، على أثر توهج باطنها، لو كانت القشرة هزيلة أو ذات لين.
والى ذلك أشار الإمام عليه السلام بقوله: «من أن تميد بأهلها».
٣- كما أن لتطويق الأرض بالسلاسل الجبلية والصخور الصلبة المحيطة بأكناف
الأرض عاملاً في تماسك أشلائها وحافظاً عن تشتتها أو تعاقب الانخسافات عليها.
واليه أشار عليه السلام بقوله: «أو تسيخ بحملها».
«فسبحان من أمسكها بعد موجان!»

مسيرة الأرض والجبال

«وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ كَمَثَرِ السُّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ»^١
الجمود: تقيض السيلان، ويقال للثلج: جمد، بهذا الاعتبار، ويقال: جمدت العين إذا
هدأت ولم يجر دمعها، ويقال للأرض وللسمكة: جماد، إذا أصابها جمد، لا كلاء،
ولا خصب ولا مطر.

قال الفيروزآبادي: يقال: ناقة جماد إذا كانت بطيئة في سيرها شبه الواقنة.
ومن ذلك كله يعرف أن هذه اللفظة تستعمل في موارد، كان من طبعها السير والحركة
فوقنت وقوف عارض. وصح إطلاق الجماد على الجبال باعتبار همودها في رأي العين،
ومن ثم قال المفسرون: جامدة أي واقنة لأحراك فيها، ويؤيده التقابل بمرور السحاب أي
حركتها في جو السماء.

فقوله تعالى: «وهي كمثر السحاب» أي تسير في مسيرتها الحثيثة كمسيرة السحاب
في الفضاء. روي ذلك عن ابن عباس.^٢

١- مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٦.

٢- اتصل ٢٧: ٨٨.

وليست حركة الجبال في مسير الفضاء سوى حركة الأرض الانتقالية في دورتها السنوية حول الشمس، أو حركتها الوضعية حول نفسها. وعلى كلا المعنيين فيدل ذلك على حركة الأرض دون وقوفها وهدوئها. وهذا بالرغم من الرأي السائد ذلك الحين القائل بسكون الأرض وكونها في مركز الأفلاك الدائرة حولها.

وجاءت دلالة الآية على حركة الأرض دلالة تبعية، من قبل نسبتها إلى مجموعة الجبال، فالجبال بمجموعتها تسير سيرها الحثيث، الأمر الذي لا يكون إلا بحركة كتلة الأرض كلها.



أما وما هذه الحركة وما هذه المسيرة الأرضية؟

١- قال أكثر المفسرين: إنها تسير الجبال نحو الفضاء، إحدى علائم قيام الساعة نظير قوله تعالى: «يَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَخَشَرْنَا لَهَا فَكَلَّمَتْ مِنْهُمْ أَحَدًا»^١ وقوله: «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَدْرًا. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا»^٢. وقوله: «وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سُرَابًا»^٣. إلى غيرهن من آيات كثيرة بنفس المضمون.^٤

قال الإمام الرازي: أعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي تسير الجبال.^٥ وقال سيدها الضباطبائي رحمته الله: بما أن الآية واقعة في سياق آيات القيامة، ومحفوظة بها فهي تصف بعض مشاهد ذلك اليوم الرهيب، ومن جملتها تسير الجبال. وقوله: «وَتَرَى الْجِبَالَ» تمثيل لتلك الواقعة، نظير قوله: «وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى»^٦ أي تلك حالتها المشهودة في ذلك اليوم العصيب لو كنت شاهدتها.^٧

لكن لحن الآية ذاتها تأبى هذا الحمل، ولا سيما مع تذييلها بقوله: «صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ». الأمر الذي يدل على أنها بعسدد بيان مظهر من مظاهر قدرته تعالى ولطيف

١- التكوير، ١٨، ٤٧. ٢- انطور، ٥٢، ٩، ١٠.

٣- انبيا، ٧٨، ٢٠.

٤- مرجم، ١٩، ٩٠، انواقه، ٥٦، ٥٧، انحاقه، ٦٩، ١٤، الصارج، ٧٠، ٩، المرسل، ٧٣، ١٤، المرسلات، ٧٧، ١٠.

٥- التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢٢٠. ٦- الحج، ٢٢، ٢.

٧- التمييز، ج ١٥، ص ٤٤٠.

صنعده. وقضية السياق موهونة - بعد ملاحظة ما قدمنا في الجزء الأول - من أن ترتيب
الثبت الحاضر لا يدل على نزولها تباعاً بفترة زمان.

٢ - وقال بعضهم: إنها الحركة الجوهرية، وإن ما في الوجود يسير قدماً نحو الكمال
المطلق، سواء كان إنساناً «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فلاقية» أم حيواناً أم
نباتاً أم جماداً «كلُّ إلينا راجعون»^١.

قال سيدنا الطباطبائي: قد تحمل الآية على الحركة الجوهرية، وأن الأشياء كلها
- ومنها الجبال - تتحرك بجوهرها إلى غاية وجودها، وهي حشرها، ورجوعها إلى الله
سبحانه. قال: وهذا المعنى يناسبه التعبير بقوله: «تَحْسِبُهَا جَامِدَةً» لأن الجمود هو السكون
المحض، في حين أنها في تحوُّل وتثقل، هادفة ساحة قدسه تعالى! قال: وهذا المعنى
نسب من المعنى الأول بإرادة قيام الساعة.

٣ - وقال آخرون: إنها الحركة الطبيعية الكامنة في ذوات الأشياء، إذ كل موجود هو
في تحوُّل وتغيير دائم مستمر، وما من ذرة في عالم الوجود إلا وهي تتبدل إلى غيرها
وتتجدد حسب الآتات والأحوال، وكل شيء هو في كل آن خلق جديد. «إنكم لفي خلق
جديد»^٢ «يسألُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» أما هذا السؤال المستمر؟
إنها مسألة الإفاضة، إفاضة الوجود من رب العالمين، ومن ثم فهو تعالى في كل لحظة من
لحظات حياتنا في خلق جديد.

قال الأستاذ محمد تقي الجعفري: إن من في السماء والأرض من عالم الوجود إنما
يسأله تعالى الاستمرار بالإفاضة عليه من قوى واستعدادات وإيقاع لوجوده خلقاً بعد
خلق.^٣

٤ - إنها حركة الأرض الوضعية والانتقالية، ومسألة حركة الأرض أمرٌ تنبه له كثير من
العلماء الأقدمين كـ «فيثاغورث الحكيم» عاش قبل الميلاد بخمسة قرون. وتبعه على

١ - الانشقاق ٦: ٨٤.

٢ - سبأ ٣٤: ٧.

٣ - راجع: الحركة والتحوُّل من النظرة القرآنية، ص ٤٩ فما بعد.

٤ - الأنبياء ٦٦: ٩٤.

٥ - ترجمان ٥٥: ٢٩.

ذلك «فلوطرخوس» و«أرخميدس». وأيده الحكيم «ارسترخوس» الذي جاء بعده بقرنين. وبعده «كليانوس» الذي أثبت للأرض حركتين، يومية وسنوية.

لكن في هذا الأوان جاء الحكيم «بطلميوس» فأنكر حركة الأرض واعتقد سكونها وكونها مركز سائر الأفلاك. وساد هذا النظام الفلكي البطلميوسي - بنضال دعمه بالرأي العام - حتى القرن السادس عشر للميلاد، حيث نبغ الفلكي الشهير «كوبرنيك» (ت ١٥٤٤م) ليأخذ برأي «فيثاغورث». وهكذا توالى بعده العلماء مؤيدين لهذا الرأي، بفضل المخترعات الفلكية الحديثة (المجاهر والنظارات المكبرة).

وللسيد هبة الدين الشهرستاني كلام طويل حول استظهار هذا الرأي من الآية الكريمة نذكر ملخصه:

قال: أول من تفتن إلى هذا الاستبطاط من الآية الشريفة هو الفاضل علي قلي بن فتحعلي شاه القاجار. وجاء تأييده في «المنجمة الأزهرية» ترجيحاً على تفسير القدماء للآية.

قال السيد: وفي الآية دلالة على هذا الاستظهار:

أولاً: التعبير بالجمود «تَحْسَبُهَا جَامِدَةً». ولا تهويل إذا كانت الجبال ترى يوم القيامة في ظاهرها هامدة وساكنة في مستقراتها.

ثانياً: التعبير بالمرور مرَّ السحاب، وهو يدل على نعومة في السير، وليس ممَّا يهول. وثالثاً: التشبيه بالسحب، ولا هول في مشاهدة مسيرة السحاب. فصح أن الآية لا تتناسب وكونها من أشراط الساعة أو إشارة إلى أهوال يوم القيامة. وقال سيدنا الضباطبائي: حمل الآية على إرادة حركة الأرض الانتقالية معنى جيد لولا منافاته للسياق.^١

وقد قدمنا أن سياق الآية ذاتها - بقرينة الإشارة إلى إحكام الصنع - تُرجِّح إرادة التفسير الأول المتقدم.

٢ - التيزان، ج ١٥، ص ٤٤٢.

١ - التهيئة والإسلام، ص ٩٧-٩٩.

دَحْوُ الْأَرْضِ

«وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»^١.

الدحو: الدحرجة. يقال: دحا الشيء، بمعنى دحرجه، كما يُدحرج الصبيانُ المداحي، وهي أحجارٌ صغيرةٌ أمثالُ القِرَصَةِ، يحفرون حفيرةً فيدحون بها إليها. وتسمى المسادي والمراصيع. والدحو: رمي الملاعب بالجوز وشبهه.^٢

فمعنى دحو الأرض: دحرجتها وزحلققتها على بسائط الفضاء لتأخذ شكلها الكروي في التدوير.^٣

فدحو الأرض إذاً ليس مجرد بسطها، كما زعمه أناس، وإنما هو بسط مع تكوير، يشبه الدوامة في جسمها الكروي يتداحى بها الصبيان في ألعابهم.

وهي اللفظة العربية الوحيدة التي تفيد معنى البسط والتكوير في ذات الوقت وتكون من أدل الألفاظ على شكل الأرض المنبسطة في ظاهرها، المتكورة في الحقيقة. الأمر الذي يوافق أحدث الآراء الفلكية عن شكل الأرض: إنها مفرطحة من جانبي قطبيها، ومنبعدة على خط الاستواء. فيزيد قطرها الاستوائي عن قطرها القطبي بمقدار (٤٢/٦) كيلومتراً.^٤

وهذا منتهى الإحكام والدقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير.

١ - التازعات ٧٩، ٢٠.

٢ - اللسان تازمغسري، ج ١، ص ٤١٨.

وقال الفيروزآبادي: مرصاع - كمرحاب - دوامة الصبيان، وكل خشبة يُدحى بها، والدوامة تعبة من خشب ينقأ تصبي عابها خيطاً ثم ينفضه بسرعة فتدوم أي تدور على الأرض. (انظر الشكل في التجدد). وعندنا في العراق كانت تسمى «القرصع»، كقجام، وهي تشبه البيضة وفي قطبيها امتاقل حديدة محددة، بها تدور على الأرض، وتسمى البيضة دحية في انديار المصرية كانت من جهة هذا التشابه، قال مصطفي محمود في كتابه «محاولة تفهم عصري تفرآن، ص ١٥٥٥: الدحية: البيضة.

٣ - قال الأستاذ محمد مصطفي المشاط: ترجمة الدحو بمعنى البسط نبياح فالمعنى الذي يؤخذ من الدحو وهو التكوير غير التام - كتكوير البيضة - مع الدوران، ولا يزال أهل الصعيد - وأكثرهم من أصل عربي - يحفرون عن البيض بالدحو أو تدحى أو تدح. القول الجديد، ص ٢١ - ٢٢.

٤ - قطر الأرض الاستوائي: ١٢٧٥٤/٨. وقطرها القطبي: ١٢٧١٢/٢. راجع: بصائر جغرافية، ص ١٥٧.

مدّ الظلّ وقبضه

«أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَنُورَ شَاءَ لَجَعَلَهُ
سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا».



إنّ الظلّ الوريث اللطيف الذي يوحى إلى النفس المجهودة المكدودة بالراحة والنداوة والسكن والأمان هو الظلّ الذي يبدأ بروحه ونسيمه فور تحوّل الشمس هبوطاً من قبة السماء (دائرة نصف النهار). تكاد تمتدّ وتبسّط نفحتها كلّما أخذت الشمس تقترب من أفق مغربها، وإذا هي تبرّغ أشعتها عند الصباح، وإذا بالأظلة تبدو على أطولها، ثمّ تأخذ في التناقص كلّما ارتفعت الشمس وسط السماء.

فهذا الظلّ يتحرّك مع حركة الأرض في مواجهة الشمس، فتتغيّر أوضاعه وامتداداته وأشكاله، والشمس تدلّ عليه بضوئها وحرارتها وتميّر مساحته وامتداده وارتداده. وهذا المدّ والقبض إنّما هي بفعل حركة الأرض حول محورها تجاه عين الشمس الوجوديّة، وهي تحصل في كلّ ٢٤ ساعة يوماً كاملاً.

وشيء آخر: إنّ محور الأرض - في دورتها حول نفسها - ينحرف قليلاً عن مستوى

فلنكها (أي مدارها السنوي) ويكون انحرافه بزاوية قدرها $23/5$ درجة، الأمر الذي يسبب تعاقب الفصول الأربعة. وكلما ابتعدت الشمس عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً فإن الضلال تختلف امتداداً وتقلصاً، فلا يستوي الظل في الشتاء مع الظل في الصيف أو الخريف أو الربيع، سواء في مناطق الاعتدال أو غيرها.

وعلى أي تقدير، فإن مد الظل وقبضه قبضاً يسيراً مما ينبو عن حركة الأرض، إما محورية أو مدارية (وضعية أو انتقالية) أو كليهما جميعاً.

وكيف كان فهو ظل النهار، يزداد وينقص، حسب الأيام والشهور.

أما الليل، فهي نعمة أخرى جاء ذكرها في الآية التالية لما سبق: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّيْلَ نَيْسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا»^١.

وهي رحمة إلهية كبرى، إذ جعل الأرض تدور حول محورها يومياً، طول سنتها التي هي ٣٦٥ يوماً. وبذلك أمكنت الحياة على وجه الأرض من كل جوانبها على سواء.

أما كرة عطارد فإنها تدور حول محورها بنفس دورتها حول الشمس في ٨٨ يوماً، كما حثقه الفلكي «شيارلي»^٢. ومعنى ذلك أن طول يومها يساوي سنتها أي دورتها حول الشمس، ونتيجة على ذلك فإن وجهها واحد منه ينتج نحو الشمس بصورة دائمية، ولا ينتج النصف الآخر نحوها مطلقاً.

وللسبب نفسه يكون أحد وجهيه ساخناً جداً، إذ تبلغ درجة الحرارة عليه نحو ٢٦٠ درجة مئوية، كما يكون الوجه المعاكس بارداً جداً، وتبلغ درجة البرودة فيه نحو ٨٠ درجة تحت الصفر المئوي، فهناك نهار سرمد، وليل سرمد، ولذا لا يتوقع وجود حياة على سطح هذا الكوكب السيّار.^٣

١ - الفرقان ٢٥، ٤٧.

٢ - راجع: مبادئ العلوم، ص ٤٧، وما من اتبناه والإسلام، ص ٦١.

٣ - مبادئ العلوم، ص ٤٦.

وهكذا قيل عن الزهرة، فدورتها حول محورها تساوي دورتها حول الشمس في ٢٢٤ يوماً من أيام الأرض. بصائر جغرافية، ص ٢٦١.

ونظير عطارد «القمر» في دورته حول الأرض. إذ تكمل دورته حول الأرض في مدة تساوي دورته حول نفسه في ٢٨ يوماً، ويصبح نصف سطح القمر مواجهاً للأرض أبداً، ونصفه الآخر مختفياً عن الأرض أبداً.^١

فليس من ناموس الطبيعة أن تختلف دورة كل كمة دائرة حول كمة أخرى عن دورتها حول نفسها، وإنما هو شيء يتبع مصلحة يراها الصانع تعالى فيما يراه في الخلق والتدبير.

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف جعل الظل في الكوكب الأرضي متحرراً غير ساكن، ولم يجعله سرمداً كما جعله في كوكب عطارد، ذي الليل والنهار السرمدين.

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِنَّهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِنَبَلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ تَسْكُنُوا فِيهِ وَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَتَعْلَمُونَ تَشْكُرُونَ»^٢

الحمد لله الذي جعل لنا الأرض مهداً وسلك لنا فيها سبلاً.

مركز بحوث كميونولوجيا إسلامية

١ - وثذا كان للقمر دورة تامة مع الأرض حول الشمس وفي هذه الدورة تدور حول محورها في ٢٨ يوماً يكون نهاره ٤ يوماً من أيام الأرض ويليها ١٤ يوماً. ومن ثم فاتبيل منه قارس البرودة، والنهار منه شديد الحرارة، وعندما تقص انشمس عمودية تباغ الحرارة فيه إلى درجة انغليان. انصدر، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

٢ - انقصص ٢٨: ٧٦-٧٣.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

«أن نسوي بنانه»

«أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ».

هذا كلام صدر في مقام التحدي، مشيراً بأن هناك معجزة كبرى في تسويته للبنان وبعثه على صورته الأولى يكون أكبر من إحياء العظام البالية، الأمر الذي لم يكشف سرّه إلا بعد نزول الآية بأكثر من ألف سنة، حينما عرف أنّ لكل إنسان بصمة خاصة رسمت على بنانه، لا يتفق اتان في بصمة واحدة، منذ خلق الله آدم حتى الثوائم. وهذا سرٌّ غريب في الخليقة أولاً، وفي إشارة القرآن إليه تانياً سبحانه وتعالى من عظيم القدرة وعجيب البيان!

ولكن لماذا خصّ الله البنان دون سائر أجزاء البدن؟ وهل البنان أشدّ تعقيداً من العظام؟

لقد توصل العلم إلى سرّ البصمة في القرن التاسع عشر، وبين أنّ البصمة تتكوّن من خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاورها منخفضات وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتماذى هذه الخطوط وتتلوى، وتتفرّع عنها تغطّيات وفروع، لتأخذ في النهاية وفي كلّ شخص شكلاً مميزاً، وقد ثبت أنّه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل في

شخصين في العالم، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة. يتم تكوّن البنان في الجنين في الشهر الرابع، وتظل ثابتة ومميّزة له طوال حياته، ويمكن أن تتقارب بصمتان في الشكل تقارباً، ولكنهما لا تتطابقان البتة. ولذلك فإنّ البصمة تُعدُّ دليلاً قاطعاً ومميّزاً لشخصية الإنسان، معمولاً به في كل بلاد العالم، ويعتمد عليه القائمون على تحقيق القضايا الجنائية لكشف المجرمين والصوص.



مركز تحقيقات كبيوتر علوم إردني

«ومن كل شيء خلقنا زوجين»^١

لم يقل من الأحياء، بل من كل شيء. فالكهرباء فيها الشحنة السالبة والموجبة. والمغناطيسية فيها الاستقطاب إلى قطبين. وفي الذرة الأيونات والبوزيترون، والنيوترون. وفي الكيمياء العضوية، الجزيء اليساري والجزيء اليميني. ونعرف الآن المادة والمادة المضادة، والشائبة والازدواجية في تركيب الأحياء والجمادات. يكشف لنا العلم أسرارها كل يوم.^٢

ولعل اللقاح والتزاوج في النبات أصبح مشهوداً بعد ضرورة اللقاح والتزاوج في الأحياء (الإنسان والحيوان). قال تعالى: «وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ».^٣ والآيات بشأن أزواج النبات كثيرة.^٤

وظاهرة التزاوج واللقاح مفروضة على كل موجود، نباتاً كان أم إنساناً، أم ممّا لا يعلمون «الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ».^٥ قال سيّد قطب: وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض

١ - التذاريات ٤٩: ٥٦.

٢ - محاولة تفهم عصري للقرآن، ص ٧٣.

٣ - الرعد ١٤: ٣.

٤ - التحف ٤٢: ٥، والتكوير ٢٦: ٧، والقمان ١٠: ١٠، وفي ٧: ٥٠، والرحمان ٥٥: ٥٢، وطه ٤٠: ٥٣.

٥ - يس ٣٦: ٣٦.

- وربما في هذا الكون، إذ أن التعبير لا يختص الأرض - قاعدة الزوجية في الخلق - وهي ظاهرة في الأحياء. ولكن كلمة «شيء» تشمل غير الأحياء أيضاً. والتعبير يقرّر أن الأحياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية.

وحيث نتذكر أن هذا النص عرفه البشر (المسلمون) منذ أربعة عشر قرناً، وأن فكرة عموم الزوجية - حتى في الأحياء ولاسيما النبات - لم تكن معروفة حينذاك، فضلاً عن عموم الزوجية في كل شيء... حين نتذكر هذا نجد أننا أمام أمر عجيب عظيم.. وهو يطلعنا على الحقائق الكونية في هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير!

كما أن هذا النص (القرآني المعجز) يجعلنا نرجح أن البحوث العلمية الحديثة سائرة في طريق الوصول إلى الحقيقة. وهي تكاد تقرّر أن بناء الكون كله يرجع إلى الذرة، وأن الذرة مؤلفة من زوج من الكهرباء؛ موجب وسالب! فقد تكون تلك البحوث إذاً على طريق الحقيقة في ضوء هذا النص العجيب!



وعن أكثر القدامى تفسير الزوجين هنا بالجنسين المتقابلين، كالأرض والسماء، والبر والبحر، والليل والنهار، والسهل والجبل، والشمس والقمر، والجن والإنس، والنور والظلمة... وما إلى ذلك. وهكذا المعنويات كالسعادة والشقاء، والخير والشر، والهدى والضلال... ونحو ذلك.

سوى ابن زيد، فإنه فسره بالذكر والأنثى، وهو عجيب.^١

قال الرازي - توجيهاً لما قاله الأقدمون - : «والزوجان: إما الضدان فإن الذكر والأنثى كالضدين والزوجان منهما كذلك، وإما المتشاكلان فإن كل شيء له شبيهه ونظيره وضدّه ونذره. قال المنطقيون: المراد بالشيء الجنس، وأقل ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر، مثلاً المادّي والمجرّد، ومن المادّي النامي والجامد، ومن النامي المدرك والنبات، ومن المدرك الناطق والحاصات.»^٢

١ - في فلاح القرآن، المجلد ٧، ص ٥٨٧ - ٥٨٨.

٢ - راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج ٩، ص ١٦٠.

٣ - التفسير الكبير، ج ٢٨، ص ٢٢٧.

العسل

«وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ»^١

قال الدكتور نزار الدقر: النصوص القرآنية التي وردت في العسل هي أوضح وأرسخ النصوص القديمة على الإطلاق، كما أنها تعتبر من أوائل النصوص التي جازمت بالفائدة المطلقة، وبالخصوص العلاجية الثابتة لهذه المادة القديمة^٢ ولأصحاب النظر في الطب والعلاج - قديماً وحديثاً - مقالات ضافية بشأن أهمية العسل وفوائده الكثيرة وأنه النافع غير الضار على الإطلاق، نقتطف منها ما يلي:

مكونات العسل

يحتوي العسل أكثر من سبعين مادة مختلفة، فهو:

١ - أهم منبع للمواد السكرية الطبيعية، حيث اكتشفت فيه إلى الآن حوالي ١٥ نوعاً

١ - النحل: ١٦: ٦٨-٦٩.

٢ - مع أطيب في القرآن الكريم، ص ١٨٢ نقلاً عن كتاب «العسل فيه شفاء للناس» للدكتور نزار الدقر.

من السكاكر، أهمها: سكر الفواكه (فركتوز) بنسبة ٤٠٪ وسكر العنب (غلوكوز) بنسبة ٣٠٪ أما سكر القصب فنسبة ٤٪ وأن كيلو غراماً واحداً من العسل يعطي طاقة تقدر بـ (٣٢٥٠) حريرة.

٢- يقف في الصف الأول بين الأغذية الكاملة، من حيث احتوائه على بعض الخمائر (الأزيمات) التي تساعد في عمليات الاستقلاب والهضم. وأهمها: خميرة الشعير، التي تحول النشاء إلى سكر، والتلايين التي تقلب السكر العادي إلى سكر عنب وسكر فواكه والكاتازالا، والبيوركسيداز، واللياز.

٣- يحوي مجموعة من الفيتامينات، أهمها: فيتامين ب، وب ٢، وب ٣ (أو حمض البانتوثيني)، وب ٥ (أو حمض النياسين)، وب ٦ (أو البيروكسين)، وفيتامين ث، وآثار من البيوتين، وفيتامين ك، وفيتامين ي، وفيتامين آ.

وهذه الفيتامينات توجد بمتادير غير مرتفعة، ولكنها مفيدة، لأن العسل وسط ممتاز لحفظها. أما نسبة وجودها فمرتبط بنسبة غبار الطلع الذي تجمعته النحلة، كراتب غذائي لها.

٤- يحوي العسل أنواعاً من البروتينات والحموض الأمينية، والحموض العضوية، كحمض النحل، ومشتقات الكلوروفيل، وعلى منشطات حيوية، وعلى روائح عطرية وغيرها.

٥- الأملاح المعدنية، وأهمها: أملاح الكلس، والفسفور، والكبريت، واليود، والحديد، والكلور، والفسفور، والكبريت، واليود.

وتشكل هذه الأملاح اثنين بالألف من وزن العسل.

٦- يؤكد الكثير من الباحثين على وجود مواد مضادة لنمو الجراثيم في العسل. كما يعتقد بوجود هرمون نباتي ونوع من الهرمونات الجنسية (من مشتقات اللاستروجين).

إذا فالعسل مادة شديدة التعقيد، تتباين أنواعه قليلاً بتراكيبها، باختلاف الزهور التي جثيت منها.

ولعل السر في احتوائه على هذه المواد المختلفة - التي لم تجمع في أي مادة غذائية أخرى على الإطلاق - هو جني النحل رحيق كل الأزهار والثمار، استجابةً لنداء خالقها يوم أوحى لها: «ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْنُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ».

مميزات العسل

١ - مقاومته دون تسرب الفساد إليه إلى سنين عديدة، بل أحقاب متطاولة، بشرط ابتعاده عن فعل الرطوبة به.

٢ - مضادته للعفونة. وقد أكد أكثر الباحثين أن الجراثيم الممرضة للإنسان لا يمكن لها أن تعيش في العسل، وأن العسل فعلاً مبيدٌ لها.

وسبب ذلك احتواؤه على حمض النحل، وهو من المواد المضادة للعفونة. ولارتفاع تركيز السكاكير التي تصل إلى ٨٠٪ من تركيب العسل، رغم أن الأوساط ذات السكري الخفيف تزيد نشاط الجراثيم. وهكذا الثمر الذي يحوي نسبة عالية من السكاكير لا تنمو فيه الجراثيم.

٣ - وقايته لتخر الأسنان، على عكس سائر السكاكير الصناعية التي هي قابلة للتخمر بوجود العصيات اللبنية.

أما العسل ففيه قدرة واضحة في الحث على نمو العظام ويزرع الأسنان وفي التمسك العظمي والسني. وبالتالي يزيد نمو الطفل ويبعده عن خطر الكساح.

٤ - يزيد خضاب الدم وعدد الكريات الحمراء. وتشير الإحصائيات إلى ندرة إصابة الثعالبين بداء السرطان بالنسبة إلى أصحاب المهن الأخرى.

٥ - يسرع التئام الجروح وينظفها، لأنه يزيد محتوى الجروح من مادة الفلوتاتيون التي تسرع عملية التعمير والالتئام النسيجي.

٦- إنّه علاج جيّد لتقرّحات الجلد المزمنة. وخاصّة إذا طبّق المزيج المؤلّف من ٤/٥ عسل + ١/٥ فازلين.

٧- علاج جيّد للمتقيّحات الجلدية.

٨- يؤدّي لشفاء سريع للجروح الواهنة.

٩- ضماد معقّم لعمليات تحتلّ التلوّث بالجراثيم.

قال الدكتور بولمان - الجراح النسائي -: وعندي كلّ المعطيات الإيجابية كي أفكر بهذه المادّة البسيطة التي تجيب على كلّ الأسئلة حول مشاكل الجروح والقروح المتقيّحة... فهي مادّة غير مخرّشة، وغير سامة، وعقيمة بذاتها، مضادّة للجراثيم، مغذية للجلد، رخيصة، سهلة التحضير، سهلة الاستعمال... وفوق كلّ ذلك مادّة فعّالة.

فسبحانه عزّ من قائل: «فيه شفاءً للنّاس»!!

١٠- يساعد على الهضم بتعالية الأليافات الهاضمة التي يحويها، ويخفض الحموضة المعدية الزائدة، وفعال في معالجة استطلاق البطن (الإسهال)، ويمنع حدوث الإمساك أيضاً، كما يفيد في معظم أمراض الكبد والصفراء، وفي السل، والسعال، والتهاب الشعبات، ومعالجة الربو وذات الرئة، والتهاب حواف الأجنان، والقرنية، وحروق العين، والنزلات الشعبية في الأنف، والتهاب اللوزات والبلعوم المزمن.

وفوق ذلك فإنّ العسل يزيد إرواء العضلة القلبية ويمدّها بالطاقة بشكل ممتاز، وغير ذلك كثير، يطول بشرحها.

فسبحانه من عظيم، حيث وكلّ حشرة صغيرة لإعداد هكذا مركّب عجيب كثير الخاصية كبير الفائدة خطير الشان.

وتمضي الأبحاث بغزارة على العسل، والكلّ يشعر أنّه مازال في هذا العجيب الغريب، الكثير من الأسرار «وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً».

دقائق هي روائع في التعبير

جاء في القرآن كثير من دقائق تعبير قد لايلمس القارئ أثناء تلاوته ما يلفت نظره إلا إذا تدبرها بامعان، وتوقف لديها متسائلاً: هل وراءها نكتة خافية؟ أم هناك سرٌ مستتر عميق؟

فإذا ما لجّ فيها وتعمّق النظر فيها وجدها ظرائف ولطائف تشرف الباحث على خضمّ بحر متلاطم وفيض بحر مواج، وإليك طرفاً منها:

«وَأَزْدَادُوا تِسْعاً»

قال تعالى - حكايةً عن قولهم -: ^١ «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً» هذا الذي نقرأه عن رقدة أصحاب الكهف، كانت ثلاثمائة سنة كاملة حسب التثقيب الشمسي، الذي كان عليه العالم المتحضر، من عدا الأئمة العربية، حيث لم يكن لها علم بحركة الفلك الشمسية، وكان تقويمها قائماً على دورة الفلك القمرية، وهي تنقص

١ - سوف نذكر في الجزء التالي أن هذا حكاية عن قوة البعض. ولا شك أن اثنين كانت عندهم على حساب الدورة الشمسية. وتكلمت تداني عندما حكاهما تعرب، زاد التمتع بتطابق محاسبتهم على اثنين انصريف.

٢ - التكهف ١٨: ٢٤.

عن دورة الشمس سنوياً بأحد عشر يوماً وربع يوم تقريباً^١ فكان لا بد أن تزيد سنوات الرقدة - لو حسبناها على السنين القمرية - بتسعة سنين بالضبط، بالأيام والساعات والدقائق والنواني.

فقد لزم أن يقول القرآن: إن سنوات الرقدة - حسبما ذكرناه - تزيد تسعاً على التقويم الذي عند العرب. وهذا سرُّ ربما خفي لحدّ الآن... معجزة باقية.

«قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^٢.

تقديم السمع على البصر

من الدقائق في تعبير القرآن الكريم أنك تجده يذكر السمع مقدماً على البصر في أكثر من خمسة وعشرين موضعاً^٣ وهي مسألة يعرف سرّها الآن علماء التشريح (النيولوجيا) ويدركون أن جهاز السمع أرقى وأعمق وأدقّ وأرهم من جهاز الإبصار، ويمتاز عليه بإدراك المعجزات كالموسيقى، وإدراك التداخل مثل حلول عدّة نغمات داخل بعضها بعضاً، مع القدرة على تمييز كل نغمة على انفرادها، كما تميّز الأم صوت بكاء ولدها من بين زحام هائل من أصوات هذه الحفلة، يتم هذا في لحظة من الزمن. أمّا العين فهي تنوّه في زحام التفاصيل ولا تعثر على ضالتها، يتوه الولد عن عين أمّه في الزحام ولا يتوه عن سمعها، والعلم يمدّنا بألف دليل على تفوق معجزة السمع على معجزة البصر...

١ - أيام السنة القمرية تتراوح بين ٣٥٤ و ٣٥٥ يوماً. بينما أيام السنة الشمسية هي: ٣٦٥ يوماً و ٦ ساعات و ٩ دقائق و ٩ ثوانٍ بالضبط. الأسيدياً قديماً (٥٩٥١ / الثانية) تنقص كل سنة.

٢ - تزيد السنة الشمسية على السنة القمرية بمقدار ١ يوماً وهي مضمومة في (٣٠٠) تساوي (٣٣٠٠) يوماً وتساوي ٩١ سنوات وثلاثة أشهر ونصف (١٠٥) بالتقسيم على عدد أيام القمرية، حساباً بالتقريب، حيث عدم انطباق السنة القمرية تماماً، فصحّ تعبير القرآن بزيادة تسعة أعوام تعبيراً بالثقة.

راجع التفهيم لأبي ریحان البيروني، ص ٤٣٥، ودمخدا، ص ١٣٣٣، مادة «ساق».

٢ - الفرقان ٦: ٥٥.

٣ - البقرة ٢: ٧ و ٢٠، النساء ٤: ٥٨ و ١٤٤، الأنعام ٦: ٤٦، يونس ١٠: ٤٦، هود ١١: ٤٠، النحل ١٦: ٧٨ و ١٠٨، الإسراء ١٧: ١ و ٣٦، طه ٤٠: ٤٦، الحج ٢٢: ٦١ و ٧٥، المؤمنون ٢٣: ٧٨، السجدة ٣٢: ٩، طاهر ٤٠: ٢٠ و ٢٦، قصص ٤١: ٢٠ و ٢٢، انشورى ٤٢: ١١، والأحقاف ٤٦: ٤٦، المجادلة ٥٨: ١٠، الصافات ٦٧: ٢٣، الإنسان ٧٦: ٢.

«سُرِّبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعُونَ لِمَ أَنَّ الْحَقَّ»^١.

وقد مرّ بعض الكلام عن ذلك في الجزء الخامس^٢ ضمن دقائق ونكات رائعة من القرآن الكريم.

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ»^٣

ما أرقه من تعبير عن حالة المرأة أيام طمثها، لاشفاقاً كشتفاء أحكام اليهود بشأنها، ولاجفاءً كجفاء جاهلية العرب بحقها. إله تعبير ينم عن واقعية هي حالة مَرَضِيَّة تعترى المرأة في محيضها، فيجب مراعاة حالها والمداراة مع ضعفها الجسمي، وهي لا تطبق ما تطبقه في حالتها العادية وقد كان اليهود يشددون في مسائل الحيض، كما جاء في الفصل الخامس عشر من التوراة: إن كل من مس الحائض في أيام طمثها يكون نجساً إلى المساء، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه بماء ويستحم ويكف من مسها، وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه، يكون نجساً سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً^٤. وكانت العرب في الجاهلية لا يسألون عن الحيض، ولا يؤاكلونهن، كما كانت تفعل اليهود والمجوس أيضاً.

لكن القرآن دفع عنها الرجس وجعلها في إطارها الخاص من الرفق بحالتها والعطف عليها والحنان، لاهجرها ونبذها ومتاركتها أو إخراجها بالخروج عن مساكنها، كما كانت العادة عند المجوس، وحتى عند قبائل من العرب. فقد كانت الحائض عندهم مبعوضة. كان بنو سليح أهل بلد الخضر^٥ وهم من قضاة نصارى، إذا حاضت المرأة أخرجوها من

١ - فضلت ٤٦، ٥٣.

٢ - التمهيد، ج ٥، «شواهد من القرآن - تقديم التمعن على التصر».

٣ - البقرة ٤، ٢٢٦. ٤ - سفر اللاويين: إصحاح ١٥ عدد ١٩ - ٢٤، من ١٨٢ - ١٨٤.

٥ - مدينة قديمة دعاها اليونان «خثرا» شيدها الفريزيون على الحدود الرومانية قبل الميلاد بقرن بين دجلة ورافرات كانت مركزاً تجارياً طيبة قرون.

المدينة إلى الربض (ضواحي البلد) حتى تظهر. وفعلوا ذلك بنصرة ابنة الضيزن ملك الحضرة^١.

قال تعالى: «هو أذى» أي حالة مرض يعترها لأكثر ولأقل. والأذى، المرض الخفيف المؤونة. فهي حالة مؤذية دون إيذاء المرض والضرر الشديد، كما في قوله تعالى: «لا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطرٍ أو كنتم مرضى». وقوله تعالى: «فإن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه فإذنه». وقوله تعالى: «لن يضروكم إلا أذى»^٢.

وقد ورد في شريعة الإسلام جواز مرادتها دون الجماع فقط، قال عليه السلام: «اصنعوا كل شيء إلا الجماع». وفي حديث آخر: لك ما فوق الإزار.

فالحكم الإسلامي بشأنها هو اعتزالها في المحيض فحسب، أي اعتزال موضع حيضها.

وفي ذلك أيضاً لطف بيان وإناقة كلام، يبيّن أولاً سبب الحكم ثم رتب الحكم عليه، ليكون المكلف على بصيرة من أمره، أن ليست أحكام الشريعة تحميلاً أو مجرد تعبد محض، بل لكل أمر سبب ولكل حكم وتكليف مصلحة، تعود إلى صالح المكلفين في نهاية الأمر.

والخلاصة: الواجب هو ترك غشيان النساء مدة الحيض، لأنه سبب للأذى والضرر أحياناً. وقد أثبت الطب الحديث مفسد غشيانهن في تلك الحالة، وأن الوقاع في زمن الحيض ربما يؤدي إلى الأضرار التالية - حسبما أورده المراغي في تفسيره -:

آلام أعضاء التناسل في المرأة، وربما أحدث التهابات في الرحم في المبيضين أو في الحوض، تضرّ صحتها ضرراً بليغاً، وربما أدّى ذلك إلى تلف المبيضين وأحدث العقم. وربما دخل مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل، وذلك يحدث التهاباً صديدياً

١ - راجع: تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٣٤٦.

٢ - التذكار، ٤: ١٠٢. ٣ - البقرة، ٢: ١٩٦.

٤ - آن عمران، ٣: ١١١.

يُشبهه السيلان، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فأذاهما، ونشأ من ذلك عقم الرجل، وقد يصاب الرجل بالزهري إذا كانت جراثيمه في دم المرأة، وغير ذلك.^١

من بين فرثٍ ودمٍ لبعثاً خالصاً

قال تعالى: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئَأُ خَائِصًا سَائِعًا لِلشَّارِبِينَ».^٢

يقول الأستاذ أحمد كامل ضو: إن الجهاز الهضمي يقوم بهضم الغذاء وامتصاص الصالح منه، وهذا الجزء الصالح منه يذهب إلى الدم فيختلط به، وباستمرار دخوله في القلب وخروجه منه ثم مروره في أجزاء الجسم المختلفة يغذي ما يحتاج منها إلى غذاء. فالغذاء إذاً يتحوّل جزء منه إلى دم، وجزء منه إلى فرث (وبعد فصولات الغذاء غير الصالحة للتغذية). فالدم يسير في أوعيته، وهي الشرايين والأوردة المنتشرة في جميع أجزاء الجسم صغيرها وكبيرها، حاملاً المواد الغذائية الصالحة، المذهبة إليه من القناة الهضمية، ليوزعها في أنحاء الجسم لبناء الأنسجة وتعويض المستهلك أثناء تآدية الوظائف الحيوية، وهو يغذي الغدد التي منها الغدد اللبنية (ضرع الحيوان) المنوط بها إفراز اللبن.

فالغذاء يتحوّل جزء منه إلى دم، وهذا الدم يذهب إلى ضرع الحيوان، حيث يغذي الغدد اللبنية فيتحوّل هذا الجزء من الدم إلى اللبن.

أما الجزء الآخر من الغذاء غير الصالح فإنه يتحوّل إلى براز وهو الفسرت. فالغذاء ينشطر شطرين هما الدم والفرث - أي إلى صالح وغير صالح - واللبن يخرج من بينهما خالصاً من كل شائبة تشوبه من أثر الطعام المهضوم ورائحته، صافياً من كل المواد التي كانت في الدم، ناصع البياض ظاهراً، وذلك بعملية الغدد اللبنية التي خلقها الله سبحانه كمعمل كيميائي يتحوّل الدم فيه إلى لبن، ثم يصفى بأدقّ مصفاة وأنظف أداة.

وقد جعله الله سائغاً للشاربين: سهل المرور في حلقومهم، حلو الطعم في أفواههم، وأوجد فيه ذلك اليسر لما فيه من فوائد جمّة تعود على مخلوقات إنسية وحيوانية. واللبن يتكوّن من ماء ودهن وسكر وزلال وأملاح وفيتامينات، فهو يحتوي على جميع العناصر الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان والحيوان، ويعتبر بحقّ أهمّ الأغذية على الإطلاق.^١

وقال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور بهذا العسد في تفسيره «التحرير والتنوير»: وجه العبرة في الآية أنّ ما تحتويه بطون الأنعام من العلف والمرعى ينقلب بالهضم في المعدة ثم الكبد ثم تُدَد الضرع مائعاً يُسْتَمَى، وهو مفرز من بين إفراز فرث ودم، والفرث: الفضلات التي تركها الهضم المعدي فتتحدّر إلى الأمعاء فتصير فرثاً. والدم: إفراز يفرزه الكبد من الغذاء المنحدّر إليها، ويصعد إلى القلب فتدفعه حركة القلب الميكانيكية إلى الشرايين والعروق، ويبقى يدور كذلك بواسطة القلب. ومعنى كون اللبن من بين الفرث والدم، أنّه إفراز حاصل في حين إفراز الدم وإفراز الفرث. وعلاقته بالفرث أنّ الدم الذي ينحدّر في عروق الضرع يمرّ بجوار الفضلات الهولية والفضلية، فتفرزه تُدَد الضرع لبناً، كما تفرزه تُدَد الكليتين بولاً بدون معالجة زائدة، وكما تفرز تكاميش الأمعاء ثقلاً بدون معالجة.

وليس المراد أنّ اللبن يتميّح من بين طبقتي فرث ودم، وإنّما الذي أُوهم ذلك من توهمه حمّله «بين» على حقيقتها من ظرف المكان. وإنّما هي تستعمل كثيراً في المكان المجازي فيراد بها الوسط بين مرتبتين كقولهم: الشجاعة صفة بين التهور والجبن. فمن بلاغة القرآن هذا التعبير القريب للأفهام لكل طبقة من الناس بحسب مبالغ علمهم، مع كونه موافقاً للحقيقة.^٢

١ - التفسير التام في القرآن في التبيان لأحمد عمر أبي حنبل، ص ٤٦٥، ٤٦٦ نقلاً عن كتاب «القرآن الكريم والمعالم التحديثة» للأستاذ أحمد كامل شو، ص ٥٦، ٦٠ الطبعة الثانية.

٢ - التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ١٦١.

أنباء الغيب

«تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»^١

ويلحق بالإعجاز العلمي «الإعجاز الغيبي» كلاهما إنباء عن غياهب الوجود.
«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ»^٢
من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم - حسبما ذكره العلماء - الإعجاز بما جاء فيه من
أنباء الغيب، وهو كلما كان غائباً عن النبي ﷺ وقومه، مما لم يشهدوا حوادث الواقعة أو لم
يحضر وقتها، فلم يكونوا على علم بتفاصيلها، فيدخل في الغيب بهذا المعنى كل ما ورد
في القرآن عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم ﷺ إلى مبعث رسول الله ﷺ من
عظيمات الأمور ومهمات حوادث التاريخ. وكذلك يشمل ما غاب عنهم في وقته من
الحوادث التي كانت تحدث وجاء الإخبار بها عن طريق الوحي، كإخبار الله تعالى بما
يكيد به اليهود والمنافقون وما ينوون من دسائس خبيثة، كانت أو كادت تقع حينذاك.
ويشمل أيضاً ما تضمنته من الإخبار عن أمور وحوادث ستقع في المستقبل.
وعليه فكلمة «الغيب» تشمل كل هذه المعاني الثلاثة: غيب الماضي، غيب الحاضر،

غيب المستقبل. وإليك نماذج من هذه الغيوب:

١ - غيب الماضي

لقد سمى الله تعالى الإخبار عن الأمم الماضية غيباً، وجعل ذلك دليلاً على صدق النبوة، وأن القرآن الكريم وحى من الله عزّ شأنه. فقد جاء في مواضع من القرآن - عند سرد قصص الأنبياء وأممهم - أنه من أنباء الغيب، بدليل أنه «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا» فالنبي ﷺ أمي لم يقرأ ولم يكتب. وقومه أميون ليسوا بأهل كتاب يقرأونه أو يدرسونه، فلا علم لهم جميعاً بحوادث ماضية، إذ لم يكونوا شهدوها ولا قرأوها في كتاب أو درسوها في معهد.

قال تعالى بشأن قصة مريم وكفالة زكريّا لها:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»^١

وقال سبحانه بشأن قصة نوح وقضية الطوفان:

«تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا»^٢

وقال بشأن قصة يوسف وإخوته:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْتَعَا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ»^٣

نعم، إن هذه القصص مع هذه التفاصيل كانت خافية على العرب بالذات، وعلى سائر الناس حتى أهل الكتاب، ممّا جاءت جوانب من تلکم الأخبار في كتبهم محرفة ومشوّهة، فجاء نصّها الصحيح التزيه في القرآن الكريم، دليلاً على كونها وحياً من السماء، غير مستقاة من تلکم الأساطير.

وهكذا قبل عرض قصة موسى يقول تعالى:

٢ - مود ١١: ٥٩.

١ - آل عمران ٣: ٤٤.

٣ - يوسف ١٢: ١٠٢.

«تَلُّوْا عَنِّيكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِأَحَقِّ نِقْمٍ يُؤْمِنُونَ»^١.

وبعد انتهاء القصة وذكر تفاصيلها وما فيها من عبر وعظات يقول:

«وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْعُرْبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتُمْ ثَارِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَلُّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ نَعَلَّهْمُ يَتَذَكَّرُونَ»^٢.

إن ورود أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بهذا التفصيل الدقيق في القرآن الكريم لدليل على كونه وحياً من عند الله علام الغيوب، وليس من عند البشر ذي العلم القصير، ولا سيما من مثل محمد ﷺ الذي نشأ في بيئة لا تمكنه الاطلاع على مثل هذه الأمور على دقائقها وظرائفها، مما لا يسيل إلى العلم بها سوى التلقي عن منبع أصيل ركين، إذ لم يكن في تلك البيئة من يعرف هذه الأنباء على هذا الوجه الدقيق التزويد.

«وَمَا كُنْتُمْ تَلُّوْا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا خَطَّةٍ بِيَمِينِكَ إِذْ لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ»^٣.

مركزية كرامات علي عليه السلام

وما تهمة قريش بأنها «أساطير الأولين اكتنبتها فهي تملأ عليك بكثرة وأصيلاً»^٤ إلا هراء عارماً، وافتراءً مفضوحاً، جاءت على خلاف ما استيقنتها نفوسهم من أمية الرسول ﷺ وعدم إمكان اتصاله بدوي الثقافات الراقية في ذلك العهد، حيث إحاطتهم بأحواله في سفره وحضره ومدى علاقته بسائر الناس.

إنهم كانوا يحيطون علماً بأحوال الرسول ﷺ قبل البعثة، من عدم اتصاله بأحد من أهل الكتاب، ولم تكن له أسفار علمية للبحث والتنقيب عن آثار الأمم. لكنهم مع ذلك قالوا - كذباً وزوراً - لا بد أنه يتعلمها من أحد فهو يملئها عليه. لكن من الذي أوتي علم

٢ - انقص ٢٨، ٤٤، ٤٦.

١ - انقص ٢٨، ٤٣.

٤ - الفرقان ٢٥، ٤.

٣ - العنكبوت ٢٩، ٤٨.

إلا عن وحي الله وتزويله.

والثاني: أنه كان يذكر القصة الواحدة مراراً مختلفة بالألفاظ مختلفة. وكل ذلك مشابهة في الفصاحة. مع أن الفصيح إذا ذكر قصة مرة واحدة بالألفاظ المنصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة أخرى بالألفاظ فصيحة. فيستدل بنصاحة الكل على كونها من عند الله تعالى لآمن البشر.^١

وقد فعلنا الكلام في ذلك في الجزء السابع في مقارنة للقرآن مع كتب السالفين.^٢

٢ - غيب الحاضر

والمقصود: ماجرى على عهد رسول الله ﷺ من حوادث لم يحضرها هو ولا المختصيصون من أصحابه، فنزل القرآن مشتملاً لها ومخبراً بحقيقة ماجرى. حيث لولا إخبار القرآن بها لظلت مكتومة على المسلمين ونيرهم ممن غابت عنه، ولا سيما الدسائس الخفية التي كان يقوم بها المنافقون، وكانت المحاولة شديدة على إخفائها، فافتضحهم القرآن الكريم.

وكان في تنبيه القرآن الكريم الرسول ومن معه من المؤمنين على الحقيقة وتوجيههم إلى ما ينبغي اتخاذه حيال الوقائع، كان في ذلك ضمان لسلامة سير الدعوة وتجنبها عن الوقوع فيما كان يخطط لها الأعداء من الكفار والمنافقين.

فالغاية الأساسية من الغيب الحاضر هو تأييد الدعوة والأخذ بيدها والسير بها على بيئة من أمرها، وإن كان قد يضم إلى ذلك جانب دلالاته على صدق الرسالة، ووجود تلك العصلة الوثيقة بينها وبين رب السماء والأرض العالم بغيوبهما عن أعين الناس، حيث لم يكن لصاحب الدعوة ولالدوية علم بما دار في غياهم، وما خطط لهم وكاد يجرى

١ - أسرار التنزيل، ص ٧٧ الفرقان وقرآن تغايد الله، ص ١٢٣٨.

٢ - الجزء السابع، آداب الأول، ص ٣٠ فما بعد.

تنفيذه، حتى أَمَاط القرآن الكريم المتام عنها وكشف عن واقعها.

ولذا ذكر أمثلة من هذا النوع من الإعجاز الغيبي، ليظهر لنا من خلالها الهدف الأساسي الذي رمى إليه هذا التوجيه الرباني، والأهداف اللاحقة أو الشيعية التي تستفاد من سوق الخبر أو الحادثة.

وأغلب هذه الحوادث تتعلق بكشف خطط أعداء الله وكيدهم للقضاء على الجماعة المسلمة، وإطناء نور الله «وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نَوْرُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^١.
فمما جاء بشأن اليهود قوله تعالى:

«وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ نِكَذِبُ سَمَاعُونَ يَقُومُ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ وَكَانَ مِنْكُمْ مَنْ بَعْدَ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

سَمَاعُونَ لِيُنْكَذِبَ أَكَانُونَ نَسْتَحِبُّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ النَّوْرُ رَأَى فِيهَا حُكْمَ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»^٢.

روى الطبرسي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين أن هذه الآيات نزلت بشأن امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشrafهم، وهما محصنان، فكرهوا رجمهما. فأرسلوا إلى يهود المدينة أن يسألوا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة. فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدّهما؟ فقال: هل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم. فنزل جبرائيل بالرجم، فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به.

فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن سوريا - أحد علمائهم بخبير وكان عالماً بالتوراة - فقال له النبي ﷺ: إني أنشدك بالله، هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحسن؟ قال ابن سوريا: نعم، هكذا أنزل الله في التوراة، فقال له النبي ﷺ: فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله - أي تهادتتم به -؟ قال: كنا إذا زنى الشريف تركناه وإذا زنى الوضيع أقمنا عليه الحد، فكفر الزنا في أشرافنا، فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة ثم يسود وجهه، ويطاف بالبلد راكباً على حمار وجهه على دبر الحمار، فجعلوا هذا مكان الرجم. فقالت اليهود لابن سوريا: ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت - لئنا أتينا عليك - بأهل، ولكنا كنت غائباً ففكرهنا أن نغتابك. فقال: إنه أنشدني بالتوراة، ولو لا ذلك لما أخبرته به، فأمر بهما النبي ﷺ فرجما عند باب المسجد، وقال: أنا أول من أحيا أمر الله إذ أماتوه، فأنزل الله في ذلك:

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^١

فقام ابن سوريا ووضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ ثم قال: هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن نعتوه عنه. فأعرض النبي ﷺ عن ذلك. ثم سأله ابن سوريا مسائل كثيرة، أوردتها الطبرسي في تفسيره.^٢

ومن هذا القبيل ما أخبر القرآن الكريم عن أساليبهم الملتوية في إدخال الوسواس والأحزان في قلوب المؤمنين.

قال الطبرسي - في تفسير قوله تعالى: «لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَوا عن النجوى ثم يعودون لما هُوَوا عنه» -: نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم حسبوا أن بلغهم عن

١ - قال ابن الأثير: في حديث الرجم «إنه مرّ يهودي محطّم مجاود» أي مسودّ الوجه، من التحمّم وهي الفحمة.

٢ - تصانيفه، ٥: ١٤٠-١٤٦، ٣ - مجمع البيان، ج ٣، ص ١٩٣-١٩٤.

أقربائهم وإخوانهم الذين خرجوا إلى السراياشي، قتل أو أسر أو هزيمته، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن النجوى دون المؤمنين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت الآية توبيخاً وتثديداً لهم:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُجِرُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعَادُونَ بِمَا هُمْ عَنْهُمْ وَعَدُوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسِفُهَا الْمَاصِيرَ»^١

وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: سلام عليك، والسلام الموت، وهم يوهمون أنه السلام عليك. وهكذا كانوا يحيون سائر المسلمين. وكانوا يزعمون أن لو كان نبياً لم يكذب يخفى عليه ذلك، ومن ثم سوف لا يعذبهم الله على صنيعهم هذا، فافتضحهم الله بنزول الآية، وحتم عليهم العذاب ونسب المصير.^٢

ثم قال تعالى - فعلاً لقوله الحق -: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّغْوِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالْتَّقْوَى وَالَّذِي فِي يَدِ اللَّهِ يُحْشَرُونَ. إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَتَيْتُو كُلِّ الْمُؤْمِنُونَ»^٣

ومما ورد بشأن المنافقين قوله تعالى:

«وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى تَعْلَمَهُمُ اللَّهُ سَعَدَ لَهُمْ مَوْتُهُمْ ثُمَّ يَرْدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ»^٤

والفتنة الثانية التي لم يقر قرارها في المدينة - بعد مهاجرة المسلمين إليها والإخاء الحاصل بينهم وبين الأنصار من أهل المدينة - هم فئة المنافقين، وكان يترجمها عبد الله بن أبي بن سلول. فكان هو وذنابه لم يفتأوا يحاولون النيل من الإسلام ووضع بذور الشقاق

٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٤٩ - ٢٥١.

١ - المجادلة ٥٨: ٨.

٤ - التوبة ٩: ١٠١.

٣ - المجادلة ٥٨: ٩ - ١٠.

والخلاف بين المسلمين، كلّموا وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

ولكن آيات القرآن الكريم كانت لهم بالمرصاد، حيث كانت تكشف عن دسائسهم وعن أعمالهم الخبيثة، وعن دخيلة أنفسهم، ليكون المسلمون على بيّنة من أمرهم. فمن الأساليب التي كان يلجأ إليها المنافقون حرب الأعصاب. ففي غزوة أحد قام رأس النفاق بشطر الجيش وسحب أنصاره منه، وهم زهاء الثلاثمائة يريدون بذلك إيقاع الבלبلة والاضطراب في قلوب المسلمين. ولمّا أصيب المسلمون في المعركة أبدوا اسمائة الأندال الجبناء.

والقرآن يصوّر حسنتهم القائمة على خبث ولؤم وجبن، ويبرز الحقيقة الكامنة فيهم. وهي: أن ألسنتهم وصدورهم إنما تعيشان باستمرار على طرفي نقيض. قال تعالى:

«وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّتْقِ الْجَمْعَانِ قِبَادِنِ اللَّهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُؤْمِنِينَ. وَنَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ يُلْكَفِرُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ نِلَإِيمَانٍ يَكُونُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا نَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ. الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قَلَّ قَادِرُونَ عَنِ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

قال الطبرسي: إنّ عبدالله بن أبي بن سلول والمنافقين معه من أصحابه أخذوا يوم أحد نحواً من ثلاثمائة رجل وقالوا: علام نقتل أنفسنا. وقال لهم عبدالله بن عمرو بن حزام الأنصاري: تعالوا قاتلوا في سبيل الله واتقوا الله ولا تأخذوا بئببكم، أو ادفعوا عن حريمكم وأنفسكم.^٢

وفي غزوة الخندق كان لندائة المنافقين دورها، فقد حفر المسلمون الخندق حول المدينة ليكونوا في مأمن من هجوم أحزاب العرب الكافرة، ولكن المسلمين أصبحوا مع ذلك في خطر يتهددهم من داخل المدينة من قبل اليهود ولاسيما بني قريظة الذين غدروا

٢ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٣٣.

١ - آل عمران ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

بالعهد ليطعنوا بالمسلمين من خلف. ولم يكتب المنافقون بمهمة التبيط حتى قال قائلهم - هو معتب بن قشير - : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا يخشى أن يذهب إلى الغائط. لم يكتشفوا بهذا أيضاً بل قاموا بدور الانسحاب مرةً أخرى، راجعين إلى بيوتهم، متذرعين بعذر لئيم، قالوا: إن بيوتنا عورة (مكشوفة) معرضة للخطر فلا بد لهم أن يتولوا حراستها والدفاع عنها بأنفسهم، علماً بأن الخطر لم يكن كامناً على بيوتهم، بل على الجبهة التي وقف المسلمون أمامها، ولكن خشة الطبع زينت لهم هذا العذر وسوغته، فتركوا الميدان.^١

وفي ذلك يقول تعالى:

«هٰنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا. وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا»^٢



وفي غزوة تبوك يتكرر موقف التخاذل والتذلل والانسحاب، بعد أن حاولوا تشييط المسلمين عن الخروج للجهاد. وجهز رأسهم جيشاً من المنافقين ينافس به جيش المسلمين، حتى كان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين. تم إعلان حرب الأعصاب حين قرّر التخلف والانسحاب، وهو يقول: يغزو محمد بنى الأصفر - مع جهد الحال والحرّ والبلد بعيد - إلى ما لا قبل لديه، يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر الملعب، والله لكأنني أنظر إلى أصحابه غداً مقرّنين في الجبال.^٣

هذا ديدنهم في الشدائد وعند الاستعداد للمعارك، وهو أن يفرّوا من الميدان، ويرزرون هزيمتهم هذه بأتفه المعاذير. وانظر إلى عذر أحدهم - هو الجد بن قيس - يقول:

١ - سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ١٢٣، ومجمع البيان، ج ٨، ص ٣٤٧.

٢ - الأحزاب، ٣٣-١١-١٣.

٣ - سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ١٦٨.

إنه يخشى على نفسه الفتنة من نساء الروم لجمالهن^١.

وانظر إلى الآيات وهي تُعري حقائقهم:

«إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ. وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَكَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ. لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَعْنُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيمٌ بِالظَّالِمِينَ. لَقَدْ ابْتِغَوْا النِّفْتَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِنِي لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^٢.

وأخيراً وبصفة عامة يصف العرب - ولاسيما البدو منهم - بالنفاق العارم، وأنهم لا يزالون يكيّدون بالإسلام، وحتى الذين تسلّموا في ظاهر الأمر، إنما يُبطنون الكفر والنفاق.



قال تعالى بشأنهم:

«الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدُّوَابِرَ عَنِّيهِمْ دَائِرَةٌ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ - إلى قوله - وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ شَيْءٌ نَعْلَمُهُمْ سَاعِدِيهِمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَรُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ»^٣.

وما ورد بشأن مسجد ضرار:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُقُنَّ إِنَّا أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا

١ - المصدر، ص ١٥٩، ومجمع البيان، ج ٥، ص ٣٦. ٢ - اتنوية ٩: ٤٥ - ٤٩.

٣ - اتنوية ٩: ٩٧ - ١٠١.

نَسَجِدُ أَتَسْسَ عَلَى التَّنْقُوسِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيمَا رَجُلٌ يُحْيُونَ أَنْ يَسْطَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ. أَلَمْ نَأْتِ بِبَيِّنَاتٍ عَلَى تَنْقُوسِ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسْسَ بَيِّنَاتٍ عَلَى شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَتَاهَا زَبِيدٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^١

هذه الآيات نزلت بعد منصرفه ﷺ من غزوة تبوك، وكان ﷺ قد وعدهم بالصلاة في مسجدهم، فجاءت الآيات نهياً وتحذيراً، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم وابن عدي وقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرّقا، ففعلتا^٢.

٣- غيب المستقبل

إخبار عن حوادث ستقع في مستقبل قريب أو بعيد، ولاسيما القريبة منها كانت دلائل على صدق النبوة، وأما البعيدة منها فهي ما ينتظر دورها والزمن كفيل بإظهار ذلك للأجيال، الأمر الذي لا يمكن البتّ بوقوعه فيما يأتي لسوى علام الغيوب. من ذلك، التحذير بالقرآن بالنسبة إلى أجيال قاطنة، مما يجعل القطع في مثله دليلاً على تداوم الإعجاز من ناحية التحذير عبر الأيام.

قال تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا...»^٣

فهذه القاطعية في عدم إمكان المعارضة مدى الأجيال لدليل قاطع على صدق الرسالة، وأنه من كلامه تعالى العالم بما كان وما يكون.

الإنسان مهما بلغ من قدرة على الكمال والعلم والأدب، فإنه إن أمكنه التحذير مع أبناء زمانه - حيث يعرف مدى قابلياتهم - فإنه عاجز عن إمكان معرفة مقدرة ذوي

٢- سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ١٧٤.

١- التوبة: ١٠٧-١١٠.

٣- الزمعة: ٢٣-٢٤.

الفضائل في مستقبل الأيام.

قال تعالى: «قُلْ لِيَن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْمَجْنُ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَتُوكَانَ بَعْضُهُمْ يَبْعُضٍ ظَهْرًا»^١.

ومن ذلك، إخباره القاطع بظهور الإسلام وغلبة الدين على الإلحاد غلبة ظاهرة، وأن الإسلام يعلو وما يعلو.

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللهِ شَهِيدًا»^٢.

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَنفُسِهِمْ وَاللهُ مُتِمِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَتُوكَرَ الْمُشْرِكُونَ»^٣.

«يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَنفُسِهِمْ وَيَأْتِي اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَتُوكَرَ الْمُشْرِكُونَ»^٤.

ففي هذه الآيات الثلاث وعدٌ جسيمٌ بظهور الإسلام وغلبته على الكفر والإلحاد، رغم معارضة المناوئين الألداء، وهو إخبارٌ غيبيٌّ عن مستقبل قادم، وقد تجلّت الحقيقة بصدق مقام الرسالة العامة مدى القرون والأعوام.

وفي قوله «على الدين كله» دلالة واضحة على سطو الإسلام على سائر الأديان الراهنة في أرجاء الأرض، إنما ظهوراً بالغلبة والإيادة، أو بسطوع البرهان القاطع. فتد «جاء الحقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»^٥.

ولعلّ في ذلك الإماعة إلى ظهور دولة الحق، على يد مهديّ آل محمّد عجل الله فرجه، والتي تملأ بها الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، اللهم عجل فرجه وسهّل

١ - الإسراء: ١٧، ٨٨.

٢ - التصف: ٨١، ٨٠، ٩.

٣ - الإسراء: ١٧، ٨١.

٤ - القنص: ٥٨، ٥٨.

٥ - التوبة: ٩، ٣٢، ٣٣.

مخرجه^١.

ومن ذلك ما توعد القرآن أناساً معيَّنين معروفين وحدد معيبرهم في هذه الحياة إلى شقاء وفي الآخرة شمول عذاب عظيم، وأنهم سوف يموتون على الكفر ويخلدون في نار جهنم داخرين.

قال تعالى بشأن أبي لهب:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ

حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ»^٢.

١ - راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ١٢٧.

٢ - هو عبد العزى بن عبد الخطب عم رسول الله ﷺ، كان من أشد أناس عداوة له. كان إذا نادى رسول الله ﷺ ببعض القبائل يتبعه يكدبه وينهى الناس عن تصديقه. وكانت امرأته أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وعمة معاوية تسمى عند القوم بالنسيمة على رسول الله ﷺ تفهد عليه قلوب القوم والعبدة، واتداعى بالنسيمة ونُقب بحامل الخطب، كما قال الرازي:

إن بني الأدم حملوا الخطب،
وقبأ عبد العزى بأبي لهب، قيل: قلهم، وجنتيه وإسراقهما.

وكان ذا نروة طائفة وحفدة وبين. وتكن رماه الله بالندسة البثرة تخرج في مواضع من البدن، هي قرحة مثلثة ومعديرة تشبه السمطان التجدي، كالتطاعون، فلما ينام صاحبها وكانت العرب تكفي الندسة وعدواها كما يكفي الناس التطاعون.

فقد أصيب أبو لهب بهذه القرحة الفجيعة، وتجدبه وتده وخدمه وسائر ذويه استنظاراً منه وتركوه بلا دواء ولا غذاء ولا علاج، فخرج الأمرين طول ثلاثة أيام حتى وافته النسيمة في شر الأحوال، وكان ذلك بعد وقعة بدر، وتم يحضرها، وتركه ذووه، ثم جزوه، التي حفيرة وأهلوا عليه التراب ذلك، فهلك وقبر ذليلاً مذموماً، وكانت معجزة للإسلام وعبرة لتمام الأوامر.

قال الإمام الرازي: هذه الآيات تضمنت الإخبار بالغيب، من ثلاثة أوجه: أحدها: الإخبار عنه بالتهاب وانحسار، وقد كان كذلك.

ثانيها: الإخبار عنه بدم الانفراع بمانه وروده، وقد كان كذلك كما عرفت.

ثالثها: الإخبار بأنه من أهل النار، وقد كان كذلك، لأنه مات على الكفر. راجع: التفسير الكبير، ج ٣٦، ص ١٧٠-١٧١.

٣ - تصدق: ١١١، ١-٥.

وقال بشأن الوليد بن المغيرة:

«ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ يَمْدُوداً. وَبَيْنَ شُهُوداً. وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيداً. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أُزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقالَ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. إِنَّ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ. سَأُصْنِيهِ سَقَرًا»^١

وبسأن أبي جهل:

«أُرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا ضَلَّى. أُرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أُرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى. أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ. نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ. فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ»^٢

فلو لم يكن ذلك من علام الغيوب - المحيط بالماضي والحال والمستقبل - لما صح ذلك في ما أخبر به. بل لما كان من عاقل البشر أن يضع مصير دعوته على شيء معين يحتمل خلافه. فلو كان آمن واحد من هؤلاء الثلاثة الذين دمغهم القرآن بالكفر والشقاق المخلد ذكره في زمرة الأشقياء لانطفت شعله الإسلام وقامت الحججة على القرآن ومن

مركز تحقيقات كميتر علوم راسدي

١ - هو الوليد بن المغيرة الصخرومي من أمراء قريش وقضاها في الجاهلية ومن الأشرار. أعلن تصداقه لدعوة الإسلام. وهناك كافر قبل الهجرة بدم. هو والد خالد بن الوليد بطل المعركة يوم أحد.

قال الإمام الرازي: اجتمعوا على أن المراد هاهنا: الوليد بن المغيرة... راجع: التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ١٩٨.

٢ - الصدور ١١: ٢٦.

٣ - هو أبو جهل بن هشام، قتل في واقعة بدر مذموماً. كان من أعدى أعداء الإسلام، مهزجاً مستهتراً وقبيحاً. قال ابن إسحاق: لما نزلت الآية: «أَذَلَّتْ خَيْرٌ لَنَا لَأَمْ شَجَرَةُ الرُّقْمِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا بُشَّةً لِلظَّالِمِينَ، إِنَّمَا شَجَرَةُ الرُّقْمِ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَائِعًا كَأَنَّهُ رُفُوسٌ الشَّيَاطِينِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَتْلُونَ بِهَا الْقُرْآنَ بِمِثْلِهَا يَتْلُونَ...»^٥. انصافات ٣٧: ٦١-٦٢. فقد أهاجت من غلواء المشركين وجعلتهم حيارى مندھشين، فعمد أبو جهل - على عادته - يحاول تهدئة هياجهم انصراح، قائلاً: يا مدثر قريش، أو تدرون ما هي شجرة الرقوم، إنها عجوة يثرب بالزبد، فوالله نئن استصكناً منها، ننتزق منها ترقماً (الترقوم: الانبلاج)، قائلاً مستهزئاً تهياجهم انصاح.
قيل: فنزلت: «إِنَّ شَجَرَةَ الرُّقْمِ طَعَامُ الْأَعْمَى، كَمَا لَهْلَى بَعْلِي فِي النَّطُونِ كَعَلِي الْجَمِيمِ، خَذْوَةٌ دَاغِيلَةٌ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ حُسِبُوا فُوقِي وَأَمْرٌ مِنْ عَذَابِ الْجَمِيمِ، ذُقْ إِذْكَ أَنْتَ الْعَزِيمُ الْكَرِيمِ...»^٥. انصافات ٤٤: ٤٣-٤٩.

فصا أبرها من معجزة، دامة في حينها وجارية مع تصداه أبدأ.

٤ - انصافات ٩٦: ٩-١٨.

جاء به «تلاً لو آمن أبو لهب لما كان لتوليه تعالى: «سيعصلي ناراً ذات لهب» منصرف ولا واقع منهموم، ولأصبحت هذه الآية - مثلاً - في وادٍ والواقع في وادٍ آخر.

قال الدكتور مصطفى مسلم: وكيف كان محمد ﷺ يقابل الناس بها، وقد أصبح أبو لهب من الصحابة كعمر بن الخطاب وأحزابه من الذين كان لهم موقف معادٍ للإسلام قبل أن يدخلوا فيه.^١

هذه معجزة القرآن الباهرة، وأي معجزة أبهر وأقهر من أمر لا يكلف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانه، فيبطل بها قول محمد ﷺ ويفسد أمره جميعه، ثم لا يقول تلك الكلمة، ولا تسمح له الحياة أن يقولها، فقد عاجلته المنية قبل يوم الفتح الذي دخلت فيه قريش كلها الإسلام واعتنقته رغم أنوفها. فربما كان مصير أبي جهل وأبي لهب والوليد مصير سائر صناديد قريش لو عاشوا ذلك اليوم. فلو كان لكان إسلامهم إذ ذاك هدماً للإسلام بتقويض أكبر دعامة له والعباد بالله.

أفلا يدل ذلك جلياً أن القرآن كلامه تعالى، كلام من خلق الموت والحياة، والذي بيده الآجال، ومصير كل شيء بيده، ومآل كل أمر إليه؟! وهو الذي ضمن حفظ دينه وكتابه: «إِنَّا نَحْنُ نُرَثُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٢

«وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَنَكَرَ تُصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^٣.



ولو ذهبنا نستمع أخبار القرآن الغيبية لطال بنا المسير، وإنما نشير إلى جملة من الآيات الكريمة في هذا الشأن:

قال تعالى بشأن المشركين يوم كانوا على ذروة العزة والشقاق وكانوا ذوي قدرة والثفاق، فأخبر عن تفرقهم و تبدد جمعهم وهزيمتهم تجاه شوكة الإسلام:

١ - أنظر: مباحث في إعجاز القرآن، ص ٢٤٧ - ٢٤٦ ط جدة.

٢ - يونس ١٠: ٤٧.

٣ - الحج ٥٥: ٩.

«أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ. سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَدهى وَأَمْرٌ»^١.

وهكذا أخبر عن ظهور الدعوة وغلبيتها على الكفر والشقاق وانتهزام المناوئين، أخبر
بذلك في بكرتها إبان إعلان الدعوة بمكة:

«فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين. الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ. وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»^٢.

وعلى غرارها جاءت الآية الأخرى - في نهاية أمره بالمدينة بعد منصرفه من حجة
الوداع -:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ
مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^٣
نزلت بغدير خم عند أمره ﷺ بنصب علي عليه السلام ولياً على المؤمنين.

مرزوقية كالمير علوم راسدي

وآيات حفظ القرآن عن الضياع والإهمال وعن تناوش أيدي الاعتداء والمبطلين،
لدليل قاطع على كونه معجزة قاهرة وآية باهرة:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٤
«وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ
حَمِيدٍ»^٥.

«إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»^٦.

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ

١ - القصص: ٥٤، ٥٥، ٥٦. ٢ - الحج: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩. ٣ - القصص: ٦٧. ٤ - القصص: ٥١، ٥٢. ٥ - القصص: ٥١، ٥٢. ٦ - القصص: ٥١، ٥٢.

ما يُلقي الشيطانُ ثم يُحكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^١.

«بَلْ نَقُذِرُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيُدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ»^٢.

والآيات من هذا القبيل كثيرة ضمنّت الخلود لهذا الدين والبقاء لشريعة الإسلام مع الأبدية، وهكذا الوعد بالنصر المحتوم:

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ»^٣.

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَيُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا»^٤.

كما جاء الوعد بالنصر عقب صلح الحديبية ودخول مكة وعداً محققاً، كان فيه الظفر النهائي للإسلام على الكفر والإلحاد:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (فتح خيبر أو فتح مكة) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ

اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا. وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا (مع النبي وستدوم بعده) فَجَعَلَ لَكُمْ

هَذِهِ (مغانم خيبر) وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ (حيث رأوا شوكتهم وأبتهتكم فهابوكم)

وَيَتَّكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»^٥.

نعم، كان تحقق هذا النصر وتلك الغلبة آيةً للمؤمنين وعبرةً لمن سواهم.

«لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ (في عمرة القضاء) إِنْ شَاءَ

اللَّهُ آمِينَ مُخْلِفينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقْصِرِينَ لَا يَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا

قَرِيبًا. (فتح مكة ودخولها مظفرين) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى

النَّاسِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا»^٦.

١ - الأنبياء: ٥٦، ٥٧.

١ - الحج: ٥٢، ٥٣.

٢ - القصص: ٤٨، ٤٩.

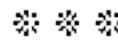
٢ - طه: ٥١، ٥٢.

٣ - القصص: ٢٧، ٢٨.

٥ - القصص: ٤٨، ٤٩، ٥٠.

وكذلك وعده بالنصر والرجوع إلى بلده الآمن كما كان:
 «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^١.

قال الطبرسي: في الآية دلالة على صدق النبوة، لأنه أخبر برجوعه إلى مكة من غير
 شرط ولا استثناء، وجاء المخبر به مطابقاً للخبر. قال القنبي: معاد الرجل بلده، لأنه
 يتصرف في البلاد ثم يعود إليه.^٢



وكذلك إخباره عن اعتذارات تذرّع بها المتخلفون من الأعراب، منها عام الخروج
 إلى الحديبية سنة ست من الهجرة والمسير إلى عمرة القضاء، فاستنفر من حول المدينة
 جماعات، وتناقل عنه آخرون.

قال تعالى بشأنهم:

«سَيَقُولُ نَكَ الْمَخْلَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلْنَا فَاستَغْفِرْنَا يَقُولُونَ
 بِأَنسِنَاهُمْ مَا نَحْسِبُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ - الْحَى قَوْلُهُ - كُلُّ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَذَ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى
 أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُزِقَ فِي ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا»^٣.

«سَيَقُولُ الْمَخْلَفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ (بعد فتح خيبر) نَتَّخِذُهَا ذُرُوعًا نَسْبِعُكُمْ
 يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَنْبِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ»^٤.

«قُلْ لِنُؤْمِنُ بِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ
 يُسْلِمُونَ»^٥.

قال الطبرسي: الداعي هو النبي ﷺ لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقاتل
 أقوام ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والطائف وموتة وتبوك وغيرها.^٦

١ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٩.

١ - القصص ٢٨، ٨٥.

٢ - القصص ٤٨، ١٥.

٢ - القصص ٤٨، ١١، ١٢.

٣ - مجمع البيان، ج ٩، ص ١١٤-١١٦.

٥ - القصص ٤٨، ١٦.

وهكذا الآيات النازلة بشأن غزوة تبوك، من تناقل من المسلمين ومن تقاعس منهم من ضعاف الإيمان. قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا نَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّبِعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّبَعْنَا إِلَى الْأَرْضِ، أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ. فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِنْ لَا تَتَّقُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^١.

قال الطبرسي: لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة تبوك. وكان قل ما خرج في غزوة إلا كنى عنها وورى غيرها، إلا غزوة تبوك، لبعث شققتها وكثرة العدو، ليتأهب الناس، فأخبرهم بالذي يريد. فلما ظهر من الناس تقاعسهم، أنزل الله...^٢ قوله تعالى: «ويستبدل قوماً غيركم».. قال سعيد بن جبيرة: هم أبناء فارس.

وقال تعالى: «إِنْ لَا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لَا تَحْزَنْ، إِنْ اللَّهَ مَعَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا. وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا. وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^٣.

قوله تعالى -حكاية عن النبي ﷺ-: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...».. ثقة بالله قاطعة أنه سيؤيده بنصره، وقد تحقق بالفعل: «فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها».

وقال تعالى: «لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبِعُوكَ، وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ انْشِقَاقُ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ. يَهْتَكُونَ أَنْفُسَهُمْ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»^٤.

قوله: «سَيَحْلِفُونَ...». قال الزمخشري: يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك، معتذرين، يقولون: بالله لو استطعنا لخرجنا معكم.

قال: والإخبار بما سوف يكون بعد القول - من حلفهم واعتذارهم - وقد كان، هو من

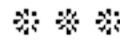
٢ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٠.

١ - التوبة: ٣٨، ٣٩.

٤ - التوبة: ٩، ١٣.

٣ - التوبة: ٩، ١٠.

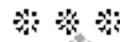
جملة المعجزات.^١



وهكذا الإخبار عن قولة المشركين وغيرهم فيما سيأتي، وقد تحقّق في وقت قريب دليلاً على الإعجاز:

قال تعالى: «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَدِمَهَا...»^٢
وقال: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ
كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»^٣.

تلك قولة من سقطت حجته واستفلس برهانه، ومن ثم ردّ عليهم سبحانه بقوله: «قُلْ
فَإِنَّ الْحُجَّةَ الْبَاطِلَةَ قَدْ شَاءَ لَهَا كَيْدٌ مِّنْ أَجْمَعِينَ»^٤.



ومن الإخبار بالغيب القريب ما جاء بشأن غلبة الفرس على الروم وسيقلب الأمر في وقت قريب.

قال تعالى: «غَلَبَتِ الرُّومُ. فِي آدْنَى الْأَرْضِينَ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ
لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ. وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْفَى اللَّهُ وَعُدَّةً وَنَكِبًا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»^٥.

كانت المعارك دامية بين الروم والفرس أيام الملك «خسرو أبرويز» فكانت الحروب مستمرة من سنة ٦٠٣م إلى سنة ٦٢٧م، وكانت الكفة راجحة لإيران في أول الأمر حتى عام ٦٢٢م، وبعده انقلب الأمر ودارت الدائرة على إيران، وكانت الغلبة لبيزنس حيث الغلبة حالفت هرقل ملك الروم حتى نهاية أمر خسرو أبرويز عام ٦٢٨م حيث قتل في الظامورة على يد نجباء إيران ذلك اليوم، وبدأ ملك «شيرويه» الملك الذي انهزم أمام

١- البقرة: ٢، ١٤٢.

٢- التكشاف، ج ٤، ص ٢٧٣.

٣- الأنعام: ٦، ١٤٩.

٤- الأنعام: ٦، ١٤٨.

٥- الروم: ٣٠، ٢-٦.

جيوش الإسلام في نهاية الأمر.

والآية نزلت بمكة، حيث كانت الغلبة للفرس على الروم، حتى عام ٦٢٢م وهو عام الهجرة إلى المدينة، فكانت الهجرة مقارئة لغلبة الروم على الفرس، تمهيداً للفتوحات التي كانت تنتظر المسلمين تجاه قوى الفرس المنحلة بعد تلك الحروب الدامية، وقد شلت قواهم تجاه تلك المعارك المضنية.

ولعل الآية نزلت في بعض فتوحات الفرس لبلاد الروم، ولاسيما فيما قارب بلاد العرب، ولعله الحرب التي وقعت في صالح الفرس عام ٦١٧م، حيث فتحوا بلاد الشام وحاولوا الهجوم على مصر والاسكندرية، وهذا قبل الهجرة بخمس سنين تقريباً، ومن ثم كان الإيعاز بغلبة الروم على الفرس حوالي عشر سنين - أي سنة ٦٢٧م - تقريباً - أي بعد الهجرة بخمس سنين - وبذلك كان الرجاء في ظفر المسلمين أيضاً على الفرس حينذاك قريباً، وبذلك يفرح المؤمنون.



وآخر سورة كاملة نزلت من القرآن هي سورة النصر:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»^٢.

نزلت بعد فتح مكة وظهور الإسلام ظهوراً كاملاً، وجعلت العرب تتسابق إلى الدخول في الإسلام أفواجاً أفواجاً، فجاءت السورة مبشرة بهذا الفتح وحسن عاقبة الأمر. وقد فرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، حيث تحققت وعد الله بالنصر والغلبة النهائية.

لكن العباس بن عبدالمطلب - عم النبي ﷺ - لما سمع بها اغتم وبكى، فقيل له: ما يبكيك وقد استبشر المسلمون بها؟! قال: أظن أنه قد نعت إلى ابن أخي نفسه الكريمة. فقيل بذلك لرسول الله ﷺ فقال: صدق عمي، قد نعت إلي نفسي، وهي مقبوضة في هذا

١ - راجع: تاريخ إيران تحسن بيزنيا، ص ٢٢٢-٢٢٧. ٢ - انصر، ١١٠: ٦-٣.

العام.

ذات أن السورة إيعاز بكمال رسالته وإتمامها، فقد حان أوان الرحيل إلى لقاء الله.

ومنها آيات وراثة الأرض للعباد الصالحين في وقت عاجل وآجل جميعاً.
قال تعالى: «وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسُدَّ خَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ
كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسْمُكُنَّ لَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ آذُنٌ يُرْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا»^٢.

«وَلَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَلَنَجْعَلَنَّهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَنَّهُمُ الْوَارِثِينَ»^٣.
والآيات وإن كنَّ نزلن بشأن بني إسرائيل - في ظاهر تفسيرهن - لكن عموم القاعدة
المستفادة من آية أخرى جاءت عامة: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ»^٤.

إنها سنة إلهية جارئة في الخلق، سوف يورث المستضعفون المستكبرين في الأرض
ويستخلفونهم في عمارتها، وجاء تأويل مثل تلك الآيات في ظهور دولة الحق في آخر
الزمان، رزقنا الله شهودها إن شاء الله.

وهناك آيات تنذد بالعرب ممن استسلموا ولم يسلموا إسلاماً صادقاً، أو أسلموا ثم
ارتدوا على أعقابهم، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والفساق. ولعل الأمر بعد وفاته ﷺ
كان أبين من حالتهم التحشيشية، حيث نبذوا وصايا الرسول ﷺ خلف ظهورهم واتبعوا
أهواءهم. فهناك تنديد بأمثالهم أن سوف يأتي الله بقوم يكونون صادقين في إيمانهم
فيغلبون العرب وتكون الدولة دائرة بيدهم، والعرب أذلاء بين أيديهم، ولقد صدق عليهم

١ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٥٤.

٢ - التور: ٢٤، ٥٥.

٣ - القصص: ٢٨، ٥.

٤ - راجع: مزابير داود - في العهد القديم - فصل ٣٧، ص ٢٦.

٥ - الأنبياء: ٢٦، ١٠٥.

٦ - راجع: التصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٠٧ و ١٧٨ و ٢٥٣.

التول وظهر وجه الحق.

قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^١.

وقال: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا»^٢.

وقال: «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هؤُلاءِ فَقَدْ وَكُنَّا بِهَا قَوْمًا نَيسُوا بِهَا كَافِرِينَ»^٣.

وقال بشأن رجوعهم التنهري: «وَمِنَ خَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ»^٤.

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^٥.

والآية وإن كانت نزلت بشأن واقعة أحد وفرار أكثر المسلمين وفيهم المعاريف لكن اللحن عام يشمل ما بعد وفاته عليه السلام أيضاً. حيث ارتداد بعض العرب آنذاك.

قال تعالى: «وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَانَكُمْ»^٦.

أما من هؤلاء القوم الذين استبدلهم الله ففانقوا العرب صدقاً وتباتاً في الدين؟ فقد سئل رسول الله عليه السلام عنهم، فقال - واضعاً يده على عاتق سلمان الفارسي - : هذا وذووه. ثم قال: لو كان الدين معلقاً بالتراب لتناولته رجال من أبناء فارس.^٧

١ - التوبة: ٥، ٤٣.

٢ - التوبة: ٥، ٤٤.

٣ - التوبة: ٩، ١٠١.

٤ - الأندلس: ٦، ٨٩.

٥ - محطد: ٤٧، ٣٨.

٦ - آل عمران: ٣، ١٤٤.

٧ - راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ١٢٢ و ٢٠٨ و ج ٩، ص ١٠٨ والتبيران، ج ٧، ص ٢٧٢.

أما وجه دلالة هذه الأنباء على صدق الرسالة فلأنَّ حالة النبي ﷺ عند إطلاق هذه الأنباء - الموعظة في القدم، أو الحاضرة الخافية في صدور أهلها، أو الوعود المستقبلية التي كانت في مجاهل الغيب - حال الواتق المتيقن من الأمر، من غير أن يتنزع أو يتزلزل عند تلاوتها، وهو بشر لم يطلع على كتب السالفين، ولا يملك تصرفاً في أمور غائبة أو نائية في مستقبل قريب أو بعيد، وكان هو بذاته ينفي عن نفسه العلم بالغيب: «قُلْ لَا أُمْنِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ». فلو لم يكن مستنداً إلى ركن وتيق ما أمكنه إطلاق مثل هذا، وكان قد جازف بدعوته وعرضها للخطر، لو كان محتملاً للخلاف ولم يكن جازماً بالأمر. وهذا بالإضافة إلى ما عرف عنه التعقل والحكمة، ولم يعهد منه تسرع في أمر أو تقوُّل بلا روية، حتى قبل أن يكرمه الله بالرسالة.

ولقد أدرك مشركو العرب هذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله ﷺ والمؤمنين به، حيث صدقت الحوادث الواقعة ممَّا أخبرهم به القرآن الكريم. إنَّ هذه الأنباء الصادقة التي جاء بها القرآن لدليل ظاهر وبرهان قاهر على أنه كلام ربِّ العالمين، الذي يستوي عنده علم السابق واللاحق، ولا تخفى عليه خافية. لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكلِّ ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر.

إنَّ ظاهر الأخبار بالمعجزات في القرآن الكريم وتصديق الوقائع لها وعدم تخلف الصدق عنها في شيء، لدليل على أنه وحي ممتن خلق الأرض والسموات العلى، أنزله على رسوله ليكون دلالةً على صدق رسالته. وهذا على غرار ما أخبر به القرآن الكريم أو أشار إليه من خفايا أسرار الوجود، وقد كشفها العلم عبر العصور، دليلاً على صدق هذا الكتاب الذي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزْيِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ».

فعلى العلماء وأهل الاختصاص أن يعاشوا القرآن الحكيم، ويستنتقوا آياته

لكشف الأستار عن الإشارات القرآنية وعن تلميحاته عن الحقائق المودعة في هذا الكون وفي سجل التاريخ، ولتكون بحوثهم ونتائج جهودهم وسيلة لتحقيق وعد الله سبحانه وتعالى، وظهور هذا الدين على الدين كله، وليعم وجه البسيطة على الإطلاق.

«سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^١.

صدق الله العلي العظيم، وصدق رسوله النبي الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين والشاكرين، والحمد لله رب العالمين.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

الإعجاز التشريعي



مركز تحقيقات تکنيکي و علوم اسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الباب الثالث

في الإعجاز التشريعي

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ»^١

معارف سامية وشرائع راقية

كانت للإنسان - ولا تزال - متنازع عن هذه الحياة، كان يحاول الإجابة عليها: من أين أتى؟ ولم أتى؟ وإلى أين؟ وكانت محاولاته بهذا الشأن قد شكّلت مجموعة مسائل الفلسفة الباحثة عن سرّ الوجود. ولكن هل حصل على أجوبة كافية؟ أم كانت ناقصة غير مستوفاة لحدّ الآن؟ لولا إجابة القرآن عليها إجابة وافية وشفافية كانت علاجاً حاسماً لما كان يجوش في الصدور: «يا أيها الناس قد جاءكم من ربكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لنا في الصدور وهدى ورحمةٌ للمؤمنين»^٢.

كان ما وصل إليه الإنسان من معارف حول سرّ الوجود ناقصاً وغير مقنع إلى حدّ بعيد «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»^٣ فكان مستظلاً ومتعظّياً إلى حلّ مشاكله والإجابة على مسائله بشكل كامل ومستوفٍ جميع الجوانب ممّا يرتبط بالمبدأ والمعاد والغاية التي

٢ - يونس: ١٠، ٥٧.

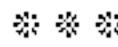
١ - النحل: ٦٦، ٨٩.

٣ - الإسراء: ٨٧، ٨٤.

خلق من أجلها العباد.

نعم، كان القرآن الكريم هو الذي تعرّض لحلّ معضلة الحياة وفضل الكلام عن بد، الخليفة والغاية عن الوجود وكشف عن سرّ الحياة، تفصيلاً مستوفياً بما لم يدع مجالاً لمسارب الشكّ في مسائل الحياة في المبدأ والمعاد. وأجاب عن مسائل ممّا لم يكدر يعرفه الإنسان. «وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.»^١

الأمر الذي جعل من القرآن آية باهرة ومعجزة قاهرة، دلّت على أنه ليس كلام البشر، وإنما هو وحي أنزله الله تعالى هدىً ورحمةً للعالمين.



كما وأنحف للبشرية جمعاء برامج لنظم الحياة ولعيش في سلامة وتؤدة وهناء، ممّا لم يسبقه - كما لم يلحقه - شريعة وضعها الإنسان.

كانت الأنظمة التي وضعها الإنسان لنظم حياته غير كافية لسعادته، فإنها وإن كانت راقية من جانب لكنّها كانت سافلة وسحيقة من جوانب أخرى، كانت مناشئ الخسة والدناءة عليها بادية.

الإنسان مهما ارتقى في مدارج الكمال فإنه لا يمكنه الانطلاق من قيود نزعاته الهابطة التي تربطه بخسائس الأرض أكثر ممّا يرتقيه إلى آفاق السماء. الإنسان لا يستطيع التخلص من برائن الحيوانية والبهيمية التي تتحكّم في نفسه إذا لم تكن مهذّبة تهذيباً يتناسب ومعالى الإنسانية الرفيعة.

ومن ثمّ فإنّ سماته الخسيسة سوف تبدو على ما يضعه من قانون أو يعرضه من شرائع وأنظمة لتنظيم الحياة. وكلّ إناء بالذي فيه ينضح. إنّ ما يأتي به الإنسان من علم ومعرفة إنّما هي ترشحات نفسه وصفاته الباطنة في شخصه. إنّ فكرة الإنسان وليدة مشاعره عن هذه الحياة، إنّه ينكر حسبما يعيش، كما يعيش حسبما ينكر، لأنّ الإنسان وليد جامعته ونتيجة بيئته. والبيئة هي التي تكوّن شخصية الأفراد الناشئة منها، فكيف يحاول الترقية بيئته وهو حصيلها!!

إنَّ القيم الساطية على البيئات هي التي توجّه مسيرة الإنسان في مشاعره وفي أفكاره. فلا بدُّ أن يكون ما يضعه من قانون وشريعة هي مسيرة من خارج ذاته الإنسانية الرفيعة التي خلقه الله تعالى عليها حسب فطرته الأولى.

إنَّ نزعات القومية والوطنية واللونية والمساوية - فضلاً عن القبائلية والبلدية - كانت قيوداً لا يستطيع الإنسان الانفلات منها ما دام رهن ميوله واتجاهاته البشرية السافلة.

نعم، كانت الشرائع السماوية هي المتحرّرة عن كلِّ هذه القيود، ومن تمَّ جاءت صافية ونقية، ونزيهة عن كلِّ دنس وخسيسة بشرية، ممّا افتقدته الإنسانية منذ قرون، حيث جاء القرآن الكريم بشرائعه ظاهرة زكية.

كان الإنسان في عهد نزول القرآن يعيش في ظلمات الغي والجهالة، وفي لثيف من أنظمة كانت صبغتها الظلم والعتوّ على صنوف الإنسان العائشة تحت سيطرة أقوام متكبرين ومستهترين بمبادئ الإنسانية الكريمة. وكانت القوانين الحاكمة على البشرية حينذاك ضامنة للمستعبلين في الأرض مصالحهم دون المستضعفين - وهم أكثر سكّان هذه البسيطة المظلومون - قد هضم حقوقهم وسحق كرامتهم وربطوا ربط المواشي والأغنام.

في هذا الجوّ المظلم والبيئة الحالكة جاء القرآن الكريم بمشاعل ومناجاة ومصايح وضّاءة، تنقشع عن البشرية سحب الظلام وتكشف على الإنسانية كرامة ذاته الأصيلة. فقد جاء بالأنظمة وقوانين ترفع بالإنسان إلى كرامته العليا وتسعده في الحياة سعادة شاملة وكافلة لجميع البشرية العائشة على الأرض، على حدّ سواء، لاميّز لقبيلة على أخرى، ولا لأهل بلد على آخرين، ولا للغة دون أخرى، كلّهم بنو آدم، وآدم من تراب «يا أيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^١.

فالتقرآن الكريم - بهذا المنطق العقلاني السليم - جاء بشرائعه وأنظمته، وعرضها على الإنسان، ليكون سعيداً في الحياة.



ومن جانب آخر، كانت الأنظمة التي وضعها الإنسان ذاته إنما تنظم جانبيين من جوانب الإنسان في الحياة: جانب الفرد في ذاته، وجانبه مع بني نوعه. أي كيف يعيش في ضمان من مصالحه في الحياة مما يعود إلى نفسه، وفي المتدار الذي يربطه بمجتمعه.

في حين أن للإنسان جوانب أخرى في هذه الحياة، جانب مشاعره وأحاسيسه عن نشأة الوجود، وعن حبه وعاطفته التي قد تفوق جانب رعاية مصلحة وقتية محدودة النطاق. وكذلك حسه المرهف عن تلك القوة القاهرة التي تسيّر عالم الوجود، وهو رب العالمين. الإنسان في فطرة ذاته يشعر بوجود هكذا قدرة خارقة، ويحاول معرفتها ومعرفة مقدار علاقته بها، ووظيفته التي يجب عليه تأديتها تجاه تلك العظمة الباهرة.

إن أنظمة الإنسان الوضعية لتعجز على إمكان شمولها لهذه الجوانب من حياة الإنسان. نعم، كانت الشرائع الإلهية - والتي جاء بها القرآن الكريم - هي الكافلة لجميع جوانب الحياة، والتي تضمن سعادة الإنسان في النشأتين.

والخلاصة: أن للإنسان علاقات في هذه الحياة، تشمل علاقته بنفسه، وعلاقته مع بني نوعه، وعلاقته مع ربه وخالفه ومن إليه مصيره في نهاية المطاف.

والأنظمة الوضعية إنما تكفل ضمان العلاقاتين الأولتين بشكل ناقص، وإنما يضمن العلاقات أجمع وبشكل كامل، الشرائع الإلهية، ولاسيما شريعة الإسلام التي جاء بها القرآن.



فالرابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي رابطة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين: إن الأساس الذي يبنى عليه هيكل المجتمع الإسلامي هو: أن رابطة العقيدة هي التي تشكل الأصرة التي تربط الأفراد في المجتمع. وليس للرابطة الوطنية أو القومية أو التبعية

أو الجنس أو اللون أو اللسان أي أثر في المجمع الإسلامي. وارتباط المسلم بالوطن والقوم إنما هو بمقدار ارتباط هذا الوطن وأهله بالإسلام. فولاء المسلم لعقيدته أولاً وآخره هو الذي يربطه بأخيه وبقومه وذويه وجميع ما يليه.^١

لذا نجد القرآن الكريم ندد بمن آثر الوطن والمسكن والأهل والأقارب على العقيدة، وامتدح الذين ضحوا بكل ذلك في سبيل عقيدتهم وأذابوها في بوتقة الإسلام.

يقول تعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^٢.



نعم، إن التشريعات الإسلامية التي جمعت بين الروح والمادة - فأشبهت كلا منهما في الإنسان بما يناسبها ووقرت السعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل مع مراعاة الفطرة والدلائل معها - لدليل على أن أحد من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي برهان ساطع على أنها منزلة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات والاستعدادات، فأنزله ما ينظمها جميعاً ويوجهها لعبادة الخالق سبحانه وتعالى. وتكون الدلالة أوضح والبرهان أظهر عندما تعلم أن الذي نزلت عليه كان أمياً لم يتلق العلم على يد أحد من البشر ولم يعرف بتجواله في الآفاق بحثاً عن النظريات والدساتير الإصلاحية.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية. وإذا وازنا ما جاء في القرآن بما جاءت به قوانين اليونان والرومان وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن

التقدير المنطقي للأمر، مع أن قانون الرومان أنشأته الدولة الرومانية في تجارب ثلاثاء سنة وألف، من وقت إنشاء مدينة روما إلى ما بعد خمسمائة من الميلاد. ومع أنه قانون تعهده علماء قبل إتهم ممتازون، منهم: سولون الذي وضع قانون أتينا، ومنهم: ليكورغ الذي وضع نظام السبرطة.

فجاء محمد ﷺ ومعه القرآن الذي ينطق بالحق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسته، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني لم يسبقه سابق ولم يلحق به لاحق.^١

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^٢.

هكذا جاء القرآن بشرائع راقية - فاق بها شرائع وضعتها البشرية - شاملة كاملة وكافلة لسعادة الإنسان في الدارين. فكانت معجزة خارقة، ودليلاً واضحاً على صدق رسالة الله في الأرض.

فآلية المعجزة في القرآن الكريم، أنه أتى بمعارف تسمو معارف البشرية، وجاء بشرائع تتعالى عن خسائس الشرائع الوضعية، وبذلك كانت معارف القرآن وشرائعه ممتازة عن سائر الشرائع والأديان بحيث لا تشابه بين شريعة الإسلام وما كان عليه الإنسان المتحضر في ذلك العهد. إذا فكيف يزعم بعض أصحاب العقول الضعيفة: أن القرآن - بل الإسلام - أخذ شرائعه من شرائع وضعية كان قد وضعها الرومان، أو أخذ معارفه من معارف فرضية كان قد فرضها اليونان، أو غيرهما من أمم بائدة قد أكل الزمان عليها وشرب؟! حاش القرآن أن ينتهج منهجاً كان معوجاً في أساسه غير قويم.

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَنَكِرَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»^٣.

١ - المعجزة الكبرى، ص ٤٥٥، مراجع: الفرقان والقرآن، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

٢ - آل عمران ٣: ١٦٩. ٣ - الروم ٣٠: ٣٠.

المَثَل الأعلى في الإسلام

عنوان عنون به سيّد مير علي الهندي مقاله بهذا الشأن، فلنترك القلم بيده.

قال: والمبادئ الأساسية التي أنشئ النظام الإسلامي على أساسها هي:

١- الإيمان بالوحدانية، ولامادّية الخالق وقدرته ورحمته وحبّه الشامل.

٢- المحبّة والإخاء بين الجنس البشري.

٣- قهر الشهوة وكسر صولتها والضيّط من جموحها.

٤- تدفّق الشكر المتواصل من القلب، لوأهب النعم والآلاء.

٥- مسؤوليّة الإنسان ومحاسبته على ماقدّمت يدها في الدنيا والآخرة.

والحق أنّ المفاهيم الرفيعة النبيلة - التي ورد ذكرها في القرآن الكريم - فيما يتعلّق

بقدرّة الخالق ولطفه وإنعامه لخلقه تفوق أيّة مفاهيم أخرى من نوعها وردت في أيّة لغة أخرى.

فوحداية الله ولامادّيته وجلاله ورحمته تشكّل الموضوع الثابت الذي لاينتهي

لأفصح عبارة في آيات تستثير الروح وتهيج الوجدان. ويظلّ فيها تدفّق الحياة والروح

زاحراً لاينقطع جريانه. وليس في ذلك أيّ أثر للتحكّم أو الجمود ضمن قواعد محدّدة.

فالدعوة موجهة إلى الضمير الداخلي للإنسان وحده، وهو الذي تناشده دعوة محمد ﷺ.

١ - من كتابه روح الإسلام، ص ١٥٧-١٥٤ مع شيء من التغيير والتعديل.

والإدراك واقع الحال علينا أن نقرب بعض صفحات التاريخ. فلنلتفت إلى الماضي
الثقافة قسيرة لثري المبادئ الدينية التي كانت قائمة آنذاك، أي عندما جاء نبي الإسلام
مبشراً برسالته.

ولنبداً بفكرة الربوبية:

كانت هذه تختلف بين العرب الأقوياء، وفقاً لثقافة الفرد أو القبيلة. فهي ترتقي عند
بعضهم إلى درجة الأوهية أو تأليه الطبيعة، بينما هي عند بعضهم الآخر تنحدر إلى مجرد
عبادة الأوتان وتقديس قطعة من العجين أو عصاً أو حجر.
كان بعضهم يؤمن بالحياة الأخرى، أما البعض الآخر فليست لديهم أية فكرة عنها
من أي نوع كان.

وكذلك فإن العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون غاباتهم الصغيرة وأشجار الوحي فيها
- حسب زعمهم - وكان لهم كهاناتهم مثل فينيقي سوريا.

هكذا كان عالم الأعراب سابقاً في ذواته من المبادئ التي لا يكاد يصدقها العقل
حول مثالية الإله سيد الجميع.



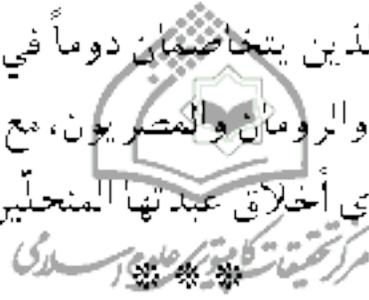
أما اليهود - الذين حافظوا بعض الشيء على فكرة التوحيد - فإنهم أنفسهم قد شوّهوا
مقداراً من تلك الفكرة ومسحوها مسحاً. كان اليهود قد وفدوا إلى شبه جزيرة العرب
على عدة فترات، ولا شك أن الصفات المميزة التي قادت الإسرائيليين مراراً إلى الميل تم
التردي في عبادة الأوتان في ديارهم الأصلية قد ازدادت عند هجرتهم إلى الجزيرة
بتأثيرهم بوتنية إخوانهم العرب، وكان ذلك طبيعياً، وقد كان لدى اليهود فكرة رب إبراهيم
أن يضموا إليها مفهوماً مادياً للخالق. وكانت عبادة الناموس منحرفة إلى درجة الوثنية بين
آخر مجموعة يهودية وفدت إلى الجزيرة. وكانوا يحترمون المكتبة والأخبار ويقدرونهم
إلى حد تقديسهم. وكان هؤلاء الأخبار ينظرون إلى أنفسهم على اعتبار أنهم صفوة

١ - «وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قل
فأقول الله أنى يؤفكون» آتوبة ٩، ٣٠

٢ - «أخذوا أخبارهم وزعمهم آريابا بن ذؤيب الله والمسيح بن مريم وما أبذروا إلا ليعتدوا الله إلهاً واحداً لا إله إلا

الشعب وأنهم صلة الوصل بالله وأكثر الناس قربى من الله. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الجماهير اليهودية لم تترك عبادة الشيرافيم، وهي عبارة عن آلهة كانوا يحتفظون بها في بيوتهم، قد صنعوها على شكل بني البشر، وكانوا يستشيرون هذه الآلهة في كل المناسبات، على اعتبار أنها آلهتهم الخاصة التي تتلقى الوحي من الله. ولا بد أن تكون هذه العبادة قد تعززت وارتفع شأنها عن طريق الاتصال مع الوثنيين العرب.

ونحن نرى أن الفلسفة الكلدوزرادشتية قد تركت أثرها الذي لا يمحي على التقاليد اليهودية من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان أعظم مفكرهم - حين يحاولون إدخال الاعتقاد بالعلّة الأولى إلى آراء وتصانيف فلاسفة اليونان والرومان - يُسربون مدارس الفكر الإسكندرانية بمبادئ وأفكار لا يمكن أن تتفق مع مذهبهم التوحيدى الأصل. وبالإضافة إلى هؤلاء كان هنالك الهندوس مع الحشد الضخم من آلهتهم والإلهاتهم، والزرادشتيون مع توأم آلهتهم اللذين يتخاصمان دوماً في سبيل الغلبة والسيادة. ولن يغيب عن بالنا اليونان والرومان والمصريون، مع هياكلهم التي تتراكم فيها الآلهة بأخلاقها التي لا ترقى إلى مستوى أخلاق عبدها المنحليين.



هكذا كان حال العالم المتحضر في إبان نشر دعوة المسيح بالسلام. وكان السيد المسيح بالرغم من كل بشاراته وتعاليمه واتجاهات فكرته فإنه لم يدع أنه «متمم لله» أو أنه «جوهر الله وذاته» إطلاقاً. ومن المؤسف حقاً أنه حتى المسيحية الحديثة قد ظلت عاجزة عن انتزاع نفسها وتحريرها من الأساطير القديمة التي تركتها لها العصور الغابرة ذلك لأن أتباع المسيحية كانوا يتخلّصون جيلاً بعد جيلٍ من كل ما هو بشري، في تاريخ المسيح حتى ضاعت شخصيته في خضم الأساطير. وها هو «العهد الجديد» ذاته - بما تفرّغ عنه خلال قرن كامل - يترك المسيح تلك الشخصية الجليدة غامضة يلفها ضباب الشكّ والأسطورة أكثر ممّا ينيرها اليقين.

والتحقيق، وهكذا مع كل يوم يمر. كانت فكرة «ذاتٍ وُلدت في قلب الأزلية» تكتسب قوة تظل تزايد، حتى تحولت إلى عقيدة في صلب الدين.

وقد كانت تعاليم المسيح حريئة بأن ترقى إلى مفهوم عن الله أشد نقاءً وأعظم مجدداً، غير أن قروناً ستّة قد مضت على عيسى عليه السلام ظلّت تُلغى طولها هذه الخزعبلات التي تتعارض مع رسالته، فكان أن أضنت عليه صنعة الأوهية. وهكذا فإنّ العبد قد احتلّ مكان مولاه في تقديس البشر.

ولمّا كانت جمهرة العامة عاجزة عن أن تستوعب - أو حتى تدرك - المزيج العجيب للفلسفات الفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية واليهودية الهيكلية، وكذلك تعاليم المسيح، فقد عبدته كما لو كان إلهاً أصيلاً، أو انقلبوا إلى عبادة الآثار وآلهة منحوتة تمثل أمّه البتول. وحين كان المدى قد طال على هذه الخزعبلات فإنّ المسيحيين قد ابتعدوا كثيراً عن بساطة تعاليم المسيح عليه السلام. حتى لقد أصبحت عبادة الصور والتدريسين والآثار جزءاً لا يتجزأ من ديانة يسوع. وكذلك فإننا نرى أن الشرور التي شجبتها عيسى عليه السلام نفسه والطقوس التي أنكرها قد أخذت تدخل في صلب دينه، واحدة تلو أخرى.



وبعد، فإننا نرى ضدّ كل هذه السخافات التي كانت سائدة طول عصور والتي ظلّت مستحكمة البنيان ذلك العهد كان هدف نبي الإسلام في حياته موجّهاً ومركّزاً على أسس قويمة يدعمها العقل والفطرة السليمة. فهو إذ يخاطب الناس يخاطبهم بحق، وهو متأثر بالتصال وتيق مع الله، الله الذي خلق الكون جملةً وتفصيلاً. ولم يجد محمد عليه السلام عن طريق العقل الرشيد. ورغم قيام عبدة الأوتان - من أبناء القبائل العربية من جهة، وأتباع المسيحية واليهودية الممسوختين من جهة أخرى - بمحاولة إغرائه، فقد ظلّ يخاطبهم حتى جعلهم يخجلون من فظاعة معتقداتهم.

وهكذا، فإنّ نبي الإسلام - الذي كان يسمّى بحق «سيد القائلين» و«سيد المرسلين» والداعي إلى وحدانية الله - قد صمد، كما يحدثنا التاريخ، في صراع نبيل واجهته به أوّل الأمر، ثم فرضته عليه بعد ذلك محاولات الإنسان الرجعية الرامية إلى إشراك مخلوقات أخرى مع خالق الكون. غير أن الدعوة قد غلبت الجميع، وظهر الدين كدّه على الشرك كدّه.

فقد «جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون»^١.

وليس أوضح ولا أجزم من الآيات التالية التي وردت في القرآن الكريم في تفسير وحدانية الله، إنه يقول:

«وَالْهَكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاجْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً
يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ
الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ»^٢.

فأي عطف عميق تعرضه هذه الكلمات على أولئك الذين في الجهالة يعمهون؟

ثم هذه الآيات، حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم:

«هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ. وَيَسْبِغُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ
الْجِدَالِ. لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسِطٍ كُفَيْبٍ إِلَى
الْمَاءِ لِيَبْدَغَ فَأْهُ وَهُوَ بِالِغَةِ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ. وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالَهُمْ بِانْعِدَادٍ وَالْأَصَالِ. قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ
قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرراً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ»^٣.

وقوله جلَّ شأنه:

«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ

٢ - البقرة: ١٦٣-١٦٥.

١ - التوبة: ٩، ٤٨.

٣ - البقرة: ١٧٣-١٦٦.

تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَخَرِيفٌ رَّحِيمٌ. وَالْحَيْلُ وَالْإِغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةٌ وَيَخْتَلِقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَتَوَاشَىٰ لَهَا لَهَاكُمْ أَجْمَعِينَ. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ. وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَاثُونَ مَوْجًا فِيهِ وَتَلْتَبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ. أَفَلَمْ يَخْلُقْ كَمَا لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ»

و: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^٢.

وكذلك: «إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^٣.

وكذلك «سورة الإخلاص»:

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^٤.

٢ - البقرة: ٢٥٥.

١ - النحل: ١٦، ٣، ٢١.

٤ - الإخلاص: ١، ١١٢، ١-٤.

٣ - الأعراف: ٧، ٥٤.

وسورة الفاتحة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَا نِكَ يَوْمَ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.»^١

«قُلْ إِنَّمَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلُّ لِيهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.»^٢

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَرْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُم بِالنَّوِيلِ وَيَعْلَمُ مَا جَزَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.»^٣

وفي مجال بيان توحيد الله سبحانه والاستدلال عليه من خلال مخلوقاته وآثار الإبداع في خلقه، وهي الطريقة النظرية للإقناع والاتباع، يقول تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذِكْرُكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْتُّوفُكُونَ. فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمَّنْ الدَّخْلِ مِنْ ظُلُمَاتِ قُلُوبِ دَانِيَّةٌ وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزُّيُوتِ وَالزُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُجَّاتُهُ وَتَعَالَىٰ غَمًّا يَصْفُونَ. بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

٢ - الأنعام: ٦، ١٢.

١ - الفاتحة: ١، ٢.

٣ - الأنعام: ٦، ٧، ١٠، ١١.

وَكَيْلٌ. لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ النَّظِيفُ الْخَبِيرُ. قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَكُنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ»^١.

«قُلْ إِنِّي صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^٢.

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّظِيرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَنِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَاللَّهُ مِنْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^٣.

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»^٤.

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مِنْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ نَعْلَمُكُمْ تُهْتَدُونَ»^٥.

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

«قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ. قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»^٦.

«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ نِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا»^٧.

«غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ... ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ»^٨.

«لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»^٩.

«أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ نُجُومًا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ

١ - الأنعام: ٦٦، ٦٧

٢ - التوبة: ١١، ١٢

٣ - الصافات: ٢٢، ٢٣

٤ - غافر: ٤٠، ٤١

٥ - الأنعام: ٩٥، ٩٦

٦ - النور: ٤١، ٤٢

٧ - الأعراف: ١٧، ١٨

٨ - الفرقان: ٥٧، ٥٨

٩ - الأنعام: ٦٦، ٦٧

ما كان نكم أن تنيبوا شجرها فإنه مع الله بل هم قوم يعدنون. أمّن جعل الأرض قراراً وجعل
 خلاها أنهاراً وجعل لها زوايي وجعل بين البحريين حاجزاً فإنه مع الله بل أكثرهم لا يعلمون.
 أمّن نجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلاً ما
 تذكرون»^١.

«لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
 أو أخطأنا ربنا ولا تحمّل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة
 لنا به واعف عبنا واعفر لنا وارضنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»^٢.

«عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال. سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن
 هو مستخف بالنيل وسارب بالنهار. نه معقبات من بين يديه ومن خفيه يحفظونه من أمر
 الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم
 من دونه من وال»^٣.

«الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح أنصباح في رُجاجة
 الرُجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها
 يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال
 للناس والله بكل شيء عليم. في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
 والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون
 يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار. ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله
 يرزق من يشاء بغير حساب. والذين كفروا أعماهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى
 إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب. أو كظلمات في بحر
 لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم
 يكد يراها ومن لم يجعل الله نه نوراً فما نه من نور. ألم تر أن الله يسبح له من في السموات
 والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون. والله منك

٢ - البقرة: ٢٨٦.

١ - النحل: ٦٠، ٦٢.

٣ - التورع: ١٣، ٩، ١١.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ أَنْصِيرُ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ تَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. يَتَذَكَّرُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِقَوْمٍ الْأَبْصَارِ»^١.

وفي سورة الرحمن أنصح دليل على ذلك التقدير الكبير الذي كان يشعر به محمد ﷺ نحو ضرورة تبصير قومه بمجالي الطبيعة المشرقة، وفي شكل جعل الغربيين يطلقون على تلك السورة اسم «جمال الطبيعة في القرآن».

فهو يقول:

«السَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ. وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ. فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ. وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ. وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. يُخْرِجُ مِنْهَا أَنْثُونَ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. كُلُّ مَنْ غَلَبَتْهَا فَإِنَّ رَبِّيكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ. يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ. فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكَ تُكذِّبَانِ»^٢.

وكذلك الآيات البيئات التالية:

«وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَمَةٌ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا»^٣.

«وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَاهَا»^٤.

«الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

٢ - الرحمن ٥: ٥٥ - ٣٠

١ - انور ٢٤: ٢٥ - ٤٤

٤ - الشمس ٩٦: ٧ - ٩

٣ - الإسراء ١٧: ١٣

تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَائِسًا وَهُوَ حَسِيرٌ»^١.
«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرَجُونَ»^٢.

ومتى يا ترى؟ إن الجواب على ذلك ظاهر في سورة التكويد، حيث قال الله تعالى:
«إِذَا انشَمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ.
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ. وَإِذَا الْآلُودَةُ سُئِلَتْ.
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الْبُحُورُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجِبْتَةُ
أُزْلِفَتْ. عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أُخِذْتُ. فَلَا أَتُحِمْ بِالنُّجُومِ. الْجَوَارِ الْكُنُوسِ. وَالنَّيْلُ إِذَا غَشَعَسَ.
وَأَنْصَبِحَ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ.
وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْبِينَ. وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^٣.

ويسألونك يا محمد عن الساعة، فقل: «عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي
وَلَا يَنسَى»^٤.

وقد سبق أن «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا»^٥ فأُنكرت يوم القيامة وعقر أشقاها الناقة، وقال
لهم رسول الله: «نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا»^٦ فلم يستجيبوا له «فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ»^٧
وسوى بلدهم بالأرض بعد أن أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية، وبحق:
«وَالضُّحَى. وَالنَّيْلُ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى.
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا
فَأَعَانَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^٨.

١ - التملك ٦٧: ٤ - ٢ - الروم ٣٠: ٢٥.
٣ - التكويد ٨١: ١٩ - ٤ - طه ٢٤: ٥٢.
٥ - الشمس ٩١: ١١ - ٦ - الشمس ٩١: ١٣.
٧ - الشمس ٩١: ١٤ - ٨ - الضحى ٩٣: ١-١١.

وربما ظن المشركون أن الله قد خلقتهم لهواً وهزواً فبلغهم يا محمد إنهم مخطئون في ظنهم، وإن إلينا الشور، وحينئذ ننبئهم بكل ما فعلوا. أمّا أنت وأصحابك فقولوا: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»^١ واغفر لنا ذنوبنا واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

وتقوا جميعاً أنه لن تحمل «وَأِزْرَةً وَإِزْرَةً أُخْرَى»^٢ فكل نفس بما كسبت رهينة. وأن ربكم لن يعذب أحداً كما أنه لم يعذب من قبل إلا بعد أن يرسل رسولاً... واذكروا: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً»^٣.

وهكذا يمضي هذا الكتاب الرائع، مناشداً أنبل مشاعر الإنسان، وضميره الداخلي وإدراكه العقلي، عارضاً تم مبرهنات على بشاعة المعتقدات الوثنية وانحطاطها. وقلمًا تخلو سورة من سور القرآن من عبارة بليغة متألفة عن قدرة الله وعظمه ووحدانيته. ومع هذا فقد أساء الكتاب المسيحيون إدراك المفهوم الإسلامي لقدرة الذات الإلهية، فجعلوا يصورون إله المسلمين على أنه «عديم الشفقة، طاغية يلعب بمقدرات الإنسانية كما يلعب المرء بحجارة الشطرنج». وقالوا: «إنه يقوم بما يقوم به دون أي اعتبار لتضحيات البشر». وهكذا زعموا، فلنر ما إذا كان هذا التقييم صحيحاً.

إن إله المسلمين هو القويّ العليم العدل ربّ العالمين، فاطر السموات والأرض، وهو الذي ذرأ الحياة، وكتب الموت، بيده السيطرة على كل شيء، وهو الأول والآخر، وصاحب القوة التي لا تقاوم، وهو العظيم القويّ الذي استوى على العرش. إن الله هو القويّ، الرحيم، العليّ، الخالق، الصانع، المصمّم، العاقل، العادل، الحقّ، السريع الحساب. إنه هو الذي يعرف متقال الذرة من خير أو شرّ عمله الإنسان، وهو الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً. والحقّ أن هذا الرحيم العادل هو أيضاً الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الحارس على مصالح عباده. وهو كذلك ملجأ العاجز ومرشد الضالّ، والمعطي الوهاب، صديق المحروم، ومستشار المظلوم، في يده كل الخير، وهو السيّد الكريم،

٢ - ذكرت في القرآن في خمسة مواضع.

١ - آية ٢: ٢٨٦.

٣ - الإسراء: ١٧، ١٤.

الغفور، السميع، القريب، الشفوق، الرحيم، الذي يحب الإنسان أكثر من حب الطير لصغاره. إن رحمة الله لهي من أوسع المواضيع التي تضمنها القرآن، وكلمة «الرحمان» التي تفتتح بها كل سورة من سور القرآن الكريم في البسملة والتي تدل على إله رحيم إنما تعبر تعبيراً عميقاً عن ذلك الحب الذي يكتنه خالق السماوات والأرض لعباده.

إن ما تعرّض له أتباع النشئين سالفتي الذكر (اليهود والمسيحيين) من تحقير خلقي، قد اعتصر قلب الرسول، ثم تحول هذا الألم إلى شجب للمعتقدات الخرافية التي كانوا يمارسونها خلافاً لتوجيهات رسولهم. إن نار الغيرة الدينية التي اشتعلت في صدر أشعيا وجرميا قد عادت واشتعلت في صدر رجل آخر أعظم منهما. وقد شجب هذا الرجل ولكن دون نواح، صيحات اليأس والكمذ حول تقليل قيمة الإنسانية، وأسمعهم صوت الأمل والعقل.

وقد عنف القرآن اليهود بشدة على عبادتهم آلهة مزيفة من الأوثان، ولمبالغتهم في الاعتماد على ذاكرة عزرا. كما لام القرآن المسيحيين لتأليههم عيسى وأمه مريم كما هو مبين في الآيات التالية:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالنَّطَّاقَاتِ وَيَقُولُونَ نُلَدِينُ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا»^١.

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَّبِعُوا اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^٢.

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ

آثَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ»^١

ويختلف الذين أوتوا الكتاب في إبراهيم فليسمعوا:

«وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»^٢

ولقد ذهب إبراهيم وإسماعيل، وسيجازيهم ربهم بأعمالهم، فد «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
رَهِينَةٌ»^٣ «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^٤ فدعوهم لربهم هو أعلم بهم، و «هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
اهْتَدَى»،^٥ إنه ذلك «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى. إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى. وَسَوْفَ يُرْضَى»^٦

هؤلاء الأخيار الذين يقدمون الحسنات

«وَيُطْعَمُونَ انطعاماً عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً»^٧

فيا أيها النبي وأصحابه، اعبدوا الله وأطيعوه، وكونوا رحماً بينكم. أما بشأن معاملة
الفرد منكم لوالديه فليخفف لهما جناح الذل من الرحمة «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِي كَمَا رَحِمْتَ رَبِّيَ
صَغِيراً»^٨

ويا أيها المسلمون، اقلعوا عن عادات الجاهلية الشائعات وتحلوا بالنضائل الزكية
«وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ تَحْتَمِلَ إِمْلَاقُ نَحْسٍ تَرُدُّقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ»^٩ وإذا سألك أصحابك عن الصراط
السوي يا محمد، والطريق التي تنجيهم من عذاب يوم عظيم، فقل لهم:

١ - آل عمران ٣: ١١٢-١١٤.

٢ - البقرة ٢: ١٢٧-١٢٨.

٣ - الصدق ٣٨: ٣٤.

٤ - الأندام ٦٦: ١٦٤، الإسراء ١٧: ١٥، فاطر ٣٥: ١٨، الزمر ٣٩: ٧، النجم ٥٣: ٣٨.

٥ - النجم ٥٣: ٣٠.

٦ - الليل ٩٢: ١٨، ٩١: ٢١.

٧ - الإنسان ٨٦: ٨، ٨٧: ٩.

٨ - الإسراء ١٧: ٢٤.

٩ - الإسراء ١٧: ٣٦.

«فَكَ رَقَبَةٍ. أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالنُّصْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ»^١

فمن يفعل ذلك يكن شأنه شأن من سبقه من رجالنا المخلصين الذين كان منهم إبراهيم عليه السلام، حيث:

«فَعَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَهُ عِنْدَنَا نُزْلِي وَحُسْن مَتَابٍ»^٢

ولا يجوز أن يكون الإحسان حياً في التظاهر والتعاضد على المحتاج، فإن ذلك يمحى الحسنات كما أن فيه إذلالاً للنفس البشرية، وهي عند الله أكرم من أن يتسامح في إذلالها، فإذا فعلتم أيها المسلمون حسنة فلا يجعل الواحد منكم شماله تعلم ما قدمت يمانه. أمّا إذا أخذ الزهو فإن عمله يكون كسقوط المطر على صخرة ملساء مكشوفة ما عليها تراب، فيهطل المطر، ولكنه يتساقط على أطرافها، فلا تنفع منه شيئاً. أمّا ذلك الذي يقصد ربه بعمله فهو كبستان على ظهر رابية يتقاطر عليها الغيب فتمرع، ويصوبها الندى فتنتفح أزاهيرها.

وعلى محمّد أن يفصل فيما يعترض قومه من مشكلات: فإذا حكم فليحكم كما فعل داود: «يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ»^٣.
ولربما آتاك الله بسطة في المال وسعة في العيش فلا تمنن بأنعم الله، أمّا إذا حاول الشيطان أن يوسوس في فؤاد أيّ من أصحابك فقل له: ارجع إلى الله.
وإياك أن تتعاضد نفسك فربك أكبر منك.

«وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَنَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا»^٤ وحذر قومك من:

«إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ»^٥ وربما قتل تلك المولودة فإياك وأصحابك أن يفعل أحدكم هذه الكبيرة:

١ - من ٣٨: ٢٥.

٢ - التوبة ١٢: ١٧.

٣ - الإسراء ١٧: ٣٧.

٤ - من ٣٨: ٢٦.

٥ - النحل ١٦: ٥٨.

«وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ»^١

والموودة نفس سيحشرها ربها يوم القيامة: «وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»^٢
 ألم تلذكم أناث يا هؤلاء؟ فاحترموا أرحاماً ولدتكم: «وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَا إِنَّهُ كَانَ
 فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا»^٣

ومن هذا القبيل يتوجب:

«قُلْ لِنُفُوسِنَا يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ»^٤

والمؤمنات «وَلَا تَبْرَحْنَ نِيْرَجَ الْمَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^٥ وعليهن أن لا يبدن زينتهن إلا
 لبعولتهن أو ذوي أرحامهن من المحرمين.

ولا تغرنكم الحياة الدنيا يا أصحاب محمّد، واعلموا أنه:

«وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ انْعُرُورٌ»^٦ وما مثلها إلا كزرع استوى على سوقه يعجب
 الزرّاع نباته ثم يهيج فتراه مصفراً، وكذلك يصرف الله الآيات لقوم يعقلون.
 واعلموا أنه:

«قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ.
 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ يَفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ»^٧

أما:

«فَمَنْ ابْتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون»^٨

بخلاف:

«وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أولئك
 هم الوارثون».

٢ - التكويز ٨٦: ٨، ٩.

٤ - النور ٢٤: ٣٠.

٦ - أن عمران ٨٣: ١٨٥.

٨ - المؤمنون ٤٣: ٧.

١ - الأندام ٦: ١٥٦.

٣ - الإسراء ١٧٧: ٣٢.

٥ - الأحراب ٣٣: ٣٣.

٧ - المؤمنون ٢٤: ١-٦.

وماذا يرثون؟

«الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^١.

وكيف تعاملون والديكم يا أصحاب محمد؟

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا»^٢.

ولا تطمعوا في أموال قريباكم بل:

«وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا»^٣.

ولزموا العدل في إنفاق أموالكم:

«وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا»^٤.

وكذلك العدل في أقوالكم:

«وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنِ الشَّيْطَانُ كَانَ

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا»^٥.

وأنت يا محمد:

«ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السُّئُلَ مِمَّنْ أَعْلَمَ بِمَا يَصِفُونَ»^٦.

وسيندم أولئك الذين يظنون أن الله غافل عما يفعلون إذ أنه:

«تَفْخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»^٧.

وحينئذ:

«وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ»^٨.

وعليك يا محمد أن تقول لأصحابك ممن اهدوا إلى سواء السبيل:

٢ - الإسراء: ١٧، ٢٤.

٤ - الإسراء: ١٧، ٢٩.

٦ - المؤمنون: ٢٣، ٩٦.

٨ - الأنبياء: ٢١، ٤٧.

١ - المؤمنون: ٢٣، ٨، ١١.

٣ - الإسراء: ١٧، ٤٦.

٥ - الإسراء: ١٧، ٥٣.

٧ - يس: ٣٦، ٥١.

«وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ»^١

ولن يبخل الله عليكم فهو:

«غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ»^٢

وهو يبلغكم:

«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ

جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^٣

واذكروا يا أصحاب محمد أنه:

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ»^٤

وإذا سألت المؤمنين عما حرم الله فأجبهم:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّوْا وَأَلَّا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا قُلْ

تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^٥

فمن واجبكم أن:

«ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُضُوعًا وَإِنَّهُ لَجَبَّارٌ عَسِيدٌ. وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ

إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ. وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ

بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ

مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَالْبَدْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرَجُ إِلَّا تَكِيدًا كَذَلِكَ نَعْرِفُ آيَاتِ الْقَوْمِ يَشْكُرُونَ»^٦

ومن الشكر:

«وَصَيَّنَّا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ»^٧

٢ - غافر ٥٠: ٣

٤ - فاطر ٣٥: ١٠

٦ - الأعراف ٧: ٥٥، ٥٨

١ - مود ١١: ٩٠

٣ - الزمر ٣٩: ٥٤

٥ - الأعراف ٧: ٣٣

٧ - قصص ٣١: ١٤

فحين يشب يغدو من واجبه أن يقول:

«رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ»^١.

ولكن الشكر لذيتك الوالدين لا يجعله في حل من أن يعصي ربه من أجلهما:

«وَأَنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا

مَعْرُوفًا»^٢.

ولكنك في حل من العصيان لأن:

«اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»^٣ إلا «أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»^٤.

واضرب يا محمد للمخلصين من أتباعك مثلاً وقل لهم:

«مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ خَبثٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ

حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا

يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. قَوْلُ

مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ خَلِيمٌ»^٥.

وليس في هذا على المؤمنين رهق ولا تعجيز إذ الله:

«لَا يَكْتُمُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُضِعَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ وَرَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ

نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا

لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»^٦.

هؤلاء القوم هم الذين تردّد ألسنتهم وتطرح قلوبهم بحب الله فيضل دعاءوهم:

«الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^٧.

و«رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلنَّاطِقِينَ مِنْ أَنْصَارٍ»^٨.

واعلموا يا أصحاب الرسول أن:

١ - التصل ٢٧: ١٩.

٢ - الزمر ٣٩: ٥٤.

٣ - البقرة ٢٦١: ٢٦٣.

٤ - آل عمران ٣٣: ١٦٧.

٥ - قصص ٣٦: ١٥.

٦ - التوبة ٤: ٤٨ و ١١٦.

٧ - البقرة ٢: ٢٨٦.

٨ - آل عمران ٣٣: ١٩٢.

«مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا»^١.

و «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ سَاهِدِينَ لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَأَلْيَسَ اللَّهُ بِغَفُورٍ رَحِيمٍ»^٢.

فهل تقدر دعوة ابن الصحراء العربي، أو الرسول إلى العالم كافة، في مخاطبته ضمائر الناس من قومه السابقين والإنسانية جمعاء من اللاحقين، عن دعوة المسيح الرقيقة!! لقد كان يتيمًا فقيرًا عائلًا حرمته الأيام حنان أعمى الأقرين إليه في طفولته، وتمزقت نياط قلبه في صباه، ثم اعتصره الألم والحسرة على ضلالة قومه في رجولته. وكان عليه أن يفارغ الجهالة والحقد وعمى البصيرة طوال حياته، ومع هذا تدفق من قلبه ذلك ينبوع العنابي فسمت إنسانيته، وهبط عليه وحى ربه يهديه ليهدي غيره، ويدلّه على صراطٍ سويّ ترتفع به النفس البشرية من مسارب العالم المادّي إلى عالم الروح وإن كانت تظلّ تنظر إلى وجودها الأصيل في عالم المادة.

هكذا كان نبي الإسلام، وهكذا كانت رسالته، رسالة نور وهداية للعقل البشري في مختلف الحقب والعصور.

«وَلَنَا وَآبَاءُنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ»^٣.

وهل أغفلهم ربهم؟ الله:

«فَأَسْتَجِبْ لَهُمْ وَرَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْذِرِ الْهَادِثِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّوَابِ»^٤.

فيا أيها المؤمنون اتلوا مع رسولكم:

١ - التوبة: ٤، ١٤٥.

٢ - التوبة: ٤، ٨٥.

٣ - آل عمران: ٥٣، ١٩٥.

٤ - آل عمران: ٥٣، ١٩٥.

صفات المجد في القرآن

جاءت صفات المجد لله تعالى في القرآن صافية زاهية، ونزيهة وظاهرة، هي صفات الجلال والجمال في تقديس وإكبار:

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

فهو الله، لا إله غيره، ولا معبود سواه. لا شريك له، تعالى الله عما يشركون. عالم الغيب والشهادة، لا يعزب عن علمه شيء، عالم السرّ وأخفى، هو الرحمان الرحيم. قل لمن ما في السماوات والأرض، قل لله كتب على نفسه الرحمة. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك، المسيطر على الخلق كله، ملك الناس والمالك يوم الدين. القدُّوس، المترفّع عن الدنائس والخصائس، العليّ العظيم. السلام، الذي ضمن على الخلق سلامتهم في عافية وهناء.

المؤمن، الذي كفل الأمن والطمأنينة على الناس في الحياة.
المهيمن، المسيطر على مقدرات الخلق، رب العالمين.
العزيم، الذي لا يغالب في تدبيره وتنفيذ إرادته. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن
فيكون.

الجبّار، النافذ إرادته، الغالب على أمره فيما يشاء.

المتكبر، الذي تلبس بالعز والكبرياء.

«أَيُّتَّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»^١.

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُهُ»^٢.

«وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ آلِهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجْعَلُونَ

والآيات من هذا النمط كثيرة في القرآن الكريم، جاءت لتمجّد الربّ تعالى تمجيداً

لائقاً بمقام عظمته عزّ شأنه، وتنزيهاً متناسباً لموضع كبريائه، سبحانه وتعالى عما

يصفون.

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

أما الذي جاء في الكتب المحرّفة - وكانت متداولة حينذاك - مثل العهدين، فالإلى

الإهانة أقرب منها إلى الاحترام بشأنه تعالى، ونشر إلى نماذج منها:

خديعة آدم وحواء، خشية أن يخلدا في الحياة!

إله التوراة يكذب في نصيحته لآدم وحواء، وإبليس يصادقهما القول! إله يجهل

مكانتهما، ويخشى أن يعرفا الخير من الشرّ ويصبحا عاقلين!

هكذا جاء في التوراة المحرّفة، في الإصحاح الثالث من سفر التكوين:

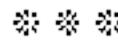
٢ - فاطر ٣٥: ١٠.

١ - اتداء ٩: ١٣٩.

٣ - اتدافون ٨: ٧٣.

«كانت الحيئة أحييل جميع حيوانات البرية، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلوا من كل ثمرة الجنة؟ فقالت المرأة للحيئة: وأما ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلوا منه ولا تمسوا لتلا تموتا، فقالت الحيئة للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين للخير والشر، فأخذت المرأة من ثمرةا وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلمتا أنهما عريانان، فخاطبا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاخبتا آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال آدم: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاخبتا، فقال الرب: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟»^١

«وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد حذر كواحد منا عارفاً للخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من الجنة عدن، فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكر وبيم، ولهيب سيف منقلب، لحراسة طريق شجرة الحياة.»^٢



إله التوراة يخاف من بني آدم وحدثهم وائتلافهم، ولذلك يفرق بينهم ويسلبهم ألسنتهم، هكذا جاء في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين:

«وكانت الأرض كلها لساناً واحداً، ولغة واحدة. وحدث في ارتحالهم (ارتحال بني الإنسان) شرقاً أنهم وجدوا بقعة من أرض شعار^٣ وسكنوا هناك. وقال بعضهم لبعض: هلمّ نصنع لبناً ونسويه شيئاً. فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان الحُمُر^٤ مكان الضيق. وقالوا

١ - العدد: ١، ١٦، ٦. ٢ - العدد: ٢٢، ٢٤، ٦٧.

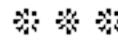
٣ - أرض شندار: هو ما بين النهرين (دجلة والفرات) بالتراق، وهي أرض بابل قرب مدينة اتحادة اليوم بالتراق.

٤ - الحُمُر: ضرب من القار كانوا يطون به التحيطان كالصلاط.

هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه في السماء، ونصنع لأنفسنا اسماً كلاً لتبدد على وجه كل الأرض. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينونهما، وقال الرب: هو ذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداءؤهم بالعمل. والآن لا يمنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.

فبددهم الرب هناك على وجه كل الأرض، فكنثوا عن بنيان المدينة.^١

هكذا يعارض إله التوراة حضارة الإنسان، ويعرقل في سبيل مدينته، وبذلك يكون قد كافح واقع الحياة وعارض متطلباتها التي جعلها هو في ذات الإنسان. إن هذا التضاد عارم يتحاشاه رب العالمين وإله الخلق أجمعين.



هذا، بينما القرآن يجعل من الإنسان أكرم خليقته ويفضله على كثير ممن خلق، ويعلمه الأسماء كلها ليحمله خليقته في الأرض، ويؤكده عمارة الأرض «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ كُمْ فِيهَا»^٢، وعلمه ما لم يعلم^٣ «وَيُرَكِّبُكُم وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ»^٤



تقديم مقام الأنبياء والرسول

وتفخيم شأنهم

ويتعرض القرآن لذكر الأنبياء فيصفهم بكل جميل ينبغي أن يوصفوا به، وينسب إليهم كل ما ترة كريمة تلازم قداسة النبوة، ونزاهة السفارة الإلهية.

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»^٥

١ - العدد: ١، ٩، ١٧.

٢ - هود: ١١، ٦١.

٣ - إشارة إلى قوله تعالى: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» اتلوق: ٥.

٤ - البقرة: ٢، ١٥١.

٥ - الأعراف: ٧، ١٥٧.

«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^١

«وَإِنَّ نَازِلًا بِكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مُنْجُونَ. وَإِنَّكَ نَعْلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ»^٢

«إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»^٣

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ»^٤

«وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ أَنْسَاءِ وَآلِ الْأَرْضِ وَنَبِيكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ»^٥

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَىٰ

وَإِنِّيَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَنُوحًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ

آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^٦

«وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ»^٧

«وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا النُّجُومِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ»^٨

«أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ فَخَسِبُوا فَاسْتَجَابُوا بِكُفْرٍ»^٩

هذه جملة من الآيات التي جاء بها الكتاب العزيز في تنزيه الأنبياء، وتقديسهم،

وإظهارهم على حقيقتهم من القداسة والنزاهة وجميل الذكر.

لماذا كتب العهدين فقد تعرضت أيضاً لذكر الأنبياء ووصفتهم، ولكن بماذا وصفتهم؟!

٢ - لقام ٢٨، ٣، ٤.

٤ - الزخرف ٤٣، ٤٦، ٤٧.

٦ - الأنعام ٨٤، ٨٧.

٨ - ص ٣٨، ٤٨.

١ - النجم ٦٢، ٦٣.

٣ - آل عمران ٣٣، ٣٤.

٥ - الأنعام ٦٦، ٧٥.

٧ - النحل ٢٧، ١٥.

٩ - مريم ١٩، ٤٨.

وبأي منزلة وضيعة أنزلت هؤلاء السفرة الأبرار؟

أبرام يحتال

جاء في الإصحاح ١٢ من سفر التكوين: انحدر أبرام إلى مصر، وحدث لما قرب أن يدخلها أنه قال لساري امرأته: قد علمت أنك حسنة المنظر، فيكون إذا رأى المصريين فيقولون إنها امرأته، فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك، وتحيا نفسي من أجلك.

ولما دخلوا مصر ورآها المصريون أنها حسنة جداً وصفوها لفرعون، فأخذت إلى بيت فرعون، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن^١ وجمال.

وحينما علم فرعون أنها امرأة أبرام وليست أخته دعا أبرام ووبّخه وقال له: ما هذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ فردّها عليه.

أنهل يعقل من نبيّ عظيم من يعرض بروجه للمضحك، بغية حفظ نفسه أو طلباً في المال؟

قال سيّدنا الأستاذ رحمته الله: وحاشا إبراهيم - وهو من أكرم أنبياء الله - أن يرتكب ما لا يرتكبه فرد عاديّ من الناس.^٢

لوط وابنتاه

جاء في الإصحاح ١٩ من سفر التكوين: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا،

٢ - الأخت: جمع أختان بمعنى حمارة.

١ - اتبيان في تفسير القرآن، ص ٦٠ - ٦١.

٢ - انصهر، ص ٦٢.

هلم نستي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أينا نسلًا.
فعلت ذلك من غير أن يشعر أبوهما بفعلتهما الشنيعة، فحملتا منه، فولدت البكر إناً
ودعت اسمه (موآب - وهو أبو الموابيين). والصغيرة أيضاً ولدت إناً وسمته (بن عمي -
وهو أبو بني عمون).

يعقوب يخدع أباه إسحاق

جاء في الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين: كان إسحاق عندما كبر وشاخ أمر ابنه الأكبر
(عيسو) أن يذهب إلى الصيد فيأتيه بطعام يأكله، ووعدته أن يعطيه مواريث النبوة ويبارك
له. فسمعت «رفقت» أم يعقوب - وهو الولد الأصغر - ذلك فأسرعت إلى يعقوب تقول له:
اصنع لأبيك طعاماً حتى يبارك لك بدل «عيسو». فقال يعقوب: كيف وإني أمس وأخي
أشعر؟! فدبرت له شعراً ولبس الأمر على أبيه إسحاق، فظنه «عيسو».
فدخل يعقوب على أبيه وقال: يا أبي! فقال: ها أناذا، من أنت يا ابني؟ فقال يعقوب
لأبيه: أنا عيسو بكرك.

مرآة حقايق كالميزان علوم راسدي

فقال إسحاق: ما هذا الذي أسرعت يا ابني؟ فقال: إن الرب إلهك فقد يترني.
فقال إسحاق ليعقوب: تقدم لأجسك يا ابني أنت هو ابني عيسو أم لا.
فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه وقال: الصوت صوت يعقوب. ولكن اليدين يدا
عيسو. ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه، فباركه وقال: هل أنت هو
ابني عيسو. فقال: أنا هو، فدعا له وقال: ليستجد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيِّداً
لإخوتك.

ولما رجع عيسو ودخل إلى أبيه وتهدأ لبارك له قال له إسحاق أبوه: من أنت؟ فقال:
أنا ابك بكرك عيسو. فارتعد إسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال: فمن هو الذي باركنه قبل
مجيئك؟!

فلما سمع عيسو ذلك صرخ صرخة عظيمة ومرةً جداً وقال لأبيه: باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك.

فقال عيسو: أما بقيت لي بركة؟ فأجاب إسحاق: إني قد جعلته سيِّداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً فماذا أصنع إليك يا ابني؟!

هكذا، وبهذا الأسلوب الشيطاني يعصف التوراة كيفية انتقال مواريث النبوة من نبي إلى نبي.

قال سيدنا الأستاذ رحمته الله: أفهل يعقل انتهاب معالم النبوة؟ وهل يمنح الرب تعالى النبوة لمخادع كذاب، ويحرم منها أهلها المستحق لها؟!

قال: ولعل سكرة الخمر دعت إلى وضع هذه السخافة، وإلى نسبة شرب الخمر إلى نبي الله إسحاق عليه السلام.



يهودا يزني بأرملة ابنه

جاء في الإصحاح ٢٨ من سفر التكوين، أن يهودا بن يعقوب لما مات ابنه الأكبر (عير) أرسل أرملة (تامار) إلى بيت أبيها، واثق أن يهودا صعد إلى نمدة، فأخبرت تامار بذلك، فتلقمت ببرقع وقعدت في طريقه، فظرها يهودا وحسبها زانية، فمال إليها و قال: هاتي لأدخل عليك، لأنه لا يعرف أنها كتنه، فقالت: ماذا تعطيني؟ قال: جدي معزى من الغنم، قالت: حتى آخذ رهناً. فأعطاهم خاتمه وعصابته وعصاه، فدخل عليها وحبلت منه، ثم قامت و مضت، ولما أرسل إليها الجدي لم يجدوها، وبعد ثلاثة أشهر أخبر يهودا بأن تامار قد زنت وهي حبلى، فقال: أخرجوها فتحرق، فلما أخرجت قالت: أنا حبلى من الرجل الذي هذه العصا والعصابة والخاتم منه، فقال يهودا: هي أبرّ مني. فولدت توأمين: فارص و زارح.

وفارص هذا ينتهي إليه نسب المسيح وداود وسليمان عليهم السلام على ما صرح به إنجيل متى في الإصحاح الأول.

هذا، وقد قال تعالى بشأن خاتم النبيين عليه السلام: «وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّاجِدِينَ». قال الإمام باقر العلوم عليه السلام: أي في أصلاب النبيين بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه، عن نكاح غير سناح من لدن آدم عليه السلام.^١

وفي زيارة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة...».

وهذه هي عقيدتنا في آباء الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام وأمّهاتهم، لم يزالوا ينتقلون من صلب طاهر إلى رحم مطهر، من لدن آدم فإلى حين ولادتهم، من نكاح غير سناح.



قصة داود وأوريا

جاء في الإصحاح ١١ و ١٢ من سفر صموئيل الثاني قصة داود - حاشاه من نبي كريم - زنى بامرأة أوريا في غياب منه، لأنه كان في قتال مع الكفار، فحبلت منه، وخشي داود الفضيحة وأراد تمويه الأمر، فكتب إلى رئيس جنده أن يجعل أوريا في مقدمة الجيش، فقتل أوريا. فضم داود امرأة أوريا إلى بيته وصارت امرأته.

سليمان يعبد أولثانا

جاء في الإصحاح ١١ من الملوك الأول أن نساء سليمان - وكن سبع مائة امرأة - أملن قلبه وراء آلهة أخرى (عشتورث آلهة الصيد ونين وملكوم...).

١ - اشعراء ٢٦: ٢٦٩.

٢ - تصادفي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٢٨، وراجع: اندرانتور، ج ٥، ص ٩٨.

المسيح يحضر مجلس خمر!

جاء في الإصحاح ٢ من إنجيل يوحنا أن عيسى المسيح حضر مجلس عرس، فنقد خمرهم، فعمل لهم ستة أجران من الخمر بطريق المعجزة.

وفي إنجيل متى ١١ ولوقا ٧ أن المسيح كان يشرب الخمر كثير الشرب لها. هذا مع العلم أن الخمر كانت محرمة في جميع الأديان السماوية، وصريح بتحريمها كتب العهدين.^١

هكذا تطيح تعاليم العهدين بشأن الأنبياء العظام وتحط من كرامتهم وتطعن في أنسابهم، وتنزلهم إلى مرتبة سفلى من الابدال والارتدال، حاشاهم من عباد الله المخلصين وأوليائه المكرمين.



هارون هو الذي صنع العجل لا السامري

وقال موسى لهارون: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟! فقال هارون: لا يحم غضب سيدي، أنت تعرف الشعب أنه في شر، فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقلت لهم: من له ذهب فليزعه ويعطني، فطرحته في النار فخرج هذا العجل.^٢

موسى يهدد الرب تعالئ بالاستعفاء من الرسالة

وكان في الغد أن موسى قال للشعب: أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب العلي أكثر خطيتكم. فرجع موسى إلى الرب وقال: آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة، والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت.^٣

١ - راجع: لاويين ١٠، من ١٧٦ ولوقا ١، من ٨٩. ٢ - سفر الخروج: الإصحاح ٣٢، العدد ٢١-٢٤، من ١٤١.

٣ - سفر الخروج: الإصحاح ٣٢، العدد ٣٠-٣٣، من ١٤١.

يعقوب يصارع الربّ تعالى

ثمّ قام يعقوب في تلك الليلة وأخذ امرأته وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يثوق، أخذهم وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فحذه، فأنخلح حُقّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال: أطلقني لأنه قد طلع النجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال: أخبرني باسمك، فقال: لماذا تسأل عن اسمي، وباركك هناك.^١

تكريم مقام الإنسان

القرآن يرى من الإنسان المخلوق المفضل، الذي وقع موقع التكريم والتفخيم في كثير من آيات الذكر الحكيم:

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَوَضَعْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»^٢.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^٣.

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا... فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ»^٤.

«إِنَّمَا تَرَوُنَّ أَنَّ اللَّهَ حَخَّرَ نَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ»^٥.

١ - سفر التكوين: الإصحاح ٣٢، آية ٢٤ - ٢٩، من ٥٤، ٤ - الإسراء: ١٧، ٧٠.

٢ - الحجرات: ١٣، ٤٩، ١٣.

٣ - البقرة: ٢، ٣٠، ٣٧.

٤ - قصص: ٣١، ٢٠.

«وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً»^١.

«هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»^٢.

«ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»^٣.

هكذا يجد الإنسان نفسه الجوهرة الفريدة والذرة اليتيمة في عالم الوجود وفي وصف القرآن كلام رب العالمين، على عكس ما جاء في العهد العتيق، حسبما عرفت.

شمول الدعوة وعموم الرسالة

إلى كافة الناس على طول الدهر

القرآن يحمل رسالة الله إلى كافة الخلائق، رسالة عامة لا تخص أمة دون أخرى ولا جيلاً دون جيل، ولا هي محدودة بنثرة ولا برقعة من الأرض دون ما سواها.

«هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ»^٤.

«هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ»^٥.

«بَصَائِرٌ لِّلنَّاسِ»^٦.

«هُدًى لِّلنَّاسِ»^٧.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ»^٨.

«وَأَرْسَلْنَاكَ بَلَاغًا لِّلنَّاسِ وَحُودًا»^٩.

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ»^{١٠}.

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً»^{١١}.

١ - هود: ١١، ١٢.

٢ - آل عمران: ٥٣، ٥٤.

٣ - القصص: ٢٨، ٢٩.

٤ - يونس: ١٠، ١١.

٥ - سبأ: ٣٤، ٣٥.

١ - التاجانية: ٥٥، ٥٦.

٢ - المؤمنون: ٢٣، ٢٤.

٣ - إبراهيم: ١٤، ١٥.

٤ - البقرة: ١٢٨، ١٢٩.

٥ - الزمر: ٥، ٦.

٦ - الأعراف: ٧، ٨.

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»^١.

«قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعُوا لِلَّهِ فَمَا لَهُمْ كُفْرًا»^٢.

إلى غيرهن من آيات، فضلاً عن دلائل جاءت في صحيح الروايات، وهي كثيرة، دللتنا على عموم رسالة الإسلام، وشمول دعوة القرآن.

هذا، ولكن الدعوة - في العهد القديم - موجهة إلى شعب إسرائيل، وكانت الشريعة خاصة بني إسرائيل، شعب الله المختار^٣ - حسبما يزعمون -!!

سوى أن القرآن الكريم يفند من تلك المزعومة، ويصرح بأن دعوة النبيين من قبل أيضاً كانت عامة لجميع شعوب العالم، ولاسيما أولي العزم - نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، مضافاً إلى خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين.

وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا»^٤.

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ»^٥.

وبشأن دعوة موسى عليه السلام: «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى

لِلنَّاسِ»^٦.

وبشأن التوراة والإنجيل معاً: «وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ»^٧.

إذا فلم يعرف وجه المزعومة الاختصاص.

١ - التصف: ٦١، ٩؛ التوبة: ٩، ٢٣.

٢ - الحجج: ٢٢، ٤٩.

٣ - جاء في سفر التثنية (الإصحاح ٢٦، العدد ١٨ و ١٩): «هذا اليوم قد أمرك الرب إلهك أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام... وواعظك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً... وأن يجعلك مستعياً على جميع القبائل، التي عندها في أثناء والاسم والتهاء... وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك».

وفي (الإصحاح ٢٧، العدد ٩): «تم كلم موسى والتكلمة اللاوتون جميع إسرائيل، قائلين: انصت واسمع يا إسرائيل، اليوم صرنا شعباً للرب إلهك...».

وفي (الإصحاح ٢٨، العدد ٢): «اليوم يجعلك الرب إلهك مستعياً على جميع قبائل الأرض...».

٤ - الأحزاب: ٣٣، ٧.

٥ - أن عمران: ٨٣، ١٨٧.

٦ - الأنعام: ٦، ٩١.

٧ - أن عمران: ٨٣، ٤-٣.

انظر إلى هذه الأحكام التشريعية جاءت في التوراة (العهد القديم) خاصة ببني إسرائيل.

«لا تكن زانية من بنات إسرائيل... ولا يكون مأبون من بني إسرائيل...».

«لا تقترض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقترض بربا... للأجنبي

تقترض بربا، ولكن لأخيك لا تقترض بربا، لكي يباركك الرب إلهك».^١

ودليلاً على هذا التخصيص نجد حكماً آخر ناصحاً على التعميم:

«لا تظلم أجيراً مسكيناً وفتيراً من إخوتك، أو من الغرباء الذين في أرضك».^٢

عقيدة اليونان الأساطيرية

كانت ليونان القديمة آلهة لا يحصرها عدد، حسب تنوعها وتفرق أفرادها، وكان لكل إله من الآلهة أسطورة متصلة به تشرح سبب وجوده في حياة المدينة، أو تفسر الطقوس التي تقام تكريماً له. وقد أصبحت هذه الأساطير التي نشأت نشأة تلقائية مما في المكان ومما لدى الناس من معارف، وتكثرت من وضع الشعراء الدوارين وزخرفهم. أصبحت هذه الأساطير عقيدة اليونان الأوائل وفلسفتهم وآدابهم وتاريخهم جميعاً. فمنها استمدوا الموضوعات التي زينوا بها مزهرياتهم، وهي التي أوحى إلى الفئتين ما لا يحصى من الرسوم والتمائيل والتوش، وقد ظل الناس إلى آخر أيام الحضارة الهيلينية يخلقون الأساطير، بل يخلقون الآلهة أنفسهم، رغم ما أنتجته بحوثهم الفلسفية، ورغم محاولات عدد قليل منهم دعوة الناس إلى التوحيد.

لقد كان في وسع رجال - من أمثال هرقليس - أن يعدوا أمثال هذه الأساطير مجرد مجازات وتشابيه، وفي وسع آخرين - أمثال أفلاطون - أن يعدلوا ويوفقوا بينها وبين ما

١ - سفر التثنية: الإصحاح ٢٣، العدد ١٨، ٢٠ (العهد القديم، ص ٣١٦). وانقصود بالأخ هم بنو إسرائيل.

٢ - سفر التثنية: الإصحاح ٢٤، العدد ١٤.

تقبله العقول، وفي مقدور رجال - أمثال زئو فانير - أن ينددوا بها وينبذوها. غير أن يوزيناس - حين طاف ببلاد اليونان بعد خمسة قرون من عهد أفلاطون - وجد الخرافات والأساطير التي كانت تثير الحمية في قلوب الأهلين في عصر هومر لا تزال حيّة قويّة.

وإليك بعض التفصيل عن ذلك الحشد الكبير من الآلهة المصطنعة:

تنقسم آلهة يونان الأساطيرية إجمالاً إلى سبع مجموعات: آلهة السماء، وآلهة الأرض، وآلهة الخصب، والآلهة الحيوانية، وآلهة ما تحت الأرض، وآلهة الأسلاف أو الأبطال، والآلهة الأولمبية. وأما أسماؤها جميعاً فمما يشقّ على الإنسان ذكرها لكثرتها وتشعبها.

وقد أورد ول ديورانت شطراً من قصص هؤلاء الآلهة في كتابه «قصة الحضارة» مما يطول.



أما العبادات، فلم تكن الطقوس الدينية اليونانية أقل تنوعاً واختلافاً من الآلهة التي كانت تحتفل بها وتعظمها؛ فقد كانت للآلهة الأرضية طقوس حزينة يُسكن بها غضبها ويتقى شرّها. وكان للآلهة الأولمبية طقوس سارة كلّها ترحيب بها وتناء عليها. ولم تكن هذه وتلك تحتاج إلى كهنة يقومون بها، فقد كان الأب يقوم مقام الكاهن في الأسرة، وكان الحاكم الأكبر يقوم مقامه في الدولة.

أما مكان العبادة فيمكن أن يكون هو موقد النار أو موقد البلدية القائم في قاعة المدينة العامة، ويمكن أن يكون شقاً من الأرض يسكنه إله أرض أو هيكلًا لإله أولمبي. وكان حرم الهيكل مكاناً مقدساً، لا يعتدى عليه، يجتمع فيه العابدون، ويجد فيه اللاجئون مكاناً أميناً يجتمعون فيه ولو كانوا ممن ارتكبوا أشنع الجرائم.

ولم يكن الهيكل مكاناً لاجتماع المصلّين بل كانت بيت الإله، يُصب فيه تمثاله،

ويوقد أمامه ضوء لا ينطفئ أبداً. وكثيراً ما كان الناس يعتقدون أن الإله هو التمثال نفسه، ولذلك كانوا يعنون بغسله وكسوته وإحاطته بكثير من ضروب الرعاية. وكانوا أحياناً يؤنبونه إذا أهمل أمرهم. وكانوا يقصون على من يستمع إليهم كيف تصبب التمثال عرقاً في بعض الأحيان أو كيف بكى أو أغمض عينيه.

وكان الاحتفال الذي يقام في تلك الهياكل يتألف من موكب وأناسيد وقربان وأدعية، يضاف إليها في بعض الأحيان وجبة مقدّسة. وقد يشمل الموكب سحراً ومنتعات وجماهير من الممّتلين يعملون مجتمعين، ومسرحية تمثيلية... إلى آخر التفاصيل التي ذكرها أول ديورانت.



وأما الخرافات، فقد كان بين قطب الدين اليوناني الحلوي والسفلي، الأولمبي والأرضي، بحر يزخر بالسحر والخرافات والأباطيل. وكان من وراء عباقرة معروفين، وكان من ورائهم جمهرة الشعب من الثغراء والسذج الذين لم يكن الدين في نظرهم إلا شراكاً من الخوف لا سماً للأمان. ولم يكن اليوناني العادي يكتفي بتصديق القصص التي تروي المعجزات، كعود منسيوس من بين الموتى ليحارب في مرتون، أو تحويل الماء إلى خمر على يد ديونيس، بل أن في وسع الإنسان أن يذهب إلى أبعد من هذا، فيتغاضى عن حرص أثينة على أن تأوى فيها عظام تسيوس، وحرص لسيارطة على أن تسترد من تيجيا عظام ارستيز. فقد يكون ما يعزوه الحكام لهذه الآثار من قدرة على فعل المعجزات، جزءاً من فن الحكم وأساليبه. أما الذي كان ينبخ بكلكله على اليوناني الصالح فهو الأرواح المحتشدة من حوله التي يعتقد أنها متأهبة على الدوام لأن تعرف محباته، وأن تتدخل في شؤونه وتلحق به الأذى. وأن في مقدورها أن تفعل به هذا كله، وكانت هذه الشياطين (الأرواح الخبيثة) لا تنفك تعمل لأن تنقمه، وكان عليه أن يحذرهما ويتقي أذاها على

الدوام، وأن يقيم الاحتفالات السحرية ليطردها بها.



وأوشكت هذه الخرافات أن تكون علماً من العلوم الطبيعية، وكانت إلى حدّ ما سوابق لنظرية الجراثيم التي نعرفها اليوم. فقد كان معنى الأمراض جميعها عند اليوناني أن المريض قد حلّ فيه روح غريب. وأن من يلمس الشخص المريض يعدى بقذارته أو «يلبسه ذلك الروح الغريب نفسه». وليست المكروبات والبكتريا إلا صوراً جديدةً شائعةً لما كان اليونان يسمونه كريس أو الجنّ الصغيرة. ومن ثمّ كان الميت «نجساً» لأنّ الجنّي قد استحوذ عليه كلّ الاستحواذ. وكان اليوناني إذا خرج من بيت فيه ميت رشّ نفسه بالماء من إناءٍ يوضع لهذا الغرض عند باب البيت. وذلك لكي يطرده من جسمه الروح الذي غلب الميت على أمره.

وكان الجماع من أسباب النجاسة، كولادة الطفل أو التئام (ولو كان غير متعمد). وكان الطفل المولود نفسه نجساً، ولم يكن الجنون إلا حلول روح غريب في جسم المصاب به، وكان يقال: إنّ المجنون قد خرج عن نفسه وكان لابد في هذه الحالات من القيام باحتفال يظهر فيه الشخص النجس.

وكانت المنازل والهياكل والمدن بأجمعها في بعض الأحيان تظهر بالماء أو الدخان، وكان وعاء به ماء نظيف يوضع عند مدخل كلّ هيكل، حتّى يظهر به نفسه كلّ قادم للتعبّد، أو لعلّ هذا الدعاء كان رمزاً يوحي إلى الناس بضرورة التطهّر.

وكان الكاهن نفسه خبيراً بأصول التطهير، وكان في مقدوره أن يطرده الأرواح الشرّيرة من الأجسام بالضرب على إناء من البرنز، أو بقراءة العزائم، أو بالسحر أو الصلاة. وحتّى قاتل النفس عمداً كان يمكن تطهيره إذا أجريت له الطقوس والمراسم الملائمة. ولم تكن التوبة ضرورة محتومة في مثل هذه الأحوال، بل كلّ ما كان يحتاجه المتطهّر هو أن يتخلّص من الشيطان الشرّير الذي تقمصه، وذلك لأنّ المدين لم يكن أمر أخلاق عند

اليونان بقدر ما كان فتناً لمعالجة أمور الأرواح.

يقول ثيموفراستوس في كتابه «الأخلاق»: يبدو أن الإيمان بالخرافات ضرب من الجبن وخور العزيمة أمام القوة الإلهية. إن الرجل المخرف لا يخرج من داره أو النهار إلا بعد أن يغسل يديه ويرش نفسه بالماء من العيون التسع، ويضع في فمه قطعة من ورقة شجرة في معبده، فإذا ما اعترضت طريقه قطعة لم يواصل السير حتى يمرّ به إنسان آخر، أو يقذف بثلاثة أحجار في الشارع. وإذا أبصر أفعى في بيته وكانت من النوع الأحمر استنجد بديونيسس. أما إذا كانت أفعى مقدّسة فإنه يقيم لها ضريحاً من فوره في البقعة التي أبصرها فيها. وإذا مرّ بحجارة ملساء مقامة في مفرق الطرق صبّ عليه الزيت من قنينته ولم يواصل السير في طريقته إلا بعد أن يركع له ويتعبّد. وإذا قرص فأر جعبة طعامه توجه إلى الساحر وسأله ماذا يفعل. وإذا وقعت عينه على رجل مصاب بالجنون أو بالصرع ارتجف وبصق على صدره...^١

... إلى غيرها من خرافات وثوهم كانت تعتمده اليونان في عهد طويل، ولاتزال حتى ظهور الإسلام في الجزيرة باقية على قوتها وسيطرتها على النفوس.

القرآن في تشريعاته الراقية

قد أسلفنا أن تشريعات القرآن جاءت متوافقة مع الفطرة السليمة ومتلائمة مع العقل الرشيد، لا تشوهها نزعات بشرية هابطة ولا تكدرها خصائص إنسانية مبتذلة.

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَنَحْنُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»^١

وقد ثبت في علم الكلام أن الأحكام الشرعية أطراف في الأحكام العقلية. ومعنى ذلك أن ما حكم به الشرع فقد حكم به العقل، أي إنما يحكم الشرع بما كان العقل حاكماً بذاته لو خلّي وطبعه.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا جَاءَ الْأَنْبِيَاءَ لِيُنِيرُوا دِفَائِنَ الْعُقُولِ، أَي لِيُبَدِّدُوا مَا كَانَ مَخْتَبِئاً فِي زَوَايَا الْعُقُولِ».

قال عليه السلام: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ فِطْرَتَهُ وَيَذَكِّرُوا مِنْهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالشَّبْلِيعِ، وَيَشِيرُوا إِلَيْهِمْ دِفَائِنَ الْعُقُولِ»^٢.

وهكذا ذكر الإمام المکاظم موسى بن جعفر عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ حَجَّتَيْنِ، حِجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحِجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأُمَّمَةُ عليهم السلام، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ»^٣.

١ - نهج البلاغة: الخطبة الأولى، ص ٤٣.

٢ - الترمذ ٣٠٠، ٣٠١.

٣ - التذافي، ج ١، ص ١٦٦، ح ١٢ من كتاب العقل.

فالشريعة إنما جاءت بما يحكم به العقل الرشيد، ويتوافق مع النظرة السليمة.



ومن جهة أخرى، كانت القوانين الإلهية جامعة وشاملة للجوانب الثلاثة في حياة الإنسان، والمرتبطة بعضها مع البعض - حسبما مرّت الإشارة إليه - وهي: جانب الفرد ذاته، وجانب المجتمع الذي يعيش فيه. وجانب حقّ الله في الخلق، والذي ضمن للإنسان كرامته في الحياة، وحبّب إليه عواطفه النبيلة مع بني نوعه العائش معهم، تلك جوانب الحياة الإنسانية الراقية، التي ضمنها القوانين الإلهية، والتي اعوزتها أو افتقدتها سائر القوانين. وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

قال تعالى بشأن شريعة التصاص: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ نَهْ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِإِنْعَادٍ وَأَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ».

في هذه الآية - بل في هذا التشريع العادل - نكات ودقائق ظريفة؛ أولاً: إن في شريعة القصاص ضماناً للحياة وإبقاءً عليها، وليس تكثيراً في القتل كما يتوهمه القاصرون.

ثانياً: ضمان العدالة الاجتماعية في التعادل بين أوصاف الإنسان، فلا يقتل حرٌّ بعبد، ولذا ذكر بأنّي إلا بعد دفع التفاوت، وفي شرائط خاصة محرّرة في النقه.

ثالثاً - وهو عمدة النظر هنا - جانب رعاية الأخوة الإنسانية الكاملة وراء كل تشريع إلهي عرضه الإسلام. فالقانون - مهما كان - لا مرونة فيه ولا عطفة، إلا إذا كان ناشئاً عن واقع الإنسان النابع عن كرامته وفضيلته في هذه الحياة.

والذي نجد في قوانين الشريعة التي عرضها القرآن: أن لأولياء الدم حقّ مطالبة القصاص، ولكن لافي جفاء - «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ

إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا». وله العفو عن القصاص تنازلاً إلى الدية، وهذا تخفيف من الله ورحمة بالعباد.

والنكته هنا أنه تعالى جعل العفو منسوباً إلى الأخ، وقد عبّر عن وليّ الدم - وهو الثائر بأحاسيسه دفاعاً عن حقّ المقتول - بالأخ الكريم، إتارة لحواظفه الإنسانية النبيلة، فلا يشور مشار العدو اللدود، وإنما هو أخ وابن أخ كريم. ثم لا يذهب عن القاتل، أن الذي عفا عنه إنما هو أخوه وإنما عفا عنه لمكان أخوته، فلا يجفون بشأنه في أداء الدية إليه بإحسان. كما لا يجفون وليّ الدم في مطالبة الدية، وإنما يطالبه عن رفق ومداراة، لأنه إنما عفا عنه لأنه أخوه.

فهنا جاءت قضية الأخوة الإنسانية فضلاً عن الأخوة الإسلامية، هي الفاصلة في الأمر والمستدعية لانتهاه الأمر بسلام، فلا خصومة بعد ذلك ولا تجافي عن المحقوق. والقرآن في هذا المجال كأنما أخذ موضع الحياد من القضية، وإنما أوكلها إلى جانب من حياة الإنسان الرقيقة، هي جانب أخوته وكرامته وفضيلته، فهو الذي يحدو به إلى هذا المجال من الكرامة الإنسانية النبيلة وإن كان القرآن هو الذي أثار فيه هذه العاطفة، وساقه إلى هذا السبيل الرشيد.

فمتى قبل وليّ الدم الدية بدل القصاص ورضيه فيجب إذ أن يظلمه بمعروف ورضاً ومودة. ويجب على القاتل أن يؤذيه بإحسان وإجمال وإكمال، تحقيقاً لصفاء القلوب وشفاء لجراح النفوس، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء.

وقال بشأن اليتامى:

«وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْاٰخْتِيَاٰتِ بِاٰنطِيْبٍ وَلَا تَأْكُلُوْا اَمْوَالَهُمْ اِلَىٰ اَمْوَالِكُمْ اِنَّهٗ كَانَ حُوْبًا كَبِيْرًا - اِلَى قَوْلِهٖ: - وَابْتَلُوْا الْيَتَامَىٰ حَتّٰىٰ اِذَا بَلَغُوا النُّكٰاحَ فَاِنْ اٰتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوْا اِلَيْهِمْ اَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوْهَا اِسْرَافًا وَّيَدَارًا اَنْ يَّكْبُرُوْا وَاَمَنْ كَانَ عَنِيْبًا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ

كَانَ فَقِيْرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا - إِلَى قَوْلِهِ: - وَلِيَحْشَ الْأَذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا».

انظر إلى دقة تعابير القرآن الواردة في هذه الآيات:

إنها توصيات مشددة بما كان واقعاً في الجاهلية العربية من تضييع لحوق الضعاف بصفة عامة، والأيتام والنساء بصفة خاصة. هذه الرواسب التي ظلت باقية في المجتمع المسلم حتى جاء القرآن يذيبها ويزيلها، وينشئ في الجماعة المسلمة تصورات جديدة ومشاعر جديدة وعرفاً جديداً وملاحم جديدة.

«وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب».

أعطوا اليتامى أموالهم التي تحت أيديكم، ولا تعضوهم الرديء في مقابل الجيد، كأن تأخذوا أرضهم الجيدة وتبدلوهم منها من أرضكم الرديئة، أو ماشيتهم أو أسهمهم أو نقودهم، أو أي نوع من أنواع المال فيه الجيد والرديء، وكذلك لأن كلوا أموالهم بضمها إلى أموالكم، كلها وبعضها، إن ذلك كان ذنباً كبيراً، والله يحذركم من هذا الذنب الكبير.

فقد كان هذا كله يقع إذاً في البيئة التي حوِّطت بهذه الآية أول مرة. فالخطاب بشيء بأنه كان موجهاً إلى مخاطبين فيهم من يقع منه هذه الأمور، وهي من أتر مصاحب من آثار الجاهلية، وفي كل جاهلية يقع مثل هذا.

قال سيد قطب: ونحن نرى أمثاله في جاهليتنا الحاضرة في المدن والقرى، وما تزال أموال اليتامى تؤكل بشئ الطرق وشئ الحيل، ومن أكثر الأوصياء بل الأولياء، على الرغم من كل الاحتياطات القانونية، ومن رقابة الهيئات الحكومية المختصة للإشراف على أموال القصر، بل الغيب أيضاً.

فهذه المسألة لا تفلح فيها التشريعات القانونية، ولا الرقابة الظاهرية كلا، لا يفلح فيها إلا أمر واحد وهو التقوى من الله، فهي التي تكفل الرقابة الداخلية على الضمائر، فتصبح للتشريع قيمته وأثره.

كما وقع بعد نزول هذه الآيات، إذ بلغ التحرج من الأوصياء أن عزلوا مال اليتيم عن أموالهم، وعزلوا طعامهم عن طعامهم، مبالغاً في التحرج والتوقي من الوقوع في الذنب العظيم.

إن هذه الأرض لا تصلح بالتشريعات والتنظيمات ما لم يكن هناك رقابة من التقوى في الضمير لتنفيذ التشريعات والتنظيمات. وهذه التقوى لا تجيش - تجاه التشريعات والتنظيمات - إلا حين تكون صادرة من الجهة المطلعة على السرائر، الرقبية على الضمائر، عندئذ يحس الفرد - وهو يهيم بانتهاك حرمة القانون - أنه يخون الله ويعصي أمره ويصادم إرادته! وأن الله مطلع على إرادته وعلى نيته هذه وعلى فعله وعمله هذا، وعندئذ تتزلزل أقدامه وترتجف مفاصله وتجيئ تنبؤاته.

إن الله أعلم بعباده وأعرف بظنراتهم وأخبر بتكوينهم النفسي والعصبي - وهو خلقهم - ومن تم جعل التشريع تشريعاً والقانون قانوناً والنظام نظاماً والمنهج منهجاً، ليكون له في القلوب وزنه وأثره ومخافته ومهابته، وقد علم سبحانه أنه لا يطاع أبداً شرعاً لا يرتكن إلى هذه الجهة التي تخشاها وترجوها القلوب، وتعرف أنها مطلعة على خفايا السرائر وخبايا القلوب. وأنه مهما أطاع العبيد تشريع العبيد تحت تأثير البطش والإرهاب والرقابة الظاهرية التي لا تطلع على الأفئدة فإنهم ممثلون منها كلما غافلوا الرقابة، وكلما واتتهم الحيلة مع شعورهم دائماً بالتهر والمكبت والتهيو للانتفاض.

«وَيَخْشَى الَّذِينَ نُو تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ...».

وهكذا تسمى الملمسة الأولى شغاف القلوب، قلوب الآباء المرهفة الحساسة تجاه ذريتهم الصغار. بتصور ذريتهم الضعاف مكسوري الجناح، لا راحم لهم ولا عاصم، كي يعطفهم هذا التصور على اليتامى الذين وكّلت إليهم أقدارهم، بعد أن فقدوا الآباء. فهم لا يدرون أن تكون ذريتهم غداً موكولة إلى من بعدهم من الأحياء، كما وكّلت إليهم أقدار

هؤلاء.

مع توصيتهم بتقوى الله فيمن ولاهم الله عليهم من الصغار، لعل الله أن يهتئ لصغارهم من يتولى أمرهم بالتقوى والتحرّج والحنان.

* * *

«إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا». وهذه هي اللمسة الأخرى، صورة مفرغة، صورة النار في البطن، وصورة السعير في نهاية المطاف. إن هذا المال، نار، وإتهم ليأكلون هذه النار، وإن مصيرهم لا إلى النار. فهي النار تشوي البطن وتشوي الجلود، هي النار من باطن وظاهر، هي النار مجتمعة حتى لتكاد تحسها البطن والجلود، وحتى لتكاد تراها العيون، وهي تشوي البطن والجلود.

ولقد فعلت هذه النصوص القرآنية - بإيحاءاتها العنيفة العميقة - فعلها في نفوس المسلمين، خلصتها من رواسب الجاهلية. هزتها هزة عنيفة ألقت عنها هذه الرواسب، وأشاعت فيها الخوف والتحرّج والتقوى والحذر من المساس - أي مساس - بأموال اليتامى. كانوا يرون فيها النار التي حدّثهم الله عنها في هذه النصوص القويّة العميقة الإيحاء. فعادوا يجفّلون أن يمسوها، ويبالغون في هذا الإجفّال.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه وشرايه من شرايه، فجعل يفضل الشيء، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك عليهم. فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله:

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَافُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ»^١.

فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرايهم بشرايهم.^٢

وكذلك رفع هذا المنهج القرآني هذه الضمائر إلى ذلك الأفق الوضي - وطهرها من غبش الجاهلية ذلك التطهير العجيب.

١ - آية ٢: ٢٦٠.

٢ - راجع مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٦٧. عند تفسير الآية رقم ٢٦٠ من سورة البقرة، وجامع البيان لتطري، ج ٢، ص ٢٦٧.

عبادات الإسلام

لقد أضاف الإسلام إلى مفاهيمه عن الوجود وعن المبدأ والمعاد واجباتٍ دينية عملية، هي فرائض وعبادات وطقوس دينية، بغية المحافظة على تلك الروح الدينية الوفاة عند المسلمين. وأهم هذه الواجبات أو أركان الإسلام العبادية هي: الصلاة والصيام والحجّ والزكاة أو الصدقات عمومها.

إن وعي النفس البشرية وإدراكها لوجود قوة عظيمة شاملة، وشعور الإنسان بعجزه وقصوره في نفسه، إلى جنب غريزة الميل إلى الكمال، كل ذلك يجعل العاطفة متدفقة من قلبه على شكل كلمات وتعابير طافحة بالحب والشكر - إن ساعده الحظ - أو بالندم والحسرة على ما فرط منه، نحو تلك القدرة الكاملة ذات العطف والرحمة الشاملة.

هذه طبيعة الإنسان الجائشة بالحب والحنان.

وما الصلوات والأدعية والأذكار سوى صور مجسدة لتلكم العواطف النبيلة التي تنعم القلب البشري، وما كل هذه العواطف والأحاسيس إلا نتيجة لسمو أعلى. ولهذا نرى أن كل دين فيه بعض العناصر العضوية قد عرف - بشكل أو آخر - أهمية الصلاة والمدعاء، وفعاليتها. ويطغى العنصر اللاهوتي المعنوي على العنصر المادي في أكثر الديانات.

فالعبادة القديمة عند الهندوس متلا كانت مؤلفة من مجموعتين من الأفعال: النهارية والقرابين، ترافقهما مجموعة معقدة من الأدعية والاستشارات.

أما الزرادشتي فكان يعيش في جو من الأدعية الكثيرة. فالزرادشتي الورع يكون يصلي عندما يحضس أو يقلم أظناره أو يقص شعره، وهو يتعبّد عندما يعدّ وجبات طعامه سواء في الليل أو في النهار. وعند إشعال الفوانيس... إلخ.

وجاءت شريعة موسى، فكانت خلواً من كل حدود تتعلق بموضوع الأدعية والصلوات. أمّا واجبات الشريعة ونواهيها فهي تخص ضرورة دفع الأعشار إلى الكهان. وضرورة الرزانة والوقار أثناء تقديم نتاج الحيوان الأول للإله أي في أول عجل تلهه

البقرة وأول جدي من نتاج الشاة وغيرها). وكانت لتلك الحفلة دعاء خاص يتضمّن الاعتراف بمتطلبات الناموس. وكانت التقاليد والأعراف - لعدم وجود أية تعليمات عن ذلك في الناموس - هي التي جعلت اليهود متأخراً قوم صلاة ودعاء، ومن تمّ كانت مجرد تلفظ عبارات فارغة لا روح فيها ولا خشوع. وكان بيع بركة الله والمتاجرة بغفرانه على أيدي الكهّان متعارفاً بين اليهود، والقرآن الكريم يوثق اليهود توبيخاً شديداً لأنهم كانوا يبيعون آيات الله^١.

وجاء المسيح عليه السلام فكانت تعاليمه تمثّل تطوراً أحدث وتطوراً في الغريزة الدينية عند الإنسان، ولذلك قدّرت طبيعة الدعاء واعترفت بالصلاة اعترافاً كاملاً. وقد كرّس جهوده على ذلك بأن جعل نفسه المثال الأول، وكان تلاميذه الأولون خضوعاً لروح معلّمهم الأكبر، يشدّدون على التعلّق بالله والاعتراف بفضلته وشكره عليه. ولكن عدم وجود قاعدة محدّدة لإرشاد العاصّة تركهم مع مرور الزمن يتعدون ابتعاداً كاملاً عن هدى معلّمهم، كما جعلهم يضلّون الطريق فيما يختص بجميع قيم الصلوات. ومن تمّ تولّد من ذلك الخضوع إلى الكهّان، فاحتكر هؤلاء في أيديهم وظيفة تحديد عدد الصلوات وطول الأدعية وكلماتها. ومن هنا نشأت تلك العبادات الميكانيكية للمرهان الفاقدة للروح. كما تولّد ذلك الزحف العام إلى الكنائس والأديرة في يوم واحد من الأسبوع بغية المزيد من الغذاء الروحي، ولكن من غير جدوى.



كلّ هذه المساوئ والمفاسد العبادية قد تراكمت بعضها فوق بعض في مطلع القرن السابع للميلاد، حين أخذ نبيّ شبه الجزيرة العربية يدعو قومه ويبيّش بدين معدّل جديد. وقد سنّ نبيّ الإسلام الأدعية وفرض على أتباعه الصلوات بصورة نزيهة وطاهرة ومصنّية للنفوس، وبذلك نراه قد اعترف بذلك الشوق الروحي في الإنسان لكي يفيض حبّها المتدفّق وتعبّر عن امتنانه لله بأجلى الكلمات وأحلى التعابير.

١ - راجع الآية ٤١ و ٤٩ من سورة البقرة، والآية ٦٧ و ٦٩ من سورة آل عمران، والتوبة ٩: ٩، والتعل ١٦: ٩٤ وغيرها.

وبجعل الإسلام الممارسة الدينية لدى المسلمين ذات فترات محددة نجده قد عمق تأثير الطبيعة النظامية فيهم. وترك للمتعبد أوسع مجال لأن يفيض عواطفه وأحاسيسه العميقة، ويظهر ذلك وخضوعه أمام الوجود الكامل والمؤثر الأول في الخليقة. وقد جعل من الصلاة قيمتها كوسيلة للسمو الأخلاقي وسبيلاً سوياً لتنظيف القلب البشري من أدرانته. وقد حظيت بتقدير كبير وحفاوة في القرآن الكريم:

«مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ...»^١

«إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»^٢

«أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُنُوكِ النَّسْمِ إِلَى عَسَقِ النَّبْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»^٣

«وَمِنَ النَّبْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً»^٤

«إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً»^٥

«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^٦

«وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ»^٧

«وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُتْعًا مِنَ النَّبْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ»^٨

والصلاة قبل كل شيء طهارة للقلب من الأدران والتذارات:

قال رسول الله ﷺ: لو كان على باب دار أحدكم نهر فاغتسل في كل يوم منه خمس مرات أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟... قال: فإن مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، كلما صلى العبد صلاة كثرت ما بينهما من الذنوب^٩.

وفي الصلاة ممارسة العبودية والتذلل لله تعالى والاعتراف بعظيم سلطانه.

١ - التيسرة ٩٨: ٥

٢ - الإسراء ١٧: ٧٨

٣ - النساء ٥: ١٠٤

٤ - البقرة ٢: ٤٥

٥ - الإسراء ١٧: ٧٩

٦ - البقرة ٢: ٢٣٨

٧ - هود ١١: ١١٤

٨ - وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٢ حديث ٣

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: إِنَّ عِلَّةَ الصَّلَاةِ نَهَا إِقْرَارَ بِالرَّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَلَعَ الْأُنْدَادَ، وَقِيَامَ بَيْنَ يَدَيْ الْعَجَبَارِ جَلَّ جَلَالُهُ بِالْمَذَلِّ وَالْمَسْكِنَةِ وَالْخُضُوعِ وَالْاعْتِرَافِ، وَالطَّلِبِ لِلْإِقَائَةِ مِنَ سَائِلِ الذُّنُوبِ، وَوَضَعَ الْوَجْهَ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ إِعْظَامًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا غَيْرَ نَاسٍ وَلَا بَطْرٍ، وَيَكُونَ خَاشِعًا مَتَذَلِّلًا رَاغِبًا، طَالِبًا لِلزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِيجَابِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِئَلَّا يَنْسِيَ الْعَبْدَ سَيِّدَهُ وَمُدَبِّرَهُ وَخَالِقَهُ، فَيُطْرَقَ وَيَطْغَى، وَيَكُونَ فِي ذِكْرِهِ لِرَبِّهِ وَقِيَامِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ زَجْرًا لَهُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَمَنْعًا لَهُ عَنِ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ.^١

وفي ذلك يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ تَرَكَوا بَغَيْرَ تَنْبِيهِ وَلَا تَذْكَيرٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَكْثَرِ مِنَ الْخَيْرِ الْأَوَّلِ وَبَقَاءِ الْكِتَابِ فِي أَيْدِيهِمْ فَقَطَّ لَكَانُوا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا اتَّخَذُوا دِينًا، وَوَضَعُوا كِتَابًا، وَدَعَاوُا أَنَا سَاءً إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَدَرَسَ أَمْرُهُمْ وَذَهَبَ حِينِ ذَهَبُوا، وَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَنْسِيَهُمْ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ، يَذْكُرُونَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، يَنَادُونَ بِاسْمِهِ وَتَعْبُدُوا بِالصَّلَاةِ وَذَكَرَ اللَّهُ لَكُمْ لَا يَغْفُلُوا عَنْهُ فَيَنْسُوهُ فَيُدْرَسَ ذِكْرُهُ.^٢

مرآة حقايق في معرفة أسرار

إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَعْتَرَفُ بِطَبَقَةِ الْكَهَنُوتِ، وَلَا يَسْمَحُ بِاحْتِكَارِ الْمَعْرِفَةِ، وَهُوَ لَا يَرْضَى بِالْقُدَّاسَةِ الْخَاصَّةِ تَتَوَسَّلُ فِي الْعِبَادَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَرُوحَ كُلِّ فَرْدٍ كَفِّهِ لِأَنَّ تَنَاجِي بَارِيهَا، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَائِمِينَ».^٣

إِنَّ الْإِسْلَامَ يَحِيلُ التَّعْبَادَةَ الْعَلِيَا فِي عِبَادَاتِهِ مَتَجَسِّدَةً فِي الرُّوحِ دُونَ الْهَيْكَلِ الْجَسَدِيِّ الْفَارِغِ.

«لَيْسَ أَنْبِيٌّ أَنْ تَوَنُّوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ أَنْبِيًّا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاتَّبَعَهُ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ

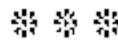
٢ - المصدر، حديث ٨.

١ - المصدر، ص ٩، ح ٧.

٣ - آية ٢: ٢٤٨.

وَابِنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمَوْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»^١.

وقد أعلن أن الصلاة دون حضور القلب لا جدوى منها، وأن كلمات الله التي وجهها إلى الناس كافة لا إلى شعب بمفرده يجب أن تتم دراستها بالقلب والشفقتين في انسجام تام، وأن يصدق العمل الصالح في وثام، ومن ثم اعتبر طهارة الثوب والبدن - إلى جنب طهارة النفس بالوضوء والاعتسالم - والتقرب إلى رضوانه تعالى، الأمر الذي يختلف تمام الاختلاف عن الصلوات في سائر الأديان.



أما تشريع الصيام فقد وجد بأشكالٍ أخرى بين سائر الأمم. بيد أنه يمكن القول بأنه طوال التاريخ القديم ظلّت فكرة الصيام تقوم على أساس الندم ومعاقبة النفس، لاعلى أساس الترفع عن مهابط المادّة، كما في الإسلام. نعم، ظلّ الميل إلى قبول فكرة الصيام على أنها كبت للشهوات النفس متأخراً، وكانت طائفة من اليهود (الاسينيون) - نتيجة لاتصالهم بالفيثاغوريين، وعن طريق هؤلاء، اتصلوا برهد الشرق الأقصى ونسكده - استطاعت أن تدرك العنصر الأخلاقي في مبدأ الصيام.

كما أن الفكرة السائدة في المسيحية فيما يتعلق بالصيام فكرة عادة تعود في أصلها إلى العقوبة والتكفير. وقد ظلّ التعذيب الجسدي التطوّعي يتكرّر في الكنيسة المسيحية كما هو في الكنائس الأخرى. ولكن ميل هذا الأذى كان يتّجه دائماً نحو تحطيم الطاقات الجسدية والملكات العقلية من أجل تغذية الصوفية الحالمّة والزهد الخانع المذليل.^٢

أما تقرير فرض الصيام في الإسلام فهو على النقيض من ذلك. إن الهدف الأساسي من تشريعه هو كبح جماح الشهوات، والترفّع لفترة معينة من الوقت عن جميع لذائذ الحواس، وكذا توجيه حصر النشاطات البهيمية في النفس البشرية

٢ - راجع: روح الإسلام لتسيد مير علي، ص ١٩٦.

١ - آية ٢: ١٧٧.

نحو تصعيد سليم. إن إنزال الأذى غير الضروري والذي لا طائل تحته بالجسد مكروه في نظر الإسلام، بل إنه محرّم، والصيام مفروض على الأصحاء القادرين، كوسيلة لتقيد الروح بفرض حدود معينة للجسد.

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ. أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن نَّصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَتَعْلَمُونَ».

فالصوم إنما شرع لأجل زرع فضيلة التقوى في النفوس، في أيام معدودات، سوى المريض والمسافر، والسوى من يبلغ غاية طاقته. نعم، الصوم تطوُّع بالخير، فمن تطوَّع خيراً فهو خيرٌ له، خيرٌ لنفسه وخيرٌ لمجتمعه وخيرٌ للناس أجمع. إن الله لا يريد عسراً بالعباد ولا زجراً للنفوس، وإنما هو تكميل لمراتب كمال النفس وتربيتها على الترويض عن مهابط اللذائذ الخسيسة، وإكثار وإعظام بمقامه تعالى، شكراً على جزيل نعمائه. نعم، لاشك أن أولئك الذين قد اطلعوا على شيء من تبدل الاغريق والرومان والفرس وعرب الجاهلية وإغراقهم في إشباع شهواتهم و تردّيهم في رذائلهم، سيقدِّرون قيمة الصيام ويدركون حسن تكييفه في شريعة الإسلام. ولا بدّ للمنصفين فيهم أن يعترفوا بحكمته طريفاً للحدّ من الغرائز الحيوانية عند الإنسان، الأمر الذي امتاز به الإسلام على سائر الأديان.

وليس هنالك دين قبل الإسلام في العالم، كرّس الصدقة، وإعالة اليتيم والأرملة والعاجز الضعيف، بأن شرع مبادئه فجعل تلك الأعمال إيجابية أساسية في أركانه. لقد كانت أعياد «الأغابي» أو ولاءم الصدقة بين المسيحيين تعتمد على مشيئة الأفراد - كيف يقيمونها وينفقون على الضعفاء - ومن تمّ كان تأثيرها غير منتظم ولا شافياً.

وكانت قضية تحوّل هذه الأعياد غير المنتظمة إلى لاشيء ثم اندثارها وزوالها بعد اشتراعها بفترة وجيزة، قضية زمن لأكثر.

وذلك على خلاف ما جاء في الإسلام، حيث يكون كل فرد مسلم تربيّاً نسبياً - بحكم القاعدة الشرعية - ملزماً بأن يساهم بقدر معين في قسط من أمواله في مساعدة إخوانه الفقراء. هذا بالإضافة إلى ما يخرج به رب الأسرة في كل يوم عيد الفطر من الزكاة عن أهله بقدر معين من الطعام والأرزاق إلى الفقراء. وهكذا الفريضة السنوية في أرباح المكاسب، وغير ذلك ممّا فرضه الله في أموال الأغنياء لمساعدة الفقراء.

قال سيّد مير عليّ الهندي: بهذا زها مجد الإسلام، حين جسّد مشاعر المسيح وكساها لحماً ودماً بأن جعلها قوانين صارمة محدّدة.



أمّا الحكمة التي تتضمنها تلك العادة التي أرساها الزمن - وهي عادة الحجّ السنوي - فقد ظهرت في الإسلام نوعاً من الرأفة الأخوية الحرّة في الدين، بالرغم من اختلاف الشيع والطوائف والانشقاقات. وحين تكون جميع العيون متّجهة نحو بقعة مركزية هي مكة المكرمة والبيت العتيق فإنّ تلك الحالة تبقى متوهّجة في فؤاد كلّ منهم في ظلال ذلك النور المقدّس الذي بدّد ظلمات التاريخ في ذلك القرن.

والحقّ أنّ الإسلام لم يعرف أيّة عبادة من شأنها أن تشوّش الفكر فيما يتعلّق بوحدانية الله، كما أنّه لم يعرف أيّ تشريع من شأنه أن يعيق تطوّر ضمير الإنسانية أو يخالف فطرته. ليس الدين نظرية غريبة، شأنها إدخال الرضا والسرور في نفوس أصحاب العتول الحاكمة. إنّ الدين قانون للحياة، وهكذا ينبغي أن يكون. أمّا فرضه فهو الارتقاء بالإنسانية إلى مدارج الكمال الذي هو غاية الوجود.

ولهذا السبب فإنّ الدين الذي يقيم المبادئ الخلقية الرئيسية على أساس قواعد راسخة منظمّة، كما ينظّم العلاقات الاجتماعية ووشائج القرابة الإنسانية، والذي يقرب الإنسان أكثر فأكثر - عن طريق تمثّيه مع تطوّر العتق - نحو الإنسان الكامل، ذلك الدين

لا شك أنه خليق بأن يحظى بالتقدير والاحترام، وهو دين الإسلام.
 وإنها لطبيعة مميزة في الإسلام - كما دعا إليه صاحب الشريعة - إنه يضم في ذاته أنبل
 المظاهر في الديانات العقلية السماوية، وخصوصاً تلك التي تتفق مع العقل والتهديب
 الأخلاقي في الإنسان. وليس الإسلام مجرد نظام ذي قواعد أخلاقية إيجابية تقوم على
 أساس الإدراك الصحيح للتقدم البشري فحسب، بل إنه تقرير بضعة مبادئ رفيعة، وتأكيد
 على أشكال سليمة من التصرف، وترقية خيرة لطاقة العقل التي هي الضمير الحي في الإنسان.
 أما قابلية المفاهيم الإسلامية للتكيف حسب العصور والأمم، وانسجام تلك
 المفاهيم المتساوقة مع روح العقل، وانعدام التواعد الغامضة التي تلقى ظلاً مشبوهاً على
 الحقائق المتضمنة في قلب الإنسان، فكل ذلك يثبت أن الإسلام مثل أحدث وأرقى تطوّر
 في العريضة الدينية عند الإنسان.

ولا نعدو الحقيقة حين نجزم بأن شريعة الإسلام وحدها بين جميع الشرائع الأخرى
 تجمع ما بين المفاهيم التي ساعدت على تكوين السلوك القويم في النفس البشرية في
 مختلف العصور، وبين قيمة النفس الإنسانية التي كانت تحظى بتقدير كبير في الفلسفات
 القديمة.

والحقيقة أن الاعتقاد بمحاسبة الإنسان على كل عمل يأتيه «ما لهذا الكتاب لا يعادِرُ
 صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظنُّم ربُّك أحداً»^١
 إن هذه العقيدة تدفع المسلم إلى الاتزان في سلوكه، كما يعمق في نفسه جذور
 العاطفة وحب الخير العام.

أما الاعتقاد بالعناية الربانية والرحمة والحب وقدره الله المطلقة فهو يؤدي به إلى
 الخضوع أمام ربه العليّ القدير، ويجعله يمارس تلك الفضائل البطولية التي نشأ عنها ما
 يرمي به المتعصبون ضد الإسلام من أنه دين زهد وتشف، وكذلك قولهم: إنه يعتمد على
 الصبر والاعتزال والشدة في تجربة النفس، والإسلام يجعل المرء يحاسب ضميره بشدة

وقلق، ويلزمه أن يدرس الدوافع التي تتحضر في نفسه بكلّ عناية وحذر. إنه يجعله أن لا يثق في قوته الشخصية، بل يعتمد على عون الله في الصراع الذي ينشب بين الخير والشر في نفسه «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» «بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَقُومُ وَأَقْعُدُ» كلام يقوله متكرراً في صلاته اليومية.

هكذا جاء القرآن بهكذا مفاهيم رقيقة، هي منسجمة مع فطرة الإنسان وذهنيته عن الدين وعن شريعة السماء.

لقد كانت مفاهيم سائر الأديان - التي كانت رائجة ودارجة عهد نزول القرآن - والفروض التي نشأت عنها خالية من كلّ معنوية تجعلها قابلة للتطبيق، كما وأنها ناقصة الاطلاع والإحاطة بطبيعة البشر وذات فطرته الأولى، فأدى بها ذلك إلى أن تضم بين جوانبها كثيراً من حماس الحالمين وغموضهم. وكان من ذلك أن بقيت تلك المفاهيم وفروضها عديمة الجدوى في تجارب الحياة العادية وممارستها.

وإنها لتاعدة سليمة، تلك التي تقول: إن الطبيعة العملية في دين ما، وتأثيره الدائم على العلاقات العائمة بين البشر وشؤون الحياة اليومية، وقدرته على السيطرة على الجماهير، كل ذلك هو المحك الصحيح للحكم فيما إذا كان ذلك الدين عالمياً أم لا، الأمر الذي لانجده في أيّ دين من الأديان الراهنة سوى الدين الإسلامي، حسبما جاء به القرآن الكريم. انظر إلى هذه التعابير الرقيقة التي جاءت في القرآن - وكم لها من نظير - تتسجم مع روح المثالية والإنسانية العليا في البشرية:

«وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا. وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقُأْ نَقْءًا أُنَامًا. يَصَاعِقُ نَهْ أَنْعَادِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَحْتَدُّ فِيهِ مَهَانًا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا. وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا

بِالنُّعُو مَرُّوا كِرَامًا. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا. أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا»^١

هذه هي الحياة السعيدة التي يرسمها الإسلام لافي عالم الخيال، بل منسجماً مع حبّ النضيلة في الإنسان. إنها الحياة التي يحبّ الإنسان أن يعيشها، وقد مهّدها له الإسلام، وبالفعل قد تحققت، وهي صالحة للتحقق مهما حاول الإنسان البلوغ إليها عن جدّ ونشاط.

إنه دين العمل الرشيد والتفكير الصائب والكلمة الصالحة، كل ذلك مقاماً على صرح الحبّ المقدّس والخير الإنساني العام. أمّا تاجه الرفيع فعذالة وحرّية ومساواة، إنه مساواة الإنسان بالإنسان في نظر الخالق المتعالي.

«وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَهْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»^٢



قال سيّد مير علي: كان نجاح الإسلام في القرن السابع من النفرة المسيحية وانتشاره السريع المذهل على سطح المعمورة يعودان في أصله إلى حقيقة بسيطة، لقد اعترف بالحاجات الضرورية لطبيعة الإنسان. فالإنسان يمرّقه الصراع بين المذاهب والطوائف، عالم كانت الكلمة فيه أكثر أهميّة من الفعل، تقدّم الإسلام بأوامر إيجابية محضّة. ومن بين الحطام الاجتماعي الذي ولد فيه الإسلام طلع يهدف إلى تقوية عبادة «إرادة، ذات» ليعيد الإنسانية إلى ضرورة ملاحظة واجب من شأنه وحده أن يقود إلى تطوّر روحي. ونجح الإسلام، وبفضل نجاحه في رفع الشعوب الدنيا إلى مستوى خلقي رفيع، برهن ذلك الدين للعالم على حاجته إلى نظام إيجابي. لقد علم أقوامه الاعتدال والإحسان والعدل والمساواة، وقال: إن هذه أوامر الله، وكان تشديده على مبدأ المساواة بين المرء وأخيه

وميو له الاعتدالية تمثل الطور الفكري الذي تنفس على شيطان بحيرة طبريا في الجليل.^١
 «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُشْرِكُونَ»^٢.

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
 شَهِيدًا»^٣.

لمحة خاطفة عن بناية التشريع الإسلامي

في ضوء النظرية القرآنية^٤

لعل من الواضح التأكيد على أن الحياة الإنسانية - بدون منهج لائح وتقنين شامل -
 تقع في التخبط والشوضى والاضطراب، ويبقىها ذلك أسيرة للتجارب المتعثرة والمبعثرة
 التي تعتمد غالباً على ما يفرزه الواقع (واقع التجربة) من خطأ وحواب. وفي ذلك كما
 لا يخفى إهدار كبير لفرص البناء الحقيقي، والنهضة والرقي، فضلاً عما يستلزمه (انعدام
 التقنين الصالح) من تضحيات لا مبرر لها ولقد كان في مقدمة أسباب إخفاق التجارب
 البشرية - في هذا المجال - إغفالها لأهمية العلاقة بين الروح والجسد في الحياة الإنسانية،
 وما استتبع ذلك من الإهمال للفعاليات والأنشطة الروحية ودورها في الحياة الاجتماعية.
 إن تشخيص حقيقة وطبيعة العلاقة بين الروح والمادة وحل هذا الإعضال كان
 القرآن قد سبق إليها، فتصدى إلى رسم المنهج، وتحديد أبعاده في تقنين الحياة الإنسانية
 آخذاً بنظر الاعتبار أبعاد الإنسان في الزمان والمكان، مراعيًا طبيعته الأزدي واجبة في
 تركيبه الداخلي، ليختزل بذلك المعاناة التي يتعرض إليها المجتمع البشري عبر تجارب
 الخطأ والصواب.

قال تعالى: «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

١ - روح الإسلام، ص ٢٠٩، ٢١٠.

٢ - التوبة ٩، ٣٣، انصف ٦١، ٩.

٣ - انصف ٤٨، ٤٨.

٤ - مقتطفات عن كتاب «بحوث في القرآن الكريم»، تأليف الدكتور عبد الجبار شرارة.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^١.

ويظهر هنا أن القرآن الكريم قد شخّص الحقيقة الموضوعية القائلة بأن الإنسان بصفته خاضعاً لظروف الزمان والمكان، وينبعث دائماً في تقيّماته و آرائه من نزعاته و أهوائه لذلك فمن الطبيعي سيادة حالة التظالم والخصومات والاعتداء، كما أشار إلى ذلك القرآن قائلاً: «قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ»^٢ واستناداً إلى ذلك فالإنسان عندما يتصدى لوضع القواعد القانونية سيكون تحت تأثير تلك النزعات و الأهواء، ومن هنا اتجه القرآن الكريم إلى بيان الشريعة العامة، وتكفل بتحديد القواعد والمبادئ والأحكام العادلة والملائمة للإنسان، كما بيّنه إلى ذلك في قوله تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^٣ ولقد تضمنت تلك القواعد والأحكام الحلول والمعالجات للإشكاليات الحياتية الإنسانية، كما أنّها وفّت بحاجات الإنسان الروحية والمادية على حدّ سواء.

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن التصوّر القرآني العام - أي نظرية القرآن - في تقنين المجتمع، وذلك بتحديد الأسس والمطلقات التي تقوم عليها النظرية. تمّ تبين الجوانب الأساسية فيها من القواعد الملزمة في نطاق الأسرة، بصفتها المجتمع المصغّر، وفي ميدان النعاليات والعلاقات بين أفراد المجتمع.

إنّ القرآن الكريم في نظريته لتقنين المجتمع يطلق أولاً من حقيقة مفادها أنّ تغيير المجتمع الإنساني وتطويره باتجاه الكمال والرفق والصلاح لا يتحقّق ما لم يتمّ تغيير المحتوى الداخلي للإنسان، فكرياً ونفسيةً وقناعات وسلوكاً، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»^٤، والتغيير هنا أشمل وأعمّ. واستناداً إلى ذلك يتجه القرآن الكريم في إطار تقنين المجتمع إلى وضع المنهج الشامل لضبط التفكير والنعاليات العقلية، وهذا له أولويته في التصوّر القرآني - كما نعتقد -

٢ - الأعراف ٧: ٢٤

١ - البقرة ٢: ٢٨

٤ - الرعد ١٣: ١١

٣ - اتجانية ٥٤: ١٨

لمدخلية ذلك أصلاً في انضباط الإنسان داخل المجتمع بلحاظ أنه ما لم يفتح وجدانه على القواعد القانونية لا يتحقق تفاعله الإيجابي معها. لاحظ قوله تعالى: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً كِبَاحَاتِكَ فِقِنَا عَذَابَ النَّارِ». فالتمكيز الصحيح يقود إلى الاستنتاج الصحيح، والاستنتاج الصحيح يقود إلى الاعتقاد السليم، والاعتقاد السليم يقود إلى الانتقاد إلى الحق، وفيه السلامة والنجاة.

ويُنتج القرآن الكريم بعد ذلك إلى ضبط الفعاليات داخل نطاق الأسرة بصفتها «الوحدة الاجتماعية المصغرة»، بلحاظ أن الأسرة تمثل بيئة الإنسان ومهديه وأجواء نشئته، وهو ينشد إليها لأكثر من اعتبار.

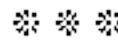
لقد كان تدخل القرآن الكريم في تنظيم العلاقات وتقنينها داخل نطاق الأسرة تدخلًا واسعاً وتفصيلياً، إذ أخضعها إليه تكويناً وصياغةً وإنشاءً، وأحكمها وفق ضوابط معينة، وحدد بدقة الحقوق والواجبات حفاظاً عليها من الانحلال، آخذاً بنظر الاعتبار طبيعة الإنسان، وما يمكن أن يحدث من إشكاليات، وما يحتمل من طوارئ بما في ذلك انحلال الزواج وما قد ينشأ عنه من آثار تستدعي المعالجة الحاسمة، فقال تعالى مثلاً: «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِرُوهُنَّ يُضَارِرْنَ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أَوْلَاتٍ لِحِمْلِ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»^١.

ثم نجد القرآن الكريم بعد إنجاز هذه المهمة ينتج إلى ضبط الفعاليات الاجتماعية المتنوعة بتقنين العلاقات المختلفة الناشئة من الأنشطة الاقتصادية أو غيرها، وما ينشأ أيضاً من التزامات بحكم الفعل والتصرف.

ومن هنا نجد العناية بالحقوق الخاصة والعامة، وإذا كان هذا ما يمكن ملاحظته وتسجيله من خلال عملية استقرار لمقاصد القرآن وأهدافه وغاياته، وما يمكن تلخيصه بوضوح في مواد كثيرة - كما سيتضح - فكل ذلك يُشكل في نظرنا الملامح العامة لاتجاهات التقنين في القرآن الكريم.

إنّ المعالم الأساسية أو الهيكل العام للنظرية القرآنية يمكن تصويره كما يأتي: يبدأ

القرآن ويهتم أولاً برسم المنهج السليم للتفكير، أي عملية التقنين تبدأ من تقنين الضميمة العقلية والفكرية ثم يتم التدرج إلى تقنين الضمائم والعلاقات في داخل الأسرة، ثم يتم التحول إلى تقنين العلاقات في إطار المجتمع.



إن أهم ما يمكن الاعتماد عليه في شمولية هذه النظرة هو ما يأتي:

أولاً: النصوص القرآنية الصريحة التي تؤكد شمولية القرآن الكريم في معالجته لكل شيء، وعنايته بكل شيء، وعدم تفریطه بشيء من الأشياء له علاقة بالإنسان، ومن تلك الموارد والآيات قوله تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^١ وقوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ»^٢ وقوله تعالى: «الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ الَّذِي تُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُنَزِّلَ مِنَ السَّمَاءِ لِقَاءَ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ الْوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا»^٣ وقوله تعالى: «أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَلْبَعَثَ أَشْقَىٰ مَا يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْبَلَدَ الْمَيِّتَ وَيُخْرِجُ بِهِ الْحَبَّ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْتُونَ»^٤

فهذه النصوص صريحة في كفاية القرآن لجميع المتطلبات، ووفائه للحاجات الإنسانية التي من أخصها العناية بتنظيم شؤون الحياة المختلفة. ثانياً: التأكيدات التي وردت في القرآن الكريم على أنه - أي القرآن - جاء ليخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور، ومن الظلم والتظلم إلى العدل والتراحم، ومن الفوضى والسداعي إلى النظام والتماسك، وفي هذا الصدد نجد مجموعة من الآيات المباركة تصرّح بذلك، وتشير إليه.

قال تعالى: «الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ الَّذِي تُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُنَزِّلَ مِنَ السَّمَاءِ لِقَاءَ أُولَئِكَ الْكُفَّارِ الْوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا»^٥

وقال تعالى: «وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^٦

وقال تعالى: «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِيلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ»^٧

وقال تعالى: «وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرِي

١ - النحل: ١٦٦، ١٦٧.

٢ - الأنعام: ١١٤.

٣ - المائدة: ٥٥.

٤ - الأندلس: ٦، ٣٨.

٥ - هود: ١١١، ١١٢.

٦ - إبراهيم: ١١٤، ١١٥.

٧ - آل عمران: ١٠٣، ١٠٤.

نَلْمُحَسِنِينَ. إِنْ أَنْذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^١.
 وقال تعالى: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
 أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»^٢.

والى هذا المعنى كانت فاطمة الزهراء عليها السلام قد أشارت في خطبتها قائلة: وكنتم على
 شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الضامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام... أدلة
 خاسنين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فانتدكم الله بمحمد عليه السلام بعد المتيا والتي^٣.
 ثالثاً: التحذيرات الشديدة من مخالفة الأحكام والأوامر الإلهية كما في قوله تعالى:
 «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^٤. وقال تعالى:
 «وَاحْذَرُوا أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ»^٥.

وكذلك نجد القرآن الكريم ينعت الذين لا ينصاعون إلى أحكام الله المنزلة بالفسق
 مرة وبالكفر أخرى وبالظلم ثالثة. قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوَيْتِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ»^٦. «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوَيْتِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^٧. «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 فَأُوَيْتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^٨.

مرآة تحققاتكم في علوم راسدي

ولازم هذا أن يكون الله تعالى قد أنزل هذه الأحكام، وأن تكون مثل هذه الأحكام
 مستوعبة كل مجالات الحياة، وكل الشؤون التي تهتم البشر ليصح لهم عدم المخالفة
 بالرجوع إلى الأحكام غير الإلهية، وإلا لمكانت الحجّة لهم لاعليهم وقد قال تعالى «فَلِلَّهِ
 الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»^٩.

هذا وقد قال تعالى في هذا السياق: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^{١٠}.

١ - الأحقاف ٤٦، ١٢-١٣.
 ٢ - راجع الخطبة في كتاب بلاغات النساء لابن طينور أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠)، ص ١٣.
 ٣ - انوار ٤٤، ٤٣.
 ٤ - الصائدة ٥، ٤٩.
 ٥ - الصائدة ٥، ٤٤.
 ٦ - الصائدة ٥، ٤٤.
 ٧ - الأندام ٦، ١٤٩.
 ٨ - الصائدة ٥، ٤٤.
 ٩ - محمد ٥٧، ٢٤.

وقال تعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ»^١.

وقال تعالى: «وَلَقَدْ يَمُرُّنَا الْقُرْآنَ لِنَذَكَّرَ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ»^٢.

ثم أوكل لرسوله الكريم نبينا محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين - بلحاظ أنهم من الراسخين في العلم الذين يعلمون التنزيل، ويعلمون المحكم والمتشابه - أوكل إليهم البيان والإيضاح.

ومن هنا يكون قد قطع العذر على كل أحد «وَمِمَّا كَلِمَةٌ رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا»^٣.

رابعاً: لقد نهانا الله تعالى عن الاحتكام إلى الطاغوت، أو إلى الأهواء، قال تعالى:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»^٤، وقال تعالى: «وَلَكِنَّ الْأَبْهَتَ

أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَنْعَمِ إِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ»^٥.

وقال تعالى: «وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ»^٦.

والطاغوت «هو كل رئيس في الضلالة، وكل من يعبد من دون الله، وكل شيطان، وكل

كافر»^٧، استناداً إلى هذه المجموعة من الآيات، فلو لم يكن القرآن الكريم قد تعهد وتكفل

بالوفاء بكل ما يحتاجه البشر، ولو لم يشمل ويتضمن حلاً ومعالجةً للخصومات

والنزاعات، وفق أحكام محددة، لما كان محلياً للنهي عن الاحتكام إلى الآخرين،

بالأخص وأن الإطلاق الوارد في النهي عن الاحتكام إلى الطاغوت، ينصرف إلى مطلق

الأحكام غير الإلهية، يؤيد ذلك ما جاء عن الامام الصادق ﷺ كما في رواية أبي بصير أنه

قال: من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله عز وجل فقد كفر بالله تعالى^٨.

إن ما استظهرناه من هذه الشمولية والاستيعاب، والأسس التي اعتمدها في ذلك،

استفدناه أيضاً ومباشرةً مما نبه إليه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ،

١ - ص ٣٨، ٢٩.

٢ - القمر ٥٤، ٥٢.

٣ - الأنعام ٦٦، ٦٥.

٤ - النساء ٨، ٦٠.

٥ - البقرة ٤، ١٤٥.

٦ - المائدة ٥، ٥٩.

٧ - مجمع البحرين فقهراندين القطريحي، ج ١، ص ٢٧٦ باب الألف أنه طام، وراجع: انكشاف الترمغسري ج ١، ص ٥٢٥.

٨ - وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٤٣، حديث ٦، باب ٥ من أبواب صفات القاضي.

فقد جاء عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال عن القرآن الكريم: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله. فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الذي لا تزيج به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشع منه العلماء.^١

وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في معرض ذمّه للاختلاف في كتاب الله، قال: تردّ على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم تردّ تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استتضاهم فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلهم واحداً، ونبيهم واحداً، وكتابهم واحداً، فأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقتصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه وتعالى يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»^٢ وفيه تبيان لكل شيء وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: «وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^٣.

وقال ﷺ في موضع آخر: ألا وإن في علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دلائلكم، ونظم أمركم.^٤

وهنا لا بد من التنبيه إلى أن القرآن الكريم قد خول النبي الأكرم ﷺ ليس فقط وظيفته البيان والتبيين لآيات الكتاب العزيز وأحكام القرآن المجيد كما نصّ في قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الَّذِي كُنْتُمْ تُشَكِّكُونَ لِنَاسٍ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^٥ وإنما خوله أيضاً بما أوحى إليه وبما علمه وهداه «التشريع»، كما صرّحت الآية المباركة: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^٦.

وهنا لا بد أن نفترض أن وقت النبي الأكرم لم يكن يسعه لبيان كل الأحكام والتشريعات لمجموع الناس وعامتهم، ولذا اختصّ بهذا الأمر من هو منه،^٧ يبلغ عنه

١ - مجمع البيان، ج ١، ص ٦٦ من المقدمة.

٢ - الأندلس، ٦: ٣٨.

٣ - الأندلس، ٥: ٨٢.

٤ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٥٨، ص ٢٢٣.

٥ - النحل، ١٦: ٤٤.

٦ - التحريم، ٥٩: ٧.

٧ - راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ١٣ في قصة تبليغ سورة برآة، والتكشاف، ج ٢، ص ٢٤٣، والزواجر في

صحیح الترمذی، ج ٥، ص ٢٧٤، رقم ٣٠٩٠.

- أعني علي بن أبي طالب عليه السلام - لينهض بهذه المسؤولية، ويكمل هذا الدور. ولدينا على الأمر شواهد وأدلة وأرقام كثيرة نورد منها ما يعزز هذا الرأي ويدعمه. لقد جاء عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: كنت إذا سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني، وإذا سكتاً ابتدأني^١.

وفي حديث طويل تحدث الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد قائلاً: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية إلا قرئتها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله تعالى وعلمت أملاًه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علماً علمه الله من حلالٍ ولا حرامٍ، ولا أمرٍ ولا نهي كان أو يكون إلا علمنيه وحفظته، ولم أنس حرفاً واحداً منه^٢.

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن^٣. وورد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلى علي سبعين عهداً، لم يعهد إلى غيره^٤. وذكر السيوطي أن معمر روى عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بديل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل^٥. ومن هنا يتضح لدينا أن القرآن الكريم قد تكفل بتقديم الحلول والمعالجات لسائر الشؤون الإنسانية، وفي مختلف المجالات، وأن هذه تغطي المساحة الكبيرة والأساسية للتشريع الإسلامي.

ومصدر استكشاف هذا النوع من التشريعات هو الرجوع إلى القرآن الكريم مباشرة

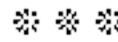
١ - إنتاج أجماع تلامذته من أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ج ٣، ص ٣٣٥.

٢ - التذافي، ج ١، ص ٦٤، وراجع: بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٩٩.

٣ - نقاه السيوطي، في الإتيان، ج ٥، ص ٢٠٥. ٤ - حلية الأوتيار، ج ١، ص ٦٨.

٥ - الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٥، وراجع: طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ١٠١.

أو إلى سنة نبيه ﷺ أو إلى خلفائه المعصومين الذين يمثلون امتداده التشريعي.



ومما لاشك فيه أن الحاجة إلى منهج في التفكير لضبط العمليات والأنشطة العقلية المتنوعة أمرٌ على غاية من الأهمية والخطورة، ليس على مستوى تجنب الإنسان حالة التخبط والفوضى والاضطراب فحسب - وهذا أمرٌ يُشكل مرتكزاً مهماً في أي بناء حضاري - وإنما لما لذلك المنهج من دور خطيرٍ أيضاً ينعكس على ضبط الفعاليات الاجتماعية والأنشطة الأخرى، وله انعكاساته الجذبية أيضاً على المسيرة العلمية والتطويرية باتجاه الترقّي والبناء (عمارة الكون) ومن هنا كان اهتمام القرآن جدياً وأساسياً في دعوة الإنسان إلى امتلاك منهج صحيح وسليم في التفكير.

إن هذا الأمر لا يطرحه القرآن على أنه موعظة، بل هو يجعل التفكير فريضةً على كل مسلم. فامتلاك منهج التفكير الصحيح والوصول إلى الحقائق لم يُوكله القرآن إلى نخبةٍ أو إلى طبقةٍ معينة - كما حصل مثل هذا في عملية استنباط الحكم الشرعي، إذ أوكل العملية في هذا المجال إلى المتخصصين من الفقهاء. وفي هذا قيمة حضارية وهي احترام ذوي الاختصاص - وإنما جعل مهمة التفكير الفلسفي وامتلاك المنهج وظيفته كل فردٍ على التعيين. والقرآن هنا وإن قرّر ذلك وأكدّه مراراً إلا أنه لم يترك الإنسان نهياً للمناهج غير السليمة أو المنحرفة تنأهبه ذات اليمين وذات الشمال، بل وضع أمانة المنهج المستقيم محدداً لعباده ومعالمه، مبيّناً عناصره وآفاقه، وكما يأتي:

(أولاً) الدعوة إلى التفكير

إن الدعوة إلى التفكير وامتلاك المنهج تأخذُ بعدين في نظر القرآن الكريم: أولهما: دعوة الإنسان إلى تدبّر آيات الكون وصفحات الوجود وآفاقه، وذلك من خلال الكشف عن حقائقه المذهلة، وعرض تجليات القدرة الخلاقية، وصور الإبداع في هندسة الوجود، وهذا يعني البحث على التأمل الجذبي، وتعتل ما وراء ذلك. قال تعالى: «إن

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنْفَلِكِ أَنْتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَائِهِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَبَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»،^١ فهنا دعوة إلى النظر والاستقصاء والتعقل.

والبعد الثاني: إنه يحدّد وظيفة الفرد المسلم على التعيين بضرورة التفكير ويأمره صراحةً بذلك. قال تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُهُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ...»،^٢ وقال تعالى: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا»،^٣ وقال تعالى: «قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...».^٤

وهنا النظر والتدبر على سبيل الوجوب، واستناداً إلى ذلك ذهب علماء الملة الإسلامية إلى «وجوب النظر»^٥ أي الاستدلال وتحصيل البرهان في المسائل الاعتقادية. إن القرآن الكريم عندما يعرض أمامنا صفحات الكون والوجود، ويطلعنا على الهندسة العجيبة، وعلى آثار قدرة الله تعالى المنبئة في كل شيء، من حولنا، بل وفي أنفسنا «سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...»،^٦ فإنه عندما يعرض أمامنا ذلك، فإنما يدعونا إلى استخلاص الحقائق، واكتشاف القوانين العامة التي تحكم الوجود، ومن هنا نفهم قول الإمام علي عليه السلام أيضاً «استدلوه - أي القرآن - على ربكم».^٧

(ثانياً) طريقة التفكير وأسلوبه

إن القرآن الكريم لم يكتف بالدعوة إلى اعتماد منهج سليم للتفكير، واعتبار ذلك وظيفة الفرد المسلم فحسب، بل يضع بأيدينا أيضاً الطريقة السليمة العلمية للوصول إلى الحقائق ويعرّفنا - في هذا المجال وضمن إطار النهم العميق لأسرار الوجود - أساسيات

١ - البقرة ١٦٤، ٢ - التنبؤات ٥٩، ٦٠.

٣ - آل عمران ٣، ١٩١.

٤ - يونس ١٠، ١٠١.

٥ - راجع: عقائد الإمامية، تلامذات الشيخ محمد رضا المتطهر، الطبعة الحيدرية، النجف، منشورات الشريف الرضي - قم ح ٢.

٦ - أسفة ٨، ١٤ هـ، ومن نشر أنصاره - قم - ٦ - فضائل ٥٦، ٥٣.

٧ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٦، ص ٢٥٢.

المنهج وأبعاده، فهو منهج يقوم أول ما يقوم على البرهان الوجداني، قال تعالى: «وَلَسِنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ»، وقال تعالى: «وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ».^٢

إذا القرآن هنا يستحث الوجدان ويستنطقه، ويدعو الإنسان إلى القيام برحلة داخلية مع نفسه (حوار مع الذات) فيه الصراحة المتناهية. وإن هذا الحوار الداخلي هو الآخر يجب أن يتم بصيغة أسئلة يحكمها المنطق، ليكون هناك انساق بين الوجدان والعاطفة من جهة، وبين المنطق والعقل من جهة أخرى، أي أن يكون هناك تناغم والقرآن هنا - كما هو في منهجه العام - يحرص دائماً على عدم تعقيب العقل والتعقل، على الرغم من اهتمامه بالمعرفة التي مصدرها الوجدان الداخلي والإدراك الخاص، قال تعالى: «أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...».^٣

وهكذا نجد أن القرآن عندما يشرع من عملية استنهاض وحث منطق الوجدان في آية عملية تأمل نجده أيضاً في عين الوقت يدعو إلى اعتماد الأدلة والبراهين الفلسفية والعلمية في إثبات المطالب.

إن القرآن يتقدم لنا أيضاً عينية من هذه البراهين، ويفرغ مساحة مناسبة لحركة العقل والاستعانة بالحواس. وهذا أساس آخر من أسس المنهج:

قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ النَّبْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ».^٤

وقال تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَدَّكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ. كُنُوا وَارِعُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»^٥ أي لذوي العنول.

وقال تعالى: «وَتَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا».^٦

٢ - التكهوت ٥٩، ٦١.

١ - الزخرف ٤٣، ٨٧.

٤ - آل عمران ١٩٠، ١٩١.

٣ - إبراهيم ١١٤، ١١٥.

٦ - آل عمران ١٩١، ١٩٢.

٥ - طه ٥٣، ٥٤.

إنَّ القرآنَ الكريمَ من خلال ذلك كلِّه يريد أن يقول لنا: إنَّ البحث والتأمُّل في الآفاق وفي الأنفس وفي ما حولنا يجب أن يلتزم البرهان والدليل ويتوسَّل بالحسِّ والتجربة كلِّما أمكن ذلك، قال تعالى: «سَرُّهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ»^١.

ولكن ماهي الخطوات التي يمكن أن تتبع للوصول إلى الحقائق وتأسيس القناعة المطلوبة فيكون المنهج الذي يحدده القرآن ويضعه بين أيدينا منهجاً علمياً منتجاً.

إنَّ القرآنَ الكريمَ يدعو إلى عملية التأمُّل أولاً، والتأمُّل هنا عملية التفكير، يمكن أن تتمَّ بانفراد، وهذا هو الشائع، ويمكن أن تتمَّ بصورة مشتركة، وهذه الثفاعة بارعة من القرآن الكريم في التشبيه إلى أهميَّة البحث والتفكير المشترك، قال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفَىٰ وَقُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ...»^٢.

ثمَّ يتَّجه القرآن الكريم إلى الدعوة لطرح الافتراضات الممكنة «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَائِقُونَ»^٣. ثمَّ يصعد إلى مرحلة اختبار الافتراض وتقليب الوجوه في المسألة، قال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ. أَلأنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ لَحْنُ الْخَائِقُونَ»^٤ وقال تعالى: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أَلأنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ لَحْنُ الزَّارِعُونَ»^٥.

إذاً هكذا في خطوات علمية: فرض، واختبار الفرض، واستنتاج مبني على المنطق والتجربة والعقل، يرسم القرآن الكريم أبعاد المنهج، ويدعو إلى التمسك به في سائر المجالات، قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ»^٦.

وأخيراً، ولما كان الحوار أساساً مهماً سواء مع الذات أو مع الآخرين أو في عملية التفكير والبحث المشترك - كما دعا إليه القرآن - فإنه يدننا (أي القرآن) على أسلوب

١- سبأ: ٣٤، ٤٦.

٢- فضلات: ٤٦، ٥٣.

٣- الواقعة: ٥٦، ٥٨، ٥٩.

٤- انشور: ٥٢، ٥٥.

٥- الزمر: ٣٩، ٤٦.

٦- الواقعة: ٥٦، ٦٣-٦٤.

المحاورة العلمية الرصينة، فهو يُعلمنا أن ننتقل أولاً من مُسلمة لدى الطرفين، أو من افتراض مقبول، وهو ما صرّح به القرآن قائلاً: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ نَعْلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»، ثمّ لسبب المحاورة بعد ذلك ولكن على شرط أن يقدم كل واحد دليلاً على ما يقوله، قال تعالى: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ»^٢ وهو يشترط في الدليل أيضاً أن يكون علماً أي أمراً يقينياً، لأن غير العلم لا يجدي ولا ينتج المطلوب، قال تعالى: «وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً»^٣.

ثم إذا استقرّ الحق وتبّت الأمر بالبرهان والدليل القاطع فلا بد حينئذٍ من التصديق به واعتماده، والإقرار به، قال تعالى: «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ»^٤ وهنا لغتة بارعة في ضرورة استعمار الحقيقة والانعساع إليها.

وهكذا، فإن القرآن الكريم عندما يضع بين أيدينا مثل هذا المنهج ويدعونا إلى التمسك به فلكي ينتهي الإنسان إلى حالة الأطمئنان (الطمأنينة الداخلية) فيزيح عن نفسه وعن عقله كل وهمٍ وخرافةٍ وشكٍّ، فيعيش حينئذٍ هادي البال يسهم في البناء والتقدم في الحياة الإنسانية غير مضطربٍ ولا مشدود الأعصاب، وعند ذلك يكون القرآن قد أرسى مرتكزاً أساسياً من مرتكزات البناء الحضاري وفي تخليص الإنسان من الهواجس والظنون من خلال التأكيد على اعتماد المنهج العلمي في التفكير، فضلاً عما يعنيه ذلك أيضاً من تعميم المعرفة وشموليتها وعدم اقتصرها على قطاعٍ أو طائفةٍ أو طبقةٍ معينة، وهذه قيمة حضارية كبرى وميزة عظيمة ينفرد بها القرآن الكريم في إطار نظريته في المنهجية والتقنين.



إن القرآن الكريم يتّجه فعلاً - وفي سبيل إثبات معصديته في وفائه بالحاجات الأساسية، وتنظيم العلاقات داخل الإطار الاجتماعي - إلى تقديم أطروحاته فيحدد التواعد

٢ - آية سورة الأَنْبِيَاءِ: ١١١، الأَنْبِيَاءِ: ٢٤، التَّمَلُّقِ: ٢٤.

٤ - يُونُسَ: ١٠، يُونُسَ: ٢٢.

١ - سَبَأَ: ٢٤، سَبَأَ: ٢٤.

٣ - التَّوْحِيدِ: ٢٣، التَّوْحِيدِ: ٢٨.

الملزمة والمناهج العملية في هذا الإطار بشكل قوانين حقوقية أو جزائية وما شاكل.
والقاعدة القانونية باعتبارها قاعدة سلوك ونظام يتحتم الخضوع لها. أمّا مضمون
القاعدة من الناحية العملية فهو تحويل الفرد حقاً أو فرض واجب عليه.^١
وقد مُثِّل لذلك بالقاعدة التي تقضي بأن العقود المنشأة على الوجه القانوني تلزم
المتعاقدين.

ولتصوير هذه المسألة في القرآن فإننا نجد النصّ على لزوم الوفاء بالعقد المنشأ على
الوجه الشرعي. يتبين ذلك في قوله تعالى: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»،^٢ والآية تتضمن صفة الإلزام.
وهي بضميمة قوله تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»^٣ التي تقتضها النهي عن
الأكل بالباطل، بمعنى إجراء العقد على خلاف الشرع،^٤ فيتحصل لدينا نصّ قانوني محدد.
وقد ذهب الفقهاء إلى أصالة اللزوم في العقود.

ثم إن القانون - في تنظيمه لسلوك الأفراد وعلاقاتهم في المجتمع - إنما يفعل ذلك
بيان حقوقهم وواجباتهم. والقاعدة القانونية بلحاظ أنها قاعدة اجتماعية تفرض نظاماً
معيناً، وهي ذاتها التي تخول الجوّ فتضع بين يدي الشخص سلطة تمكنه من أن يعمل
على وجه معين، في علاقته بغيره، أو تفرض عليه واجباً في هذا السبيل.

وهنا يلزم التنبه إلى أمر مهم، وهو أن القرآن الكريم وإن اعتنى عناية مباشرة بعملية
التقنين والتشريع في نطاق الأسرة والمجتمع، ولكنه أوكل جانباً من ذلك إلى النخبة
المتخصصة (أي الفقهاء) كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: «فَلَوْ لَا تَفَرَّقَ مِنْ كُلِّ بَرَقَةٍ مِنْهُمْ
طَائِفَةٌ لَتَصَفَّحُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ». وهي قيمة حضارية كبرى
ينبئ إليها القرآن العظيم، وهي احترام ذوي الاختصاص وهم الفقهاء، في هذا الصدد، أي
في سنن القوانين ليكون في مجال ما اصطلح عليه بمنطقة الفراغ.

١ - المادة ٥: ١.

٢ - التكايف، ج ١، ص ٢٢٣.

٣ - مبادئ القانون.

٤ - آية ٢: ١٨٨.

٥ - آية ٩: ١٢٢.

تقنين الأسرة

إن الأسرة في نظر القرآن الكريم تُعدُّ اللبنة المهمة في البناء الاجتماعي، وعلى مدى سلامتها ومتانة العلاقات القائمة في داخلها يتوقف سلامة البناء برُمَّته. ولقد أشارت الآية المباركة إلى هذه الحقيقة «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً...»^١. كما أشار القرآن إلى أمر له مدخلية في استقامة البناء الأسري، قال تعالى: «خَلَقَ نَكْمٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...»^٢. فالسكن هنا والمودة والرحمة عناصر أساسية في التماسك. تمّ لغت القرآن النظر إلى أن الزواج - وفق قواعد الشرع - يتسق ويتناغم مع سائر الوجودات الأخرى التي هي من بدائع صنع الله تعالى، فقال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ»^٣. إذ فيها تبيينه إلى أن ظاهرة الزوجية تحكم الموجودات كلها، وأن هذه الموجودات تجري على نوااميس وقوانين لا تحيد عنها. قال تعالى: «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ»^٤. وقال تعالى: «وَأُنزِلْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْدُونًا»^٥. وقال تعالى: «وَالسَّمْبِسِي تَجْرِي بِمُسْتَقَرِّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»^٦. وفي كل ذلك تبيهاات وإشارات واضحة إلى تحكم القوانين في كل أنحاء الوجود وأجزائه^٧. وبناءً على ذلك، فإن الأسرة يجب أن تتكوّن وتتشكّل وفق قانون، وإنها يجب أن تنضبط فعاليتها وفق قانون، وأن تنشأ العلاقات وتنوّع الحقوق والواجبات أيضاً وفق قانون.

لقد جعل القرآن الكريم قيام الأسرة على أساس المودة والرحمة، كما أشير في الآية المذكورة، وألزم الزوج بالمعاشرة بالمعروف كما في قوله تعالى «وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^٨. والأمر هنا ليس «وعظياً» بل هو يتضمن صفة الإلزام^٩، وهنا أصل عظيم

١ - الروم ٣٠، ٤١.

١ - النساء ٤، ٦.

٢ - التاجية ٥٥، ٥٦.

٢ - يس ٣٦، ٣٧.

٣ - يس ٤٦، ٤٨.

٥ - الحجر ١٥، ١٩.

٤ - النساء ٤، ١٩.

٧ - التيزان، ج ٥، ص ٤٠، وأيضاً ج ١٧، ص ٨٨، ٨٩.

٩ - زبدة البيان للأرديني، ص ٦٠٧.

ومرتكز مهم في بناء الأسرة وسلامتها. لقد أوكل القرآن الكريم إنشاء العلاقة الزوجية إلى الطرفين (الذكر والأنثى) ونبّه إلى أن تكون هناك قناعة لكل واحدٍ بالآخر، ثم طلب إجراء العتد شكلاً وغايةً أي في الصيغة والمقصد استناداً إلى قواعد إجرائية معينة. وقد قال تعالى في هذا الصدد: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء»^١ وقال تعالى: «وأنكحوا الأيامل منكم...»^٢ والأيم يطلق على الرجل والمرأة غير المتزوج. وقال تعالى: «ولا تمسكوهن ضراً»^٣.

إن القرآن حدّد بادي ذي بدء من يجوز للإنسان أن يقترن بها، ومن لا يجوز سواء كان ذلك على سبيل التأييد أو التأكيد فقال تعالى: «ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنّه كان فاحشاً ومفناً وساء سبيلاً. حرّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ذليلاً ما بينكم وبين أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان عفواً رحيماً. والمحصات من النساء...»^٤.

«والقاعدة الأمرة»^٥ هنا في حرمة الأصناف التي ذكرت في الآيات المباركة روعي فيها احترام إنسانية الإنسان وفطرته من وجه، واجتناب تداخل الحقوق والواجبات من وجه آخر.

وعلى أية حال فالقرآن يقرّر أنّه إذا تمّ عتد الزواج وفق القواعد المذكورة أخذ صفة الإلزام استناداً إلى كناية «أوفوا بالعقود»^٦ وبترتب الأمر الشرعي ويجب المهر بالدخول^٧ قال تعالى: «وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة»^٨ تمّ يبدأ سريان الالتزامات المتعاقبة. فالزوج

١ - انور، ٤: ٣٢.

٢ - النساء، ٤: ٣٤.

٣ - زبدة البيان للأردبيلي، ج ١، ٥٢٦ - ٥٢٣.

٤ - البقرة، ٤: ٢٣٦.

٥ - مبادئ القانون، ج ٤، ٥٤.

٦ - النساء، ٤: ٢٢ - ٢٤.

٧ - زبدة البيان، ج ١، ٥٦٠.

٨ - النساء، ٤: ٤.

٩ - النساء، ٤: ٤.

يلزمه المعاشرة بالمعروف، ويلزمه الإنفاق على الزوجة، وأداء الاستحقاقات المطلوبة، قال تعالى: «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ»^١، والزوجة يلزم أن تطيع الزوج ولا تخل بمقتضى العقد، وبما بينها وبين زوجها قال تعالى: «وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ»^٢، وقال تعالى: «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّنَفْسِنَا بِمَا حَفِظَ اللَّهُ»^٣، وقال تعالى: «فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبِعُوا عَنَّهُنَّ سَبِيلًا»^٤، وعندما يحصل الإنجاب ويرزقان الولد كما أشار إليه تعالى: «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَمِمَّنْ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ»^٥ فحينئذٍ تتسع دائرة الالتزامات وتنشأ حقوق جديدة، فيثبت النسب، وينشأ حق البنوة وحق الأبوة، قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ»^٦.

وفي نطاق الحقوق التي تنشأ من العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة نجد القرآن الكريم يولي اهتماماً خاصاً، فيوجب على الأبناء حسن معاملة الآباء ووجوب النفقة لهما، وعدم التضجر منهما مهما كانت الظروف والأحوال. والتواعد هنا كلها من قبيل «التواعد الآمرة» كما يصطلح عليها في القانون، أي لا يجوز مخالفتها قال تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَنْبَغُ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَخْذُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَمَهْرُهُمَا»^٧.

قال الأردبيلي في بيانه لمعنى الآية:

ولقد بالغ الله سبحانه وتعالى في التوصية لهما حيث شفع الإحسان لهما بتوحيده تعالى... ثم لم يرخّص في أدنى كلمة تنفّلت من المتضجر... ثم أمر بالخضوع والتذلل لهما بقوله تعالى: «وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ»^٨، ولم يقتصر الأمر في الإحسان والمعروف في حالة كونهما مسلمين، بل حتى لو كانا مشركين، قال تعالى: «وَوَصَّيْنَا

١ - البقرة: ٢٣٣.

٢ - البقرة: ٢٢٨.

٣ - النساء: ٣٤.

٤ - النساء: ٣٤.

٥ - الإسراء: ٦٧.

٦ - البقرة: ٢٣٣.

٧ - النساء: ٣٤.

٨ - الإسراء: ٦٧.

٩ - الإسراء: ٦٧.

الإنسان بؤاندييه حسداً وإن جاهدك لتُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها...»^١ وفي سورة أخرى «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها وصاحبها في الدنيا معروفاً»^٢ وفي الكشاف قال في التفسير: وإن كنت مأموراً بحسن معاصبتهما في الدنيا تم إلي مرجعك ومرجعهما فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما، علم بذلك حكم الدنيا...^٣

ونظراً لما يتميز به القرآن الكريم من الواقعية ومعرفة خصائص البشر وطبيعتهم، ونظراً لكونه الشريعة الخالدة لكل البشر في جميع الأزمان، فقد أخذ في حسابه وقوع الافتراق بين الزوجين، وأعطى هذا الأمر مشروعية في الحالات الموجبة، ولكنه تدخل في هذه المسألة، ووضع جملة من القواعد الملزمة والإجراءات المناسبة، تقليصاً لما ينتج عنه من آثار، ورعاية لحق المرأة من جهة أخرى، قال تعالى: «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ مِنْ أَمَاةٍ وَأَخْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ»^٤

والظاهر هنا كما يقول الأرنؤبيلي: أنه لا بد من وقوع الطلاق في وقت خاص صالح للعدّة، وإن ذلك واجبٌ وشرط للمصحة لأنها وردة لبيان تعليم الطلاق،^٥ ثم ينتقل القرآن إلى أمر آخر يتصل بالسابق فيقول: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْتُمْ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَ حَوْهِنَّ بِمَعْرُوفٍ»^٦ ثم يقول لاحقاً: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْتُمْ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْصَبُوهُنَّ أَنْ يَمْكُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِمَعْرُوفٍ»^٧ والعصل يعني الحبس والتضييق.

ثم يبين التعليمات الأخرى فيما يتعلق بمسألة العدة فيقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا نَكَّكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا

٢- قصص ٣٦، ١٥.

٤- الطلاق ٦٥، ١.

٦- البقرة ٢، ٢٣٦.

٨- زينة آييان، ص ٥٨٨.

١- التوبة ٢٩، ٨.

٣- الكشاف، ج ٣، ص ٥٩٤.

٥- زينة آييان، ص ٥٩١.

٧- البقرة ٢، ٢٣٢.

فَتَشَوْهِنَّ وَسَرَّحَوْهِنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا»^١.

والمراد بالنكاح هنا العقد، وبالمسّ الدخول بهن^٢. أي تخلية من غير ضرار. كما قرّر في قوله تعالى: «وَلَا تُسَيِّكُوهُنَّ ضِرَارًا»^٣.

ثم بين القرآن الكريم عدد التطبيقات الممكنة فقال: «انْطَلِقْ مَرَّتَانِ فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ»^٤.

وتتضمن الآية أيضاً «تخيير الأزواج بعد أن علمهم كيف يطلقوهنّ بين أن يمسكوا النساء بحسن المعاشرة والقيام بحقّه الواجب عليهنّ وبين أن يسرّحوهنّ السراح الجميل الذي علمهم^٥. ولم يكتف القرآن بذلك التدخّل الواسع والتنصلي في هذا الميدان، بل بين أيضاً أنواع انحلال عقد الزواج، فقد يتمّ الانحلال والفرقة بغير الطلاق، كما اصطاح عليه الفقهاء مثلاً بالخلع والمباراة قال تعالى: «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُعْمِدَا فِدَاً فَإِنَّ خِفْتُمْ أَلَّا يُعْمِدَا فِدَاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْمَا فِيمَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^٦. وهناك ما اصطاح عليه بالظهار، وهو كما لو أقدم الإنسان على عدم مراعاة الحدود الشرعية وسمّى الأشياء بغير أسمائها كمن قال لزوجته: «أنت علي كظهر أبي» وإليه الإشارة في قوله تعالى: «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ»^٧. فهذا قول منكرو باطل في نظرية القرآن الكريم، ولذا حرّم القرآن الزوجة هنا على الزوج ما لم يقدم الكفارة أي الغرامة^٨.

وهناك نوع آخر من انحلال الزواج يُسمّى بالإيلاء كمن حلف أن لا يقرب زوجته قال تعالى: «لِلَّذِينَ يُؤْلَوْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»^٩.

١ - الأحراب ٣٣: ٤٩.
 ٢ - البقرة ٢: ٢٣٦.
 ٣ - زيادة البيان، ص ٢٠٠.
 ٤ - تصحاحه ٥٨: ٢.
 ٥ - البقرة ٢: ٢٢٧-٢٢٦.
 ٦ - زيادة البيان، ص ٥٩٧.
 ٧ - البقرة ٢: ٢٢٩.
 ٨ - البقرة ٢: ٢٢٩.
 ٩ - زيادة البيان، ص ٦٦٠.

ثم هناك الخيانة الزوجية وهي موجبة للافتراق، وأخيراً الارتداد، وإليه الإشارة في قوله تعالى: «وَلَا تُنْسِكُوا بَعْضَ الْكُوفِرِ»^١.

أمّا إذا انحلّ الزواج بالموت فتشأ هنا التزامات وحقوق من نوع آخر، فتجيب على المرأة عدّة المتوفى عنها زوجها، وإليه أشارت الآية المباركة: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^٢.

ثم ذكرت الآيات المباركة أنه «فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^٣. أي إذا انقضت عدتهن فلا مانع من التعرّض للمخطبة، والمخاطب بالتزويج بالوجه الذي لا ينكر شرعاً^٤.

وإذا حصل الموت فهنا يتمّ التوارث، وتوزع التركة وفق الموازين والأنصبة والأسهم التي تكثلت بها منظومة الموارث، كما أشارت الآية المباركة: «يَتَرَجَّحُ لِغُلَامِكُمْ فِيمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا»^٥.



مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

وهناك ملحظ آخر

إنّ القرآن الكريم في سعة تدخّله بوضع اللوائح القانونية - أعني التفاصيل الوافية - في نطاق الأسرة أخذ بضرورة وضع الاحتياطات المناسبة والضرورية في عدم ترك العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة عرضة للاجتهاد، فالأحكام هنا يجب أن تكون قطعية واضحة ومحدّدة، كما لاحظنا في مسائل الطلاق ومسائل الإرث مثلاً، وأخذ الاحتياطات هنا بلحاظ أنّ المجتمع قد ينفلت من الخضوع للقواعد والأحكام التي أرادها الشرع، إذا كان فيها مجال للاجتهاد والتأويل، وكما وقع ويتبع مثلاً، في نطاق التعامل التجاري والمالي، إلا أنّ ذلك قد لا يؤدي إلى خراب شامل، لأنّ المجتمع حينئذ قد

١ - آية ٦٠، ٦١، ٦٢.

٢ - آية ٦٠، ٦١، ٦٢.

٣ - آية ٦٠، ٦١، ٦٢.

٤ - آية ٦٠، ٦١، ٦٢.

٥ - آية ٦٠، ٦١، ٦٢.

يتعارف ويتواضع على أساليب وأصول في التعامل وإن كانت غير مشروعة في نظر الشرع. وهذا أمر لا يؤدي إلى انقراط عقد المجتمع، ولا إلى فوضى الحقوق والواجبات، وهو ربما يمكن تلافيه وإصلاحه. بينما لو قدر أن يحدث مثل هذا الانقراط في نطاق الأسرة لأدى ذلك إلى الانهيار الشامل الذي لإصلاح بعده، ولا استدرارك لما يمكن أن ينشأ من جرائه. ومن هنا نلاحظ تكرار مثل قوله تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا»^١ ونحو ذلك.

الحقوق الخاصة والحقوق العامة

يهدف القرآن الكريم - في عملية تقنين المجتمع - إلى ضبط الفعاليات الاجتماعية المتنوعة، سواء في نطاق التعامل المالي أو غيره، ويرمي أول ما يرمي إلى الحيلولة دون نشوء حالة النزاع والخصومة، وذلك بإقرار الحقوق والواجبات، كما يستفاد متلاً من قوله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ»^٢ إذا أعطينا صفة التعميم لهذه القاعدة. وبحاكمية نفي الضرر،^٣ بمعنى أنه - أي القرآن - في الوقت الذي يقر للإنسان حقاً يفرض عليه واجباً فالإنسان في ممارساته لحقته في الشريعة الإسلامية^٤ يلزم أن لا يلحق بالغير ضرراً، وهذا ما يستفاد متلاً من قوله تعالى: «وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا بُضَاءَ كَاتِبٍ وَلَا شَهِيداً»^٥ وقوله تعالى: «وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً»^٦ وقوله تعالى: «مَنْ بَعِدَ وَصِيَّةً يَوْصِي بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ»^٧ وقوله تعالى: «لَا تُضَارُّوا نَفْسًا وَلَا مَوْلًى لَهَا وَلَا مَوْلًى لَهَا بِوَلَدِهِ»^٨.

ومع كل ذلك فإن وقوع النزاع والشخاصم أمر لا مفر منه، ولذا اتجه القرآن في هذا الصدد إلى وضع لائحة النظام القضائي، كما سنشير إليه في محله.

١ - آية ٢٩، ٢٢٩.

٢ - راجع في حاكمية قاعدة الضرر من كتاب فرائد الأصول، ص ٢٩٦ الطبعة القديمة - قم، ومن ٥٣٥، مؤسسه النشر الإسلامي.

٣ - آية ٢، ٢٨٢.

٤ - آية ٢، ٢٤٦.

٥ - آية ٤، ٢٤٣.

٦ - آية ٤، ٢٤٣.

(أولاً) الحقوق الخاصة

أسبغنا الحديث عن حقوق الأسرة، وهي تدخل ضمن هذا القسم أصلاً، ولكن أفردنا بالبحث لأهميته، وهنا نتحدث عن الحقوق المدنية أولاً، ثم الحقوق الجنائية - كما اصطلح عليها -.

١ - الحقوق المدنية

الالتزامات

١ - اعتبر القرآن كل فعل ضارٍّ بالغير موجباً لمسؤولية الفاعل أو المتسبب بالتعويض عن الضرر ولو كان عن خطأ. قال تعالى: «وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَكَحْرِيرٌ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ».^١

وإذا كان عن عمدٍ وقصد فقد أوجب العتوبة. قال تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ».^٢ وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ».^٣ وهناك التزامات تنشأ بإرادة الفرد كالوصية مثلاً، كما أشار القرآن «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ».^٤

ب - في العقود: أقرَّ القرآن في العقود الأسس الآتية:

أولاً: العقد المشروع ملزم لعاقده دون غيره، كما أن إقرار الشخص لا يسري إلا على نفسه^٥ قال تعالى: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ».^٦

ثانياً: الشروط العقدية ملزمة للعاقدين^٧ إلا ما يخالف النظام العام والآداب، وإليه الإشارة في قوله تعالى: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ».^٨ وإنما يلزم الوفاء بالعقد وبالشرط إذا لم يخالف

١ - التذمة، ٤: ٩٢.

٢ - البقرة، ٢: ١٧٨.

٣ - التذمة، ٢: ١٧٨.

٤ - زيادة البيان، ٥: ٦٢، وراجع: التبيان، ج ٥، ص ١٦٨.

٥ - التذمة، ٢: ١٧٨.

٦ - البقرة، ٢: ١٧٩.

٧ - البقرة، ٢: ١٨٠.

٨ - التذمة، ٥: ١.

٩ - الإسراء، ١٧: ٣٤.

أصول الشريعة ومبادئها استناداً إلى قوله تعالى: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»^١.
ثالثاً: العتود كلها رضائية،^٢ أي أنها تتعقد بالتراضي، وإليه الإشارة في قوله تعالى:
«إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاحٍ مِنْكُمْ»^٣.
رابعاً: الالتزام بحسن النية في العقد، ويتصد به خلوه من الغبن والغش والتخريب
والتدليس ونحو ذلك.^٤ وهذه الأمور يعتبرها الشرع أكلاً للمال بالباطل، وقد جاء قوله
تعالى: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ»^٥.

٢ - الحقوق الجنائية

أ - كل فعل ممنوع يعتبر ارتكابه جريمة، وكل جريمة لها عقوبة. قال تعالى:
«وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»^٦.
وقال تعالى: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^٧.
وقال تعالى: «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»^٨.
ب - حددت الشريعة في القرآن الكريم جرائم معينة أوجبت عليها نوعاً من العقوبة،
وقد أطلق على هذه الجرائم جرائم الحدود، وهي:
- حد الزنا «النَّزَاهَةُ وَالزَّانِي فَاجْتَدُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ»^٩.
- حد السرقة «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا»^{١٠}.
- ثم جريمة قطع الطريق والسلب وحدها القتل. قال تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ
يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا...»^{١١}.
- ثم جريمة التدف، أي رمي المحصنات بالزنا ونحوه. قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

١ - الزيادة البيان، ص ٤٦٤.

٢ - التدخل الفقهي العام، ج ١، ص ٤٢.

٣ - البقرة ٢: ١٩٠.

٤ - الثوري ٤٦: ٤٠.

٥ - المائدة ٥: ٣٨.

١ - الزيادة ٥: ٢٩.

٢ - الزيادة ٤: ٢٩.

٣ - الزيادة ٥: ٢٩.

٤ - البقرة ٢: ١٩٤.

٥ - الثور ٢٤: ٢.

٦ - المائدة ٥: ٣٣.

المحضات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجدوهم ثمانين جلدَةً ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً. ١ إلا أن القرآن هنا أجاز العنوة لولي الدم ٢ قال تعالى: «فَمَنْ عَفِيَ نَهْ مِنْ أُخِيهِ شَيْءٌ» ٣. وقال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْفَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ٤.

وقد يكون من المناسب أن نورد هنا جملة من المبادئ والقواعد القانونية في إطار القانون الجنائي، ومنها:

١ - لا عقوبة إلا بنص خاص أو عام. قال تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» ٥.
٢ - العقوبة على الجنائي فقط مباشراً أو متسبباً. قال تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» ٦.

٣ - مبدأ المعاملة بالمثل يعتبر ساري المفعول. قال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» ٧.

٤ - جواز الأخذ بمبدأ العنوة في جرم التمثل بالنسبة لولي الدم. قال سبحانه: «فَمَنْ عَفِيَ نَهْ مِنْ أُخِيهِ شَيْءٌ» ٨.



مركز بحوث وتطوير علوم إسيوط

(ثانياً) قسم الحقوق العامة

١ - الحقوق الدستورية

أقرت الشريعة والقرآن الكريم ثلاثة مبادئ أساسية هي:

أ - الحرية التامة للناس دون إخلال بالنظام العام والآداب أو التجاوز على حدود حرية الغير، وفي هذا الصدد نجد:

قوله تعالى: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» ٩.

- | | |
|---------------------|--------------------------|
| ١ - انوار ٤٤: ٤. | ٢ - زبدة البيان، ص ٦٦٧. |
| ٣ - البقرة ٥: ١٧٨. | ٤ - التورى ٤٦: ٤٠. |
| ٥ - الإسراء ١٧: ١٥. | ٦ - ذكرات في خصمة مواضع. |
| ٧ - التورى ٤٦: ٤٠. | ٨ - البقرة ٢: ١٧٨. |
| ٩ - البقرة ٢: ٢٥٦. | |

وقوله تعالى: «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»^١.

وقوله تعالى: «وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»^٢.

ب - المساواة أمام القانون، فلا امتياز لنسب ولا لطبقة من الناس، قال تعالى: «إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^٣. وقال تعالى: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»^٤.

ج - قيام الحكم على أساس الشورى، ونعني به إعطاء الأمة دور الحكم أو الرقابة

والإشراف.

قال تعالى: «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ»^٥. وقال تعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^٦.

٢- الناحية الإدارية

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن لولي الأمر في الدولة صلاحيات إدارية تنفيذية وأن

في يده جميع السلطان. قال تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^٧.



٣- في الناحية المالية العامة

حدد القرآن أن الأموال في واقعها هي للأمة، وإنما الحاكم له النيابة فيها.

قال: الإمام علي (عليه السلام): «لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟»^٨.

وإليه الإشارة في قوله: «وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ»^٩.

وقال تعالى: «فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْنَهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...»^{١٠}.

أما في مجال الحقوق الخارجية - أي في نطاق العلاقات مع المجتمعات الأخرى -

فقد أقر القرآن المبادئ والتواعد الآتية:

- | | |
|----------------------|---|
| ١ - يونس: ١٠، ٩٩. | ٢ - البقرة: ٢، ٦٠. |
| ٣ - الحجرات: ٤٩، ١٣. | ٤ - الأعراف: ٧، ١٨٩. |
| ٥ - الشورى: ٤٢، ٣٨. | ٦ - آل عمران: ٣، ١٥٩. |
| ٧ - الزمراء: ٥، ٥٩. | ٨ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٢٦، ص ١٨٣. |
| ٩ - الحديد: ٥٧، ٧. | ١٠ - الأنفال: ٨، ٤٦. |

١ - الشعوب متساوية في الحقوق الإنسانية:

قال تعالى: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^١.

٢ - المعاملة يجب أن تقوم على أساس العدل:

قال تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ

تَبْرَهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ»^٢. وقال تعالى: «لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدُوا أَعْدَاءَهُمْ وَتُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ»^٣.

٣ - المعاهدات محترمة بين الأمم والدول وهي ملزمة:

قال تعالى: «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ»^٤.

وقال تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا»^٥.

وقد ذكر العلامة الطباطبائي أن الوفاء بالعهد يشمل الفردي والاجتماعي^٦.

٤ - المعاملة بالمثل جائزة، ولا يجوز المحاربة بدون إنذار:

قال تعالى: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^٧.

وقال تعالى: «وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ»^٨.

وقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ»^٩.

والى هنا نكون قد بينا الملامح العامة للنظرية القرآنية، في تقنين المجتمع، على سبيل

الاختصار، ويشنع لنا في هذا الإيجاز أننا إنما نريد أن نرسم صورة كلية، وقد اكتفينا بهذا

التدر، ونعتقد أن فيه كفاية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

١ - الممتحنة ٦٠: ٨.

٢ - الرعد ١٣: ٢٠.

٣ - راجع: الميزان، ج ٥، ص ١٦٩.

٤ - المائدة ٢: ١٩٠.

١ - الحجرات ٤٩: ١٣.

٢ - المائدة ٥: ٨.

٣ - الإسراء ١٧: ٣٤.

٤ - البقرة ٢: ١٩٤.

٥ - البقرة ٢: ٨٤.

شرائع التوراة التعنّية

هذا ما كان من أمر التشريع الإسلامي الراقى الذي جاء مثلاً أعلى في التشريع والذي كان يوافق الفطرة السليمة والعقل الرشيد. وإليك الآن نماذج من تشريعات جاءت في التوراة وكانت تعنّية يرفضها العقل وتبوء بها الفطرة، ويتجافاها واقع الحياة، فهذه الفطرة ومجاهاة، لم يسمح بها خالق الكون ولا رسالاته السمحة السهلة المتلائمة مع واقع الإنسان.

❖ تشريع التوراة يفرض شريعة الحدّ على البهائم المهاجمة:

«وإذا نطح تور رجلاً أو امرأة فمات يرحم التور ولا يؤكل لحمه. وأما صاحب التور فيكون بريئاً. ولكن إن كان توراً نطاحاً من قبل وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة فالتور يرحم وصاحبه أيضاً يقتل».

❖ إله التوراة يكره ذوي العيوب الجسدية أن يتقدموا قرباناً، فيجعل فرقاً بين السليم والسقيم في عبادته.

«وكلم الرب موسى قائلاً: كلم هارون قائلاً: إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه

عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه، لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم، لا رجل أعمى ولا أعرج ولا أفتس ولا زوانيدي، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد، ولا أحدب ولا أكنم ولا من في عينه بياض ولا أجرب ولا أكلف ولا مرضوض الخصى، كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم ليقرب وقائده الرب، فيه عيب لا يتقدم ليقرب خبز إلهه. خبز إلهه من قدس الأقداس ومن القدس يأكل، لكن إلى الحجاب لا يأتي وإلى المذبح لا يقترب، لأن فيه عيباً، لتلا يدنس مقدسي، لأنني أنا الرب مقدسهم، فكلم موسى هارون وبنيه وكل بني إسرائيل»^١.

فتشريع التوراة يحبل من ذوي العيوب الخلقية أرجاساً وأدناساً، ويتعالى قدسه تعالى عن مقاربة هؤلاء.

تشريع التوراة يفرق بين ولادة أنثى وولادة ذكر، فالأم الوالدة نجسة إلى أسبوعين إذا ولدت أنثى، وإلى أسبوع إذا ولدت ذكراً.
شريعة التوراة تجعل من ذوي العاهات أنجاساً:

«إذا كان إنسان في جلد جسده نثي أو عوياء أو لمعة تصير في جلد جسده ضربة برص يؤتى به إلى هارون الكاهن إلى أحد بنية الكهنة، فمتى رآه الكاهن يحكم بنجاسته»^٢.

«وإذا كان رجل أو امرأة فيه ضربة في الرأس أو في الذقن يحكم الكاهن بنجاسته، نثا قرع في الرأس أو الذقن»^٣.

أحكام قاسية في التوراة

✽ من مس ميتاً يكون نجساً سبعة أيام:

١ - سفر لاويين: الإصحاح ٢١، آتد ١٦-٢٤.

٢ - لاويين: الإصحاح ١٢، آتد ١-٧.

٣ - لاويين: الإصحاح ١٤، آتد ٢٩.

«من مس ميتاً ميتة إنسانٍ ما يكون نجساً سبعة أيام. يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً.»
«هذه هي الشريعة، إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام.»

«وكل إناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فإنه نجس.»

«وكل من مس قتيلاً أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام.»^١

❖ المرأة الطامث نجسة ونجس كل ما تليه:

«وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دمماً في لحمها فسبعة أيام تكون في طمئتها، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمئتها يكون نجساً، وكل ما تجلس عليه يكون نجساً، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجساً إلى المساء.»

«وإن اضطجع معها رجل فكان طمئتها عليه يكون نجساً سبعة أيام. وكل فراش يضطجع عليه يكون نجساً.»^٢

❖ «كل إنسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل، قد سب أباه أو أمه دمه عليه.»^٣

❖ «وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل، بالحجارة يرمونه.»^٤

❖ الشعوبية بادية على شريعة التوراة الحاضرة:

❖ الجثة (الميتة وكل ما ذبح على غير الطريقة الشرعية) لا يأكلها إسرائيلي، بل يدفعها إلى الأجنبي الغريب، ذلك أن الإسرائيلي شعب مقدس يترفع عن أكل الجثث.
«لأن كلوا جثت ما تعطونها للغريب الذي في أبوابك فبأكلها أو يبيعها لأجنبي. لأنك

١ - سفر التعداد: الإصحاح ١٩، العدد ١٦ - ١٧.

٢ - لاويين: الإصحاح ٢٠، العدد ٩.

٣ - لاويين: الإصحاح ٢٠، العدد ١٥، العدد ١٩ - ٢٤.

٤ - لاويين: الإصحاح ٢٠، العدد ٢٧.

شعب مقدّس للربّ إلهك...»^١

❖ إذا عسر على أخيك الإسرائيلي أداء دينه فابراه، لكن الأجنبي تطالبه بشدّة.
«لا يطالب صاحبه ولا أخاه، لأنّه نودي بإبراه للربّ. الأجنبي تطالب، وأما ما كان لك
عند أخيك فثبرته يدك منه»^٢

❖ المملوك العبراني يطلق سراحه بعد ستّ سنين.^٣

❖ تحريم الزنا واللواط خاصّ بالاسرائيلي.^٤



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسدري

٢ - انتنبية: الإصحاح ١٥، اتعدد ٣.

٤ - انتنبية: الإصحاح ٢٣، اتعدد ١٧.

١ - انتنبية: الإصحاح ١٤، اتعدد ٢١.

٣ - انتنبية: الإصحاح ١٥، اتعدد ١٢.

القوانين الرومانية

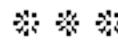
هناك زعمٌ زعمه البعض: أنَّ التشريعات الإسلامية أساسها التشريع الروماني القديم. لأنه هو الأساس لسائر التشريعات البشرية في العالم المتمدن، سواء في الشرق أم الغرب. ومنها التشريع الإسلامي، أيضاً مأخوذ من تشريعات الرومان، الموروثة حينذاك. قال ول ديورانت: كان القانون أخص خصائص الروح الرومانية، وأبقى مظهر من مظاهرها، وكانت روما مضرب المثل في النظام... ولقد أورتتنا شرائعها وتقاليدها الإدارية لتكون هي أسس النظام الاجتماعي، كما أورتتنا بلاد اليونان الديمقراطية والفلسفة اللتين كانتا أساس الحرية الفردية. وأهم ما يجب على الساسة ورجال الحكم هو أن يجمعوا بين هذين الترتين المختلفين المتنافرين ويوحدوا بينهما، ويؤلفوا من نعمتهما المتعارضة المنشطة نعمةً مؤتلفاً منسجماً^١.

قلت: كلامه هذا وإن كان صحيحاً فيما يعود إلى بلاد أوروبا (الغرب) فإنَّ جُلَّ تشريعاتهم وقوانينهم متشعبة من قوانين وأنظمة الرومان ومأخوذة منها لأمحالة حيث لم يكن هناك أيُّ تشريع سواها، ولم يتسرب إليها قانون ولا نظام من غير زاوية الرومان. أمَّا الشرق وبلاد آسيا - ولاسيما الشرق الأوسط - فكان منبع التشريعات والقوانين والأنظمة، سواء البشرية منها والسماوية.

١ - قصة الحضارة، ج ١٠، ص ٣٥٨ باب ١٨ (القانون الروماني).

وكان الشرق الأوسط قد سبق العالم كله في التشريع وسن القوانين، ولا موجب لاستناد التشريعات الآسيوية -سواء البعيدة منها أو المتوسطة- إلى تشريع الرومان المتأخر، والبعيد عنها أفقاً وثقافةً وفي سائر أبعاد الحياة.

هذا، ولاسيما التشريع الإسلامي المترفع كل الترفع عن أي تشريع بشري، روماناً كان أم غيرها. وإليك طرفاً من التشريع الروماني البعيد عن روح التشريعات الإسلامية كل البعد:



كان الكهنة وحدهم الذين يعرفون القوانين والسنن التي لا يكاد يستطيع عمل شيء مشروع إلا بالتابعها، وكانوا في روما هم المستشارين القانونيين. وكانوا هم أول من يبدي الرأي القانوني في مهام الأمور. وكانت القوانين تسجل في كتبهم، وكانوا يحتفظون بهذه الكتب بعيدة عن متناول العامة. وبلغ من حرصهم عليها أن اتهموا في بعض الأحيان بتغيير نصوص القوانين لكي تتفق مع أغراض الأشراف أو رجال الدين.^١

ومن ثم كانت الخطوة التي خطتها مجلس العامة في سبيل نيل حقوقهم أن طالبوا بأن تكون القوانين المدنية واضحة محدودة مدونة وعارض مجلس الشيوخ في هذه المطالب الجديدة معارضة طويلة، ولكنه وافق في آخر الأمر (عام ٤٥٤) على أن يرسل إلى بلاد اليونان لجنة مؤلفة من ثلاثة من الأشراف، لدراسة شرائع صولون وغيره من المشرعين، وكتابة تقرير عنها. فلما عاد الأعضاء اختارت الجمعية عشرة رجال لوضع قانون جديد، وخولتهم أعلى سلطة حكومية في روما مدى سنتين. وكان رئيس اللجنة رجلاً رجعيًا قوي الشكيمة يدعى: ايبوس كلوديوس.

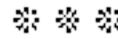
وكانت نتيجة أعمالها أن حوّلت قوانين روما القديمة القائمة على العادة والعرف إلى الاثني عشرة لوحة، وعرضت على الجمعية فوافقت عليها بعد أن عدلتها بعض التعديل، وعرضتها في السوق العامة لمن يريد أن يقرأها.^٢

٢ - المصدر، ص ٥٠-٥١.

١ - المصدر، ج ٩، ص ٦٨.

وكانت مجموعة القوانين التي تحتويها الألواح الاثنا عشر من أشد القوانين التي شهدها التاريخ، ذلك أنها كانت تحتفظ بالسيطرة الأبوية الكاملة القديمة التي كانت للأب في المجتمعات الزراعية العسكرية. فكان يسمح للأب - بمقتضاها - أن يعجل ابنه أو يربطه بالأغلال أو يسجنه أو يبيعه أو يقتله. وكل ما قيّد به سلطة الأب أن يحرّر الابن من سيطرة أبيه إذا بيع هذا الابن ثلاث مرّات.

واحتفظ القانون بما بين الطبقات من فروق، بتحريم الزواج بين الأشراف والعامّة. وكان لدائنين على المدينين حقوق مطلقة من كل قيد. كما كان للملاك الحرّية الكاملة في أن يتصرفوا في أملاكهم عن طريق الوصيّة. وكانت حقوق الملكية تبلغ من القداسة حداً يجعل السارق الذي يضبط متلبساً بجريمة السرقة عبداً للمسروق منه.



وكانت العقوبات تتفاوت، من الغرامة البسيطة إلى النفي أو الاسترقاق أو الإعدام. ومنها ما يجري بطريق التصاص. وكثيراً ما كانت الغرامات تحدّد تحديداً دقيقاً حسب طبقة المعتدي عليه. كانت عقوبة كسر عظام الحرّ ٣٠٠ آس،^١ وكسر عظام العبد ١٥٠ آساً. وكان القذف، والرشوة، والخبث في الأيمان، وسرقة المحصولات الزراعية، وإتلاف غلات الجار ليلاً، وخديعة المحامي للمتقاضين، وممارسة السحر، ودرّس السم في الطعام، والاعتيال، والاجتماع في المدينة ليلاً لتدبير الفتن والمؤامرات... كانت هذه كلّها يعاقب عليها بالإعدام، وكان الابن الذي يقتل أباه يوضع في كيس - ومعه في بعض الأحيان ديك أو كلب أو قرد أو أفعى - ويلقى في النهر.^٢

وظلّ الزنا من الجرائم الصغرى إذا ارتكبه الرجل، أمّا إذا ارتكبه المرأة فكان يعدّ من الجرائم الكبرى ضدّ أنظمة الملكية والميراث. ولكن الزوج لم يبق له وقتئذٍ حقّ قتل زوجته إذا ضبطها متلبسة بجريمة الزنا، بل أُعطي هذا الحقّ لأبيها اسماً وللحاكم فعلاً. وكان عقابها هو النفي.

١ - الآس عملة رومانية من النحاس كانت قوّة شرائها في عام ١٩٤٢ تساوي ١/١٠٠ من الترياق الأمريكي (الدولار الأمريكي). المصدر: ص ٤٧.
٢ - المصدر: ص ٧٠.

وكان القانون يعترف بالتسري بدلاً من الزواج لاصحابه. ولم يكن يجيز للرجل أن تكون له خطبتان في وقت واحد. ولم يكن أبناء السرايا يعدّون أبناء شرعيين أو يجعل لهم حق الإرث. ومن أجل ذلك كان اتخاذ السراي أمراً محبباً لكلّ الحبّ للرجال الذين يتكالب عليهم من يسعون لأن يوصى لهم بأموالهم.^١

وكان القانون يحرم على كلّ روماني يملك مائة ألف سسترس (ما يعادل ١٥٠٠٠ دولار أمريكي) أو أكثر أن يوصي بأيّ جزء من ثروته لامرأة.^٢

كان الشخص الأول في القانون الروماني هو المواطن. وكان تعريفه عندهم هو الشخص الذي ضمّ إلى إحدى القبائل الرومانية بحكم المولد أو التبني أو العتق أو المنحة من قبل الحكومة.

وكان الذي ينطبق عليهم هذا التعريف ينقسمون إلى ثلاث درجات:

- ١ - المواطنون الكاملون الذين يتمتعون بالحقوق الأربعة: حق الاقتراع، وحق التوظيف، وحق الزواج من حرّة بمولدها، وحق الدخول في تعاقد تجاري يحميه القانون.
- ٢ - المواطنون الذين لاحق لهم في الاقتراع. وهم يتمتعون بحق الزواج والتعاقد، لكنهم لاحق لهم في الاقتراع ولا في تولي المناصب.
- ٣ - المعائيق الذين يتمتعون بحق الاقتراع وحق التعاقد. ولكنهم لاحق لهم في الزواج بحرّة أو في تولي المناصب.

وكان للمواطن الكامل المواطنة - فضلاً عن حقوقه السالفة الذكر - حقوق يضمنها له القانون الشخصي ولا يشاركه فيها سواه، كحق الأب على أبنائه، والزوج على زوجته، والمالك على ممتلكاته، وحق الرجل الحرّ على غيره إذا تعاقد معه.

وكان تمة نوع آخر من الحقوق، هو حق المواطنة الإمكانية أو حق الدخول في الحضيرة اللاتينية، تمنحه روما للأحرار من سكّان المدن أو المستعمرات المفضّلة، ويعطيهم حق التعاقد، ولكنه لا يعطيهم حق الزواج بالرومانيات.^٣

٢ - المصدر، ص ٣٧٥.

١ - المصدر، ج ١٠، ص ٣٦٩.

٣ - المصدر، ص ٣٦٦-٣٦٧.

وكان عنوان «الشخص» لا يطلق على العبيد إطلاقاً، ومن تمّ لم تكن تشملهم قوانين الأحوال الشخصية.

قال أول ديورانت: أمّا العبد فلم تكن له حقوق قانونية على الإطلاق، وكان القانون يتردد في أن يطلق عليه لفظ الشخص، وأخيراً سمّاه إنساناً غير شخص. وكان يعدّ من قبيل المتاع، فلم يكن له حقّ أن يمتلك أو يرث أو يورث، ولم يكن يستطيع أن يتزوج زواجاً شرعياً. وكان أبناؤه كلّهم يعدّون أبناء غير شرعيين، كما أنّ أبناء الجارية كانوا يعدّون كلّهم عبيدًا، ولو كان أبوهم من الأحرار.^١

ولم يكن في مقدور العبد أن يتنازلي من يؤذيه أمام المحاكم، إنّما كان ذلك لسيّده. وكان للسيّد أن يضرب عبيده أو يسجنهم أو يحكم عليهم أن يقاتلوا الوحوش في المجتلد، ويعرضهم للموت جوعاً أو يقتلهم لسبب أو لغير سبب. وإذا أبق العبد تمّ قبض عليه كان في مقدور السيّد أن يكويه بالنار أو يعصلبه. وإذا ما استفرّ العبد فقتل سيّده قضى القانون بأن يقتل جميع عبيد المقتول.^٢

وكانت القوانين تحكم على السارق الذي يُضبط بالضرب، تمّ يجعل بعدئذٍ عبداً لمن سرق منه. فإذا كان السارق عبداً ضرب تمّ لثني به من فوق صخرة.

ثمّ خفّف القانون هذه العقوبات القاسية بأن فرض عليه أن يردّ إلى المسروق منه ضعف ما سرقه أو ثلاثة أضعافه أو أربعة أضعافه.^٣

وكان القانون يحرم قتل الأبناء إلا إذا كانوا مشوهين أو مصابين بمرضٍ مستعصي على العلاج. وكان عقاب من يجهض حاملاً أن ينشئ من البلاد وأن تصدر أملاكه.

وكان الأبناء أيتاماً كانت سنّهم يقون تحت سلطان أبيهم إلا إذا باعهم عبيداً ثلاث مرّات. وكان الابن إذا تزوج في حياة أبيه كانت ولاية أبنائه لجدهم.^٤

وكان الطفل يجد نفسه وقد اندمج كلّ الاندماج في شخص النظم الرومانية الأساسية وأقواها أترأ وهو نظام الأسرة الأبوية. وتكاد سلطة الأب في هذه الأسرة أن تكون سلطة

٢ - المصدر، من ٣٧٠ - ٣٧١.

١ - المصدر، من ٣٧٠ - ٣٧١.

٤ - المصدر، من ٣٧٠.

٣ - المصدر، من ٣٧٧.

مطلقة من كل القيود، كأنما الأسرة قد نظمت لتكون وحدة عسكرية من جيش في حرب دائمة. وكان الأب وحده دون سائر أفراد الأسرة هو الذي له حقوق قانونية في عهد الجمهورية الأولى، فهو وحده الذي كان من حقه أن يشتري المُلْك ويحتفظ به أو يبيعه، وأن يتعاقد باسمه، وحتى بائنة الزوجة كانت في ذلك العهد مُلكاً له. وإذا ما اتهمت زوجته بجريمة أُحيلت إليه ليحاكمها ويعاقبها بنفسه، وكان في مقدوره أن يحكم عليها بالإعدام إذا خانت أو سرقت مفاتيح خزائن خمره.

وكان له على أبنائه حق الحياة والموت أو بيعهم في الأسواق بيع الرقيق. وكان كل ما يكسبه الابن يصبح في نظر القانون ملكاً خالصاً لأبيه. ولم يكن من حقه أن يتزوج من غير موافقة والده. وكانت البنت إذا تزوجت بقيت تحت سلطان أبيها، إلا إذا سمح لها أن تتزوج زوجاً يسلمها إلى يد زوجها أو وضعها تحت سلطانه. وكان له على عبيده سلطة لا حد لها، فكان هو وزوجته وأبناؤه ملك بدم.

وكان يحرم على المرأة أن تظهر في دار المحكمة ولو كانت شاهدة. وإذا مات زوجها لم يكن لها أن تطالب بأي حق لها في ماله، وكان له إذا شاء أن يحرمها من أن تترك شيئاً من هذا المال. وكانت في كل أدوار حياتها تحت رقابة رجل - أبيها أو أخيها أو زوجها أو ابنها أو وصي عليها - لا تستطيع أن تتزوج أو تتصرف في مالها بغير رضاه.

لكنها كان من حقه أن تترك، وإن حُدّد هذا الميراث بما لا يزيد على مائة ألف دولار (أي نحو ١٥٠٠٠ دولار أمريكي). أمّا التملك فلم يكن مقيداً بحد أقصى.



هذا طرف من قانون الأحوال الشخصية الذي سنّه التشريع الروماني ذلك العهد، وقد عمّ أرجاء بلاد الغرب إلى وقت قريب.

غير أنه يتنافى كل التنافي مع روح القوانين الإسلامية في جميع مجالات التشريع، منذ بدء تكوينه في الأبد، ولنذكر نماذج منه:

لاشعوبية في الإسلام

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم
شُعوباً وقبائل لنعرفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ.»

جاء الخطاب عاماً لجميع الناس، لا يخص أمة دون أخرى، ولا شعباً دون شعب، بل
الناس كلهم سواء في هذا النداء. وهذه المساوية جاء لهم من قبل الولادة، كلهم من نسلٍ
واحد ومن أصلٍ واحد، من ذكرٍ وأنثى هما: آدم وحواء.

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
وإنما اختلفوا شعوباً وقبائل، حسب اختلاف المناطق التي ارتحلوا إليها، واختلاف
عاداتهم ورسومهم، واختلاف ثقافتهم، ومن تمّ اختلاف ألسنتهم وبيئتهم التي يعيشونها.
وإنّ هذا الاختلاف كان نتيجة رحلاتهم في أرجاء الأرض بسبب تكثرهم وازدحام
مطالبيهم في الحياة، ومن تمّ تفرّقوا في البلاد لطلب الميرة واكتساب الأرزاق، فكانت
تلك الاختلافات نتيجة تلكم الرحلات.

لكن هذا الاختلاف في البيئة والثقافة ومستتبعاتهما هل يستدعي اختلافاً في

النسب والأصالة الذاتية، الكائنة في كل أبناء آدم وحواء؟ كلاً ثم كلاً.

نعم، إن الذي يفيد هذا الاختلاف في المعيشة وأسبابها وسائر أنحاء الاختلاف إنما يفيد تعارفاً وتفاهماً بين الشعوب، فتتعرف كل أمة ما اكتسبته أمة أخرى من علوم ومعارف وفنون، وآداب وأخلاق وسلوك، فيختاروا أحسنها وأنسبها بالحالة التي هم عليها. «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ».

فلا فضل لأمة على أختها ولا شعب على آخر، إلا بمقدار تعهداتها في الحياة، ورعايتها للكرامة الإنسانية العليا. لا شرف إلا بالتقوى وهو التعهد بمبادئ الإنسانية الكريمة، على شرط أن لا يفخر المتفضل على غيره، وإنما يترحم عليه لينتسله ويأخذ بيده صعداً على مدارج الكمال.

قال سيد قطب: القرآن يهتف بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها، ليردّها إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد، هو الذي تقوم به تلك الجماعة المختارة الصاعدة إلى ذلك الأفق السامق.

يا أيها الناس المختلفون أجناساً ولواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل، إنكم من أصل واحد. فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تحاصموا ولا تكذّبوا بهدداً.

«يا أيها الناس» والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم «من ذكر وأنثى» وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم «شعوباً وقبائل» إنها ليست للتناحر والخصام، إنما هي التعارف واللونان. فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطباع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات فتتوزع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هناك ميزان واحد تتحد به القيم، ويعرف به فضل الناس: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». والكرام حقاً هو الكرام عند الله، وهو يزنكم عن علم وخبرة بالقيم والموازين. «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ خَبِيرٌ».

وهكذا تستط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان. وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: الوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد.

كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقتفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينتد البشرية من عتاييل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت. وكلها من الجاهلية وإيها، تتزيًا بشئ الأزياء، وتسمى بشئ الأسماء. وكلها جاهلية عارية من الإسلام.

وقد حارب الإسلام هذه العصبية في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله، لاراية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت ولا راية الجنس. فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم، أو ليكونوا أهون على الله تعالى من الجعائل».

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة».

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لونها من ألوانه فتخفق، لأنها لاتسلك إليه الطريق الواحد المستقيم، الطريق إلى الله، ولأنها لاتقف تحت الراية الواحدة المجمععة: راية الله.

وروي: أن النبي ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة، وهو على راحلته، فحمد الله وأتى عليه بما هو أهله. ثم قال:

١ - في خلال القرآن، المجلد ٤، ص ٥٢٧، ومجمع البيان، ج ٩، ص ٥٢٧.

«يُيْهَى النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظَمَهَا بِأَبَائِهِمْ. فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَرَجُلٌ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ: «أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ».»^١

وفي رواية أخرى: خطبهم فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ بِالْإِسْلَامِ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَاخُرَهَا بِأَبَائِهَا. إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَوَالِدَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ لِسَانٌ نَاطِقٌ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ فَهُوَ عَرَبِيٌّ. أَلَا إِنَّكُمْ مِنْ آدَمَ، وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ، وَإِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.»^٢



مركز تحقيقات كتابية وعلوم اسلامی

١ - تفسير الصراحي، ج ٢٦، ص ١٤٤ والآية ١٣، من سورة الحجرات.

٢ - تصانيفي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥٩٤-٥٩٥؛ وتفسير القشيري، ج ٢، ص ٣٢٦.

الإسلام يرفض الطبقة

الناس جميعاً تجاه القانون الإسلامي سواء، لا فرق بين شريف ووضيع، ولا يفضل أمير على سوقي أمام المحاكم التضيائية ولا في الأحوال الشخصية وغيرها في الحقوق والجزاء، فالحقوق سواء والعقوبات سواء.

وهذا النظام الطبقي الذي سبّه قانون الرومان - وعلى غرار سائر القوانين ولا يزال - مرفوض في نظام الإسلام العادل. وليس لأي مواطن في ظلّ الحكم الإسلامي فضيلة ولا رفعة على مواطن آخر، من الوجهة القانونية بوجه عام.

وقد مرّ عليك حديث: «إِنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَوَالِدَةٍ وَإِنَّمَا هِيَ لِسَانٌ نَاطِقٌ». قاله الرسول الأعظم ﷺ يوم غلب الإسلام كله على الشرك كله، يوم فتح مكة المكرمة.

فليست الرومانية ولا الفارسية ولا العربية بذات أصالة في قاموس الإسلام، لأنّ الرومانية والفارسية والعربية وغيرها من لغات الأقاليم إنما هي السنة واللغات، فمن تكلم بها صار من ذويها، سواء أكانت ولادته في نفس البلاد أم في خارجها، بعد أن كانت هذه أمور اعتبارية محضّة وليست بذات أصالة.

فلا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لأبيض على أسود، إذ لا فضل للغة على لغة ولا للون على لون، لأنّها اعتباريات.

إذاً لا يعترف القانون فضلاً لأحد على آخر، من أي أمة كان وبأي لغة تكلم.
كما أن في ظلّ الحكم الإسلامي كان الجميع سواء في الاقتراع والتزواج والتوظيف
والتجارة وسائر الشؤون الاجتماعية، السياسية والانتظامية والاقتصادية والثقافية،
وغيرها.

قال رسول الله ﷺ في خطبة خطبها:

«إنّ الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المسط، لافضل للعربي على العجمي،
ولالأحمر على الأسود إلا بالتقوى».

قالها على أثر قولة بعض الصحابة حيث رأى من النبي والمسلمين تجليلاً بمقام
سلمان فقال: من هذا العجمي المتصدّر فيما بين العرب. فسمعها رسول الله ﷺ وخطب
خطبته تلك.

ثم قال - تعقيباً عليها - سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد. سلمان من أهل البيت
وسلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

الحزبة والمسلاوة فب ظل الإسلام

الإسلام يرى أن الناس كلهم جميعاً خلقوا أحراراً، ولبعشوا أحراراً، ولبعشوا
بحقوق الإنسانية جميعاً سواء. قال علي عليه السلام: الناس كلهم أحرار.^١
لكل إنسان حق الانتخاب، وحق الرأب والنظر فب الأمور العائة وكذا فب الشؤون
الخاصة، على سواء، لبس هناك ساءة ولا رعابة، بما تحوبه هاتان الكلمتان من معنى فب
الأعراف القديمة، وربما لا يزال.

فكل إنسان له حق وعلبه حقوق، سواء الذكر والأنثى، والسادة والسوقة، وما إلى
ذلك من فوارق فب الجنسية أو فب الصنف والوصف، ممّا لا فبوجب مبراً فب القانون
الإسلامي ببب أفراد ببب الإنسان.

الإسلام يرى ببب نوع الإنسان أعضاء بدن واحد وأتلاء جسء واحد «ببعضكم ببب
بعض».^٢

الإسلام لا فبفضل حرراً على عبء، ففب الحديث: من قتل عبءه قتلناه، ومن جءع عبءه

١ - وسائل الشببة، ج ٢٣، ص ٥٤، باب ٢٩ كتاب التنبق، رقم ١.

٢ - اتداء ٥: ٢٥.

جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناها، أنتم بنو آدم وآدم من تراب.^١

وقال رسول الله ﷺ فيما روي عنه:

«لا لفضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى.»^٢

وفي حديث: «لله ﷻ رأي رجلأ ركب وخلفه عبده يجري فقال له: احمله خلفك فإنه أخوك وروحه مثل روحك.»^٣

وفي ذلك يقرر أن العلاقة بين السادة والعبيد ليست علاقة الاستعلاء، والاستعباد، أو التسخير والتحقير، وإنما هي علاقة القربى والأخوة، فالسادة أهل للمجارية يستأذنون في زواجها:

«فَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نَبِيَّاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.»^٤

ففي الحديث: لا يقل أحدكم: هذا عبدي هذه أمتي، وليقل: فتاتي وفتاتي.^٥

انظر إلى هذه الرأفة والشفقة بشأن العبيد والإماء ذلك العهد الذي كان ينس المماليك منه تحت ضغط الموالى ولا يرون للمعبد شأناً في الحياة ولا كرامة في الإنسانية وقد كانت الأمم الأخرى كلها تعتبر الرقيق جنساً آخر غير جنس السادة، إنما خلق ليستعبد ويُسْتَدَلُّ وَيُسْتَحْقَرُ، فكانوا يعاملونهم معاملة الأمتعة الرذيلة لا الثمينة، ومن تم كانت ضمائرهم لا تتألم من قتل العبيد أو تعذيبهم - كما مرّ عليك في قانون الرومان - وهكذا كان اليهود يعتقدون أن الرقيق خلقوا من قدم الإله، ومن ثمّ فهم بخلقهم حقراء مهينون،

١ - أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، راجع: شبهات حول الإسلام تمديد قطب، ص ٣٣.

٢ - رواه مسلم وأبو داود، راجع المصدر السابق.

٣ - أخرجه الطبري في آداب النفوس، راجع المصدر السابق، ص ٣٤.

٤ - المصدر.

٥ - التمهيد، ص ٢٥.

٦ - شبهات حول الإسلام، ص ٣٤.

ولا يمكن أن يرتفعوا عن هذا الوضع المقدّر لهم.

أمّا مسألة الرقيّة فلم يعترف بها الإسلام - منذ أوّل يومه - كما كانت عليه الأمم حينذاك. كان العالم المتمدّن يومذاك يرى من اللون والجنسية دليلاً على الرقيّة، وإنّ ذا اللون الأسود أو المتغيّر أو العائش في بلاد نائية عن الأوساط المتمدّنة إنّما خلق ليكون مملوكاً للإنسان الأبيض العائش في أوساط البلاد. فالإفريقي بطبعه حرّ وخُلِق حرّاً وليكون سيداً مالِكاً، أمّا الإفريقي، فهو بذاته قنّ وعبد مملوك وخُلِق لخدمة الأحرار، وربما لا يستحقّ إطلاق اسم الإنسان عليه.

ومن تمّ كانت أفواج الإفريقيين تساق إلى بلاد حوزة البحر المتوسط، وتباع هناك بأثمان بخس. وكان الإفريقيون يصادون كما يصاد الحيوان الوحش لأجل الاستخدام والعرض في أسواق العالم.

هكذا كان قسط كبير من عالم الإنسان، يهان به ويعتبر أخسّ من الحيوان بل النبات والجماد، فلا يعتبر إنساناً أصلاً. هكذا كان يفعل العالم المتمدّن يومذاك، وبسلي، العمل بين نوعه، لا لشيء إلا لتضيئة اللون والبعد عن أوساط البلاد.

الإسلام لم يعترف بهذا استرقاق، وبهكذا عمل وحشي ملؤه الظلم والاستكبار المقيت.

ومن تمّ نراه - في كثير من مجالات الشريعة - فتح الباب بمصراعيه أمام تحرّر المماليك بشكل مطّرد.

قام الإسلام بالتحرّر الروحي - في الأرقاء - قبل قيامه بتحرّرهم الجسمي، فقد جعلهم متساوين مع السادة في الروح والإنسانية وسائر الحقوق، هذا أولاً. ثمّ مهّد السبيل

لتحرّره الواقعي بشئى أُنحائه الممكنة يومذاك. فقد قرّر صرف قسط كبير من الصدقات في سبيل تحرير الأرقاء:

«إِنَّمَا أَنْصَدَقْتُ لِإِنْفُقَارِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْثِقَةَ فُنُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^١
 كما حتّ على إعتاقهم في سبيل الله وجعله من البرّ الذي يستدعيه الإيمان بالله واليوم الآخر:

«لَيْسَ أَكْبَرُ أَنْ تُؤْتُوا رُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
 وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
 عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالنَّصْرَاءِ وَحِينَ أَنْبَأْتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنَّ يُرْسَلُونَ
 أَلْتَلْفُونَ»^٢

قال الطبرسي: قوله تعالى: «وفي الرقاب» فيه وجهان، أحدهما: عتق الرقاب بأن يشتري ويعتق، والآخر: في رقاب المكاتبين والأيّة المحتملة للأمرين، فينبغي أن تحمّل عليهما.^٣

فمعنى قوله: «وفي الرقاب» هو صرف المال في سبيل الإعتاق بأية وسيلة كانت.
 وقال تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكٌ رَّقِيبَةٌ. أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي
 مَسْعَافَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ. ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
 وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُحْسِنَةِ»^٤

العقبة كناية عن ركوب الصعاب، والمراد هنا: المشقة على النفس، وذلك ببذل المال في سبيل الله، الذي هو دليل الإيمان الصادق.

٢ - البقرة: ١٧٧.

١ - التوبة: ٩، ١٠.

٤ - البقرة: ١٧٧-١٧٨.

٣ - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٦٣.

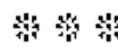
فأول ما بدأ به فك الرقاب. قال العلامة الطباطبائي: لكمال عناية الدين بفك الرقاب^١ وأيضاً فمن العناية بشأن فك الرقاب جعله كفارة لبعض الآثام، كقتل الخطأ والحنث في الأيمان والإفطار في شهر رمضان ونحو ذلك، مما ينبؤك عن حرص الإسلام على فك الرقاب بأية وسيلة متاحة وفي أية فرصة ممكنة، وذلك تمهيداً للقضاء على قضية الاسترقاق نهائياً.

فمما جاء في قتل الخطأ قوله تعالى:

«وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»^٢.

انظر إلى هذا التأكيد والتكرار في مسألة تحرير الرقاب، وجعلها أول ما بدأ به من كفارة القتل.

وكفارة قتل العمد - ولو كان المقتول مملوكاً له أو غيره - هي الجمع بين الخصال: تحرير رقبة، وصيام شهرين متتابعين، وإطعام ستين مسكيناً.^٣



حتى لقد ورد: أن من ضرب مملوكه - ولو بحق - فعليه أن يعتقه، كفارة لذنبه الذي ارتكبه.^٤

وفي كفارة حنث الأيمان:

«لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالَّذِينَ بَانَغُوا فِي آيْمَانِكُمْ وَلَنْ يَكُن بِؤْأَخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْآيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ

١ - التيزان، ج ٢٠، ص ٤٢٢. ٢ - التذكار، ج ٤، ص ٩٢.

٣ - وسائل الشريعة، ج ٢٢، ص ٣٩٨، باب ٢٨ من أبواب التكفارات، وحسب ٤٠٠، باب ٢٩ منها.

٤ - المنصور، باب ٣٠، ص ٥٠٦.

ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا خَلَفْتُمْ وَاتَّقُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^١

قال الطبرسي: أي كفارة ما عقدتم إذا حنثتم. واستغنى عن ذكره لأنه مدلول عليه، لأن الأمة قد اجتمعت على أن الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث، وهكذا ورد في الحديث^٢

وهكذا في كفارة خلف النذر، فإنها كفارة حنث اليمين^٣.

وكذلك كفارة شق الثوب في المصاب أو جرح الشعر أو تشفه^٤.

وفي كفارة الظهار:

«وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْمَآءَا ذُنُوبَكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْمَآءَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ نَتُومِنُوا بِاللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَسَتُّكَ حُدُودُ اللَّهِ وَاللَّكَّافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^٥

انظر إلى هذا التأكيد والإصرار في فتح الرقاب، وقد عدل بصوم شهرين وإطعام ستين

مسكيناً، فهو عدل عبادة وإسداء خدمة للمخلوق المحتاج

ومن ثم فإن الاعتناق عبادة توجب التقرب بها إلى الله.

ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع): «لا عتق إلا ما أريد به وجه الله تعالى»^٦.

وكذا كفارة الإفطار عمدًا وبلا عذر، في شهر رمضان، فعن كل يوم: عتق نسمة (أو)

صيام شهرين (أو) إطعام ستين مسكيناً.

١ - التائفة ٥، ٨٩.

٢ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٢٨؛ وراجع: وسائل الشيعة، ج ٢٢، ص ٣٨٩، باب ١٩ من أبواب التكفارات.

٣ - وسائل الشيعة، ج ٤٢، ص ٣٩٤، باب ٤٣ من أبواب التكفارات.

٤ - انصهر، ص ٤٠٢، باب ٣٦ من أبواب التكفارات. ٥ - التجدد ٥٨، ٣، ٤.

٦ - وسائل الشيعة، ج ٢٣، ص ١٤، باب ٤ من أبواب العتق.

هكذا ورد في الحديث عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

على أن هناك في الشريعة الإسلامية حثاً بليغاً على تحرير الأرقاء، عملاً مندوباً إليه في كثير من الأحاديث وفي كثير من المناسبات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعتق مسلماً أعتق الله بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النار.

وفي الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في الرجل يعتق المملوك، قال: يعتق الله عزَّ وجلَّ بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النار. ولقد أعتق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ألف مملوك لوجه الله عزَّ وجلَّ كان قد اشتراهم من كذا يمينه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أربع من أتى بواحدة منها دخل الجنة: من سقى هامة ضامته، أو أسبع كبداً جائعة، أو كسا جلدة عارية، أو أعتق رقبة عانية.^١

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: يستحبُّ للرجل أن يتقرب إلى الله عشية عرفة ويوم عرفة بالعتق والصدقة.^٢

وعنه عليه السلام أيضاً: من كان مؤمناً فقد عتق بعد سبع سنين، أعتقه صاحبه أو لم يعتقه ولا يحلُّ خدمة من كان مؤمناً بعد سبع سنين. والحديث صحيح الإسناد، وحمل على استحباب عتقه.^٣

كما أن هناك أسباباً قهرية للاعتاق:

منها: ما إذا ملك الإنسان أحداً من آبائه أو أولاده أو إحدى النساء المحرّمات عليه. و يستحبُّ عتق ما إذا ملك أحد الأقارب غير المحرّمات.^٤ وأن حكم الرضاع في ذلك حكم

١ - المصدر، ج ١٠، ص ٥٦، من أبواب ما يملك عنه الصائم، ج ٥.

٢ - المصدر، ج ٢٣، ص ٩، ١٤، باب ١ من أبواب العتق حديث ٧ و ١ و ٦ و ٩.

٣ - المصدر، ص ١٢، باب ٢. ٤ - المصدر، ص ٥٩، باب ٣٣.

٥ - المصدر، ص ١٨، باب ٧ من أبواب العتق، ص ٢٨، باب ١٣ منها.

النسب^١

ومنها: أن من أعتق نصيبه في مملوك كلف شراء باقيه وإعتاقه أجمع. فإن كان معسراً استسعى المملوك بنفسه للانعقاد.^٢

ومنها: أنه إذا مَثَّل بعبده أو نكل به اعتق.^٣

ومنها: أنه إذا عمى المملوك أو أقعد أو جذم العتق^٤ وكانت نفقته على مولاه إذا لم يجد حيلة.^٥

ومنها: أن من أعتق شيئاً (النصف أو الربع أو نحو ذلك) من مملوكه، أصبح المملوك حرّاً طلقاً. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيمن أعتق بعض غلامه: هو حرّ كله، ليس لله شريك.^٦

ومنها: ما إذا حملت الأمة من مولاه فإنه لا يجوز له بيعها ولانقلها إلى غيره، فتبقى لتحرّر بعد موت سيدها من إرث ولدها.^٧

وبعد، فقد جاء الإسلام ليردّ على الأرقاء إسايتهم المنقودة طيلة قرون وفي أوساط العالم المتمدّن يومذاك. جاء ليقول للسادّة عن الأرقاء: بعضكم من بعض، ومن قتل عبداً قتلناه، ومن جدد عبداً جددناه، ومن ظلم عبداً اقتصصنا منه مثلاً بمثل، وأن لا فضل لسيّد على عبده لمجرد أن هذا سيّد وهذا عبد، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، جاء ليقرّر وحدة الأصل ووحدة المنشأ والمصير.

وإنّ السادة ليسوا أصحاب فضل حين ينتفون على عبيدهم، لأنهم جميعاً في وضع واحد، في كنف الله وتحت حمايته، وهو رازق الجميع على سواء: السادة والعبيد.

«وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي التَّرْزُقِ فَمَا اتَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ»^٨.

١ - المصدر، ص ٢٢، باب ٨ منها.
 ٢ - المصدر، ص ٤٣، باب ٢٢ منها.
 ٣ - المصدر، ص ٣٠، باب ١٤ منها.
 ٤ - المصدر، ص ١٦٩، باب ١ من أبواب الاستيلاء.
 ٥ - المصدر، ص ٤٦، باب ١٨ منها.
 ٦ - المصدر، ص ٥٤، باب ٢٣ منها.
 ٧ - المصدر، ص ١٠٠، باب ١٤ منها.
 ٨ - التحل ١٦: ٧٦.

وإن على السادة أن يحترموا مواضع العبيد لأنهم إخوانهم في الدين ومتساوون معهم في الإنسانية، فيحترمواهم كما يحترموا الوالدين والأقربين بالمعروف:

«وَبِأُولَئِكَ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا»^١.

فالإحسان بالمملوك كالإحسان بالوالدين والجيران، من لوازم الإيمان الصادق، وكان التمرّد عن هذا القانون السماوي العادل انحرافاً في حزب الشيطان وخيلاً وافتخاراً بغيضاً يبغضه الإسلام.

فقد أصبح الرقيق في ضلّ الحكم الإسلامي - في ذلك العهد المظلم - كائناً إنسانياً له كرامته يحميه القانون، ولا يجوز الاعتداء عليه بالقول ولا بالفعل.

فقد رفع الإسلام بالرقيق إلى مستوى الأخوة الكريمة: لافي عالم المثل والأحلام، بل في عالم الواقع، ومنحه إنسانيته وكرامته التي خلق عليها متساوياً مع السادة الأحرار.

وهذا هو التحرير النفسي للأرقاء، قام به الإسلام حرقاً لسائر النظم التي كانت سائدة ذلك العهد.

وهذا تمهيد في سبيل الوصول إلى تحريرهم الواقعي الذي كان يبدو ممتنعاً ذلك الوقت، غير أن تمهيد السبيل إليه أصبح ممكناً، وقد قام به الإسلام بكل جهده.

لقد كانت هذه الخطوة التي خطاها الإسلام - وكانت ناجحة - هي في الواقع كانت تحريراً روحياً للأرقاء، يرد إليهم الإنسانية، ويعامل معهم على أنهم بشر لا يفترون عن السادة من حيث الأصل والنسب الإنساني الكريم. وأن الرقبة كانت حصيللة ظروف وأعراف طارئة، عارضت سبيل الحرية الخارجية للأرقاء، ولا بد أن تزول يوماً والإسلام من ورائه.

والذي عمله الإسلام ذلك الوقت هو أنه لم يكتف بذلك التحرير الروحي، بل تجاوزه إلى تحرير واقعي (خارجي) وبنى قاعدته الأساسية العظمى وهي: المساواة الكاملة بين البشر، وهو تحرير كامل لكل البشر. ولذلك عمل فعلاً على تحرير الأرقاء بوسيلتين كبيرتين: هما العتق والكتابة - على ما أمرت عليك -.

وبذلك كان الإسلام قد خطا خطوات فعلية واسعة في سبيل تحرير الأرقاء.

لكن لماذا لم يخط خطواته النهائية، ولم يقل كلمته الأخيرة حينذاك؟

ومن ثمّ قد يخطر بالبال: إذا كان الإسلام قد خطا هذه الخطوات كلها نحو تحرير الأرقاء، وقد سبق العالم كله متطوعاً غير مضطّر ولا مضغوط عليه، فلماذا لم يخط الخطوة الحاسمة الباقية، فيعلن بصراحة كاملة إلغاء الرقّ من حيث المبدأ، وبذلك يكون قد أسدى للبشرية خدمة كبرى، فيكون هو النظام الأكمل والجدير بأن يصدر عن الله الذي كرم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق؟

لكن ينبغي قبل كل شيء أن نذكر حقائق اجتماعية وحياتية وسياسية واقتصادية، كانت أحاطت بمسألة الرقّة في العالم المنحصر آنذاك، وكانت سبب تأخير هذا الإعلان المرتقب بإلحائها.

يجب أن نذكر أن الإسلام جاء والرقّ نظام معترف به في جميع أنحاء العالم، بل كان عملة اقتصادية واجتماعية متداولة، لا يستنكرها أحد، ولا يفكر في إمكان تغييرها أحد، لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً يحتاج إلى تدرّج شديد و زمن طويل. وقد احتاج تحريم الخمر وإبطالها إلى بضع سنوات، في حين أنها كانت عادة شخصية، وربما كان بعضهم يتعفّفون عنها، ويرون خبئها وقذارتها، بما لا يليق بذوي النفوس العالية. والرقّ كان أعمق في كيان المجتمع و نفوس الأفراد، ولم يكن أحد يستنكره - كما أسلفنا - لذلك كان إبطاله في حاجة إلى زمن أطول بكثير، ممّا لا تتسع له حياة الرسول ﷺ، وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم والتشريع، والله أعلم بمن خلق وبما خلق.

فالذي قدّمه الإسلام هو تمهيد السبيل لإبطال هذا النظام رأساً، ولعلّه كان لوقت

قريب لولا عرقلة السبيل بما لا يكاد يعترف به الإسلام.

لكن تلك الخطوة التي خطاها الإسلام، كانت خطوة جريئة، وانتفاضة غريبية في وجه نظام الرق، بحيث لم تكن البشرية تشرقيها في مثل ذلك الوقت، وخرق للنظام الحاكم على جميع أرجاء العالم.



تلك إجابة أجابها بعض الكتاب الإسلاميين، تبريراً لموقف الإسلام تجاه الرقبة في وقته المبكر.

وإجابة أخرى لعلها أعمق وأقطع لجذور السؤال: وهو أن الإسلام قد ألغى الرقبة من أساسها والتي كانت معهودة ذلك الوقت، كان استرقاق الأقوياء للضعفاء أمراً معهوداً ومعترفاً به - كما أسلفنا - الأمر الذي لم يعترف به الإسلام أصلاً.

الإسلام لا يرى استيلاء القوي على الضعيف سبباً للاسترقاق، كما لا يرى اللون وغيره من الفوارق الطارئة سبباً. ويرى ما كان يعترف به ذلك النظام ظلماً وعدواناً على البشرية ونقضاً لدعائم الإنسانية الكريمة.

وإذا لم يكن ذلك سبباً فما هو السبب الآخر؟ وإذ ليس شيء آخر يخلف ذلك النظام العاشم، فإنه يصبح ملغى لامحالة.

وبالجملة فأسباب الرقبة التي كانت معهودة لذلك الحيز هي بأجمعها ملغاة لدى شريعة الإسلام، ولا سبب غيرها ذلك الوقت، ولامحالة فنظام الرقبة ملغاة نهائياً، حسب المتعارف آنذاك.

نعم، الإسلام يرى من أسباب الرقبة كلها ملغاة سوى سبب واحد - وهو استرقاق المعتدي على الإنسانية، المقدم على هتك حرمتها، فاستوجب لنفسه الإعدام والمحو عن الوجود، قطعاً لجذور الفساد في الأرض - فالإسلام يعطوفته وسماحته السماوية - لأنه

١ - راجع: شبهات حول الإسلام، ص ٣٩. وقد كتبنا مقالاً تفصلياً بشأن إلغاء نظام الرقبة، رأسيه بصورة تدريجية تنتهي إلى هذا الإلغاء التام. (الجزء السابع من التمهيد).

جاء رحمة للعالمين - أجاز الاستبدال من قتله باسترقاقه، إبقاءً لنفس بشرية - مهما كانت رذيلة - علته يصلح ويهتدي إلى الصلاح، إذا وقع تحت التربية المباشرة وفي ظل نظام الإسلام الحنون.

الإسلام إنما أجاز الاسترقاق في ميادين القتال، القتال مع الكفار وأعداء الإنسانية والإسلام، لا سبب للاسترقاق سواه. وإذا لم يكن سبب آخر فمعناه رفض سائر الأسباب التي كانت معهودة لحدوث ذلك الوقت، والتي كانت متداولة لاسترقاق الأناسي لغير سبب معقول.

جاء في كتاب «شرائع الإسلام» لنجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلبي (٦٠٢-٦٧٦) بشأن الأسارى:

«فالإناث يُملكن بالسبي - ولو كانت الحرب قائمة - وكذا المذاري... والمذكور البالغون يتعين عليهم القتل، إن كانت الحرب قائمة، ما لم يسلموا... وإن أسروا بعد تقضي الحرب لم يقتلوا، وكان الإمام مخيراً بين العنّ والنداء والاسترقاق»^١

وهذا الحكم مستند إلى عدة أحاديث مروية، منها حديث طلحة بن زيد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان أبي (الإمام الباقر عليه السلام) يقول: إن للحرب حكماً:

إذا كانت الحرب قائمة ولم تضع أوزارها ولم يتحن أهلها فكل أسير أخذ في تلك الحالة فإن الإمام فيده بالخيار إن شاء ضرب عنقه أو قطع يده ورجله، حيث قال تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ»^٢.

قال الراوي: سألته عن النفي من الأرض. قال: ذلك الطلب، أن تطلبه الخيل حتى يهرب. فإن أخذته الخيل حكم عليه ببعض الأحكام التي وصفت لك.

قال عليه السلام: والحكم الآخر، إذا وضعت الحرب أوزارها وأتحن أهلها فكل أسير أخذ على تلك الحال فكان في أيديهم فالإمام مخير إن شاء من عليهم فأرسلهم، وإن شاء

فاداهم أنفسهم، وإن شاء استعبدهم فصاروا عبيداً^١.

قال صاحب الجواهر: وهذا الحديث قد عمل به الأصحاب، فهو الحجّة في الباب^٢.
 وإلى طرف من هذا الحكم جاءت الإشارة في الآية الكريمة: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
 عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْيُنُهُمْ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ
 الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ
 الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا نَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِمَامًا مَّتَابِعُذًا وَإِمَامًا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ
 أَوْزَارَهَا»^٣.

قال الطبرسي: فإذا أسروا فالإمام مخير بين المنّ والفداء والقتل والاستعباد. وهو قول
 الشافعي وأبي يوسف ومحمد بن إسحاق. وقيل: إن الإمام مخير بين المنّ والفداء
 والاستعباد، وليس له القتل بعد الأسر. عن الحسن. وكأنه جعل في الآية تقدماً وتأخيراً،
 تقديره: فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال: حتى إذا أختتموهم.

ثم ذكر المروي عن ثمة المهدي صلوات الله عليهم بما ذكرناه^٤.



ويتلخص حكم الأسارى، في أنهم إن أخذوا وقبض عليهم في حالة كون الحرب
 قائمة فإنهم حينذاك يقتلون لامناص منه. وإن أخذوا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فإن
 الأمر بشأنهم منوط بما يراه الإمام مصلحةً في حينه: فإمّا أن يطلق سراحهم - إذا لم يكن
 إطلاقهم خطر على المسلمين، بأن يلحقوا بمعسكر العدو من جديد، وإلّا لم يجز إطلاق
 سراحهم على حال.

أو يفاديههم، بأن يأخذ الفداء، إمّا بإبدال أسير بأسير، أو بأخذ مال يتوافق عليه

١ - وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٧٦ - ٧٢، باب ٤٣ من أبواب جهاد العدو.

٢ - جواهر الكلام، ج ٢١، ص ١٢٢. ٣ - محضد ٥٧: ١، ٤.

٤ - راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ٩٧.

الفرقان.

أو يستعبدهم، إذ لم يكونوا قد أسلموا من قبل.

والاستعباد هو آخر العلاج، و آخر الدواء الكي - كما قيل -.

فالاستعباد - في هذه الحالة الحاسمة - هو خير علاج ممكن لحل مشكلة الأسر، بعد

أن لم تكن مصلحة في إطلاق سراحهم ولأمكن الفداء، فلا سبيل بعدهما سوى: إمّا القتل

أو الاسترقاق، والأخير خيرٌ لهم، عليهم يهتدون ويعلمون بهم، حيث عناية المسلمين

بشأن العبيد وتربيتهم تربية صالحة، وسوف تنتهي حالتهم إلى الانعتاق إن شاء الله.



تلك كانت نماذج عن تشريعات إسلامية راقية فاقت سائر التشريعات الوضعية التي

سبقتها، وحتى التي لحقتها على أيدي البشر القاصرة الشمول. وقد جهدنا في عرض أروع

صور من ذلك التفوق للتشريع الإسلامي الشامخ، وكان ذلك مبلغ وسعنا ولم نبلغ الغاية،

ولعلنا أبدينا بعض التكليف الموجه إلينا في هذا المجال، ومن الله التوفيق و آخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.



فهرس الآيات

الفاتحة

١-٧ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ، الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِیْنَ، الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ... وَلَا الضَّالِّیْنَ ٢٢٥

البقرة

- ٢٢٣ و ٢٤ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ١٩٦
- ٣٠ ٣٧ وَإِذْ قَالَتْ رَبِّئِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ لِّعِندِ رَبِّي جُنُودٌ خَافِيَةٌ... وَنَحْنُ آدَمُ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا... فَتَلَقَىٰ ... ٢٥١
- ٣٨ قُلْنَا أَهْبَطْنَاهَا فِيهَا جَمِيعًا قَدِيمًا يُرْسِلُكُمْ فِيهَا بِنُحُورِكُمْ وَلِيُخْرِجَ مِنْهَا ذُرِّيَّتَافِتْنَىٰ فَتَلَقَىٰ قُلُوبَهُمْ قَلِيلًا خَافَتِ لَدَيْهِمْ ٢٧٥
- ٤٥ وَاسْتَجِيبُوا بِالنَّصْرِ وَالْعِزَّةِ وَالْعِزَّةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَالِبِينَ ٢٦٧
- ٦٠ وَلَا تَعْبُدُوا فِي الْأَرْضِ مُشْرِكِينَ ٢٩٩
- ٨٤ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ٢٠٠
- ١٠٩ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَىٰ كُلِّ نَبِيٍّ وَفَدِيرٌ ٢٩
- ١١١ قُلْ مَا شَاءَ بَرَهَانُكُمْ ٢٨٧
- ١٢٧ و ١٢٨ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ٢٣٣
- ١٣٨ حَيْفَةَ اللَّهِ ٢٢
- ١٤٢ تَتَّبِعُونَ الشُّفَهَاءَ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَا لَكُمْ عَنْ قَوْلِهِمْ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا ٢٠٥
- ١٤٣ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ١٤٠
- ١٤٥ وَلَقَدْ اتَّخَذتُمْ أَوْلِيَاءَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْبَلَدِ إِذْ لَقِيتُمُ الْفَالِقِينَ ٢٨٠

- ١٤٨ فَاسْتَبْرَأُوا الْخَيْرَاتِ ١٣٩
- ١٥١ وَبَرَّكُمْ وَبِعَمَلِكُمُ الْكِنَانِ وَالْحِكْمَةَ وَبِعَمَلِكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ٢٤٤
- ١٦٣ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ الْوَاحِدِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ ٢٢٣
- ١٦٤ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ... آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَلُونَ ٢٢٣، ٢٨٤
- ١٦٥ وَبِعَنِ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ٢٢٣
- ١٧٧ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَسْجِدِ وَالْمُكْرَبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٢٦٩، ٣٢٠
- ١٧٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصَ ... فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ٢٦٠، ٢٩٦، ٢٩٨
- ١٧٩ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢٦٠، ٢٩٦
- ١٨٠ إِنَّ تَرْكَ حَيْرٍ الْوَحِيدِ ٢٩٦
- ١٨٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْعِيَامُ كَمَا كَتَبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ٢٧٠
- ١٨٤ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَجْزاً فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ٢٧٠
- ١٨٥ سَهْرٌ وَمَنْعَانِ الَّذِي أُقْرِنَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْمَعْرَفَاتِ ٢٥٢، ٢٧٠
- ١٨٨ وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ بِالْبَاطِلِ ٢٨٨
- ١٨٩ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَعْدَاءِ قُلْ هِيَ مَوَاقِفُ لَسَانٍ وَالصَّحَابِ ٢٧٠
- ١٩٠ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٢٩٧، ٣٠٠
- ١٩٤ فَخِنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ٢٩٧، ٣٠٠
- ١٩٦ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أذىٌ مِنْ رَأْسِهِ فَعِدَّةٌ ١٨٢
- ٢٢٠ وَمَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لِيَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِفُوا لَهُمْ فَاذْهَبُوا بِهِمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُعْتَادَ ٢٦٤
- ٢٢٢ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَبِيضِ قُلْ هُوَ أذىٌ ١٨١
- ٢٢٣ يَسْأَلُونَكَ حَرْثَ لَكُمْ ٧٧، ٨٠
- ٢٢٦ و ٢٢٧ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ بَنِيهِمْ أَجْرٌ مُسْتَقَرٌّ أَوْ مَعْرُوفٌ فَإِنْ ذَاقُوا مِنَ اللَّهِ عَذَاباً وَحِيمًا وَإِنْ عَزَمُوا ٢٩٢
- ٢٢٨ وَاللَّهُ وَبِئْسَ الَّذِي عَلَيْهِنَ ٢٩١، ٢٩٥
- ٢٢٩ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَأَلْتَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ .. ٢٩٣

- ٢٣١ وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَتَبَعْنَ أَجْلِهِنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ٢٩٢
- ٢٣١ وَلَا تَحْسَبُوا ضُرَارًا ٢٩٥، ٢٩٢، ٢٩٠
- ٢٣٢ وَإِذَا طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ فَتَبَعْنَ أَجْلِهِنَّ فَلَا تَحْسَبُوا أَن يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَخُوهُنَّ ٢٩٢
- ٢٣٣ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ ... لِأَخْصَارٍ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ٢٩٥، ٢٩١
- ٢٣٤ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَرْوَاجًا يُتْرَكُونَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ ٢٩٤
- ٢٣٦ عَلَى الْمُوسِيعِ قَدَرُهُ ١١٦
- ٢٣٨ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ خَانِقِينَ ٢٦٧، ٢٦٨
- ٢٥٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ١٠٦، ٢٢٤
- ٢٥٦ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فَذَلِكُنَّ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ٢٩٨
- ٢٦١ ٢٦٣ مَثَلُ الَّذِينَ يُبْذِرُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْت ... وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ حَكِيمٌ ٢٣٨
- ٢٨٢ وَأَسْبَدُوا إِذَا نَبَّأْتُمُ وَالْأَخْصَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَيْعٌ ٢٩٥
- ٢٨٦ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ فَنَسًا إِلَّا وَسْعَهَا ... رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسَبْنَا أَوْ أَخْصَرْنَا ٢٢٧، ٢٢٠، ٢٣٨



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم رسدي

أل عمران

- ٤٣ وَأَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٢٥٢
- ٦ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ٨٧، ١٠٨
- ٧ إِلَّا اللَّهَ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ كُنَّا بِرَبِّكُلِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ٩٣
- ١٦ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٣٨
- ٣٣ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ٢٥٥
- ٤٤ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا لِمَن آيَاتُهُمْ يَحْكُمُ مَرْيَمَ ٢٧، ١٨٦
- ٧٨ ٨٠ وَإِنْ مِنْكُمْ لَفَرِحَةٌ بُرُؤُونَ إِلَيْهِمْ بِالْكِتَابِ لِغَضَبِنَا مِنْ الْكِتَابِ ... إِذْ أَنْتُمْ مُسْتَبْرَهُونَ ٢٣٢
- ١٠٣ وَأَخْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَاتِلٌ ٢٧٩
- ١٠٨ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَنْمًا لِلْعَالَمِينَ ٢٧٨

- ١١١ لَنْ يَسْرُوكُمْ إِلَّا ادْنَى ١٨٢
- ١١٢ و ١١٣ صَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَنْ مَا يُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلِي وَنِ آفُو ... آدَاءَ النَّبْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ٢٣٢
- ١١٤ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَرَبُّهُمْ وَبِالْمَعْرُوفِ وَبِالتَّوْبَةِ عَنِ الْمُتَكَبِّرِ وَبِالسَّارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ٢٣٣
- ١٣٨ هَذَا بَيَانُ لِنَاسٍ ٢٥٢
- ١٤٤ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ٢٠٨
- ١٥٩ وَسَاءَ وَرَهُمْ فِي الأَمْرِ ٢٩٩
- ١٦٤ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ١٢، ٢١٨
- ١٦٦-١٦٨ وَمَا أَحْبَبْتُمْ يَوْمَ النَّفْيِ الْجَمْعَانِ ... فَادْرَأُوا عَنِ أَنْفُسِكُمُ العَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٩٢
- ١٨٥ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَاعُ العُورِ ٢٣٥
- ١٨٧ وَإِذَا أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ٢٥٢
- ١٩٠ إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالاخْتِلافِ فِي السَّمَلِ وَالتَّجَارِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢٨٥
- ١٩١ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ١٤٠، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٥
- ١٩٢ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٢٣٨
- ١٩٤ رَبَّنَا وَرَبَّنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُوبِكِ وَلا أَخْرَجْتَنَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا أَنتَ لا تُخْفِئُ المِيعَادَ ٢٣٩
- ١٩٥ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَابِدٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ٢٣٩

النساء

- ١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا ٢٤٠، ٢٨٩
- ٢ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَبَدِّلُوا الْخَيْرَ بِالْغَيْرِ بِالْغَيْبِ وَلا تَكُونُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ٢٦١، ٢٦٢
- ٣ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ٢٩٠
- ٤ وَأَتُوا النِّسَاءَ صِدْقًا مِنْ بَيْنِكُمْ ٢٩٠
- ٦ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النُّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُوهَا ٢٦١
- ٧ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ٢٩٤

- ٩ وَلِيخْلِسَ الَّذِينَ لَو تَرَكُوا بَيْنَ خُطْبَتِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ جَعَلْنَا أَخْرَافًا عَلَىٰ عُنُقِهِمْ فَلْيَسْتَقُوا اللَّهَ ٢٦٢، ٢٦٣
- ١٠ إِنْ الَّذِينَ يَأْكُونُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ فَظَنَّمَا إِنَّمَا يَأْكُونُونَ فِي ضَرْبِهِمْ نَارًا وَسَيَصْحُونَ سَعِيرًا ٢٦٢، ٢٦٤
- ١٢ مِنْ بَعْدِ وَحْيِهِ يُوحَىٰ بِهَا أَوْ ذِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ ٢٩٥
- ١٩ وَعَالِيِبُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ٢٨٩
- ٢٢ وَلَا تَتَّبِعُوا مَا نَكَّحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَمِعْتُمْ إِيَّاهُ كَانَ فَا حِسْمَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ٢٤٠، ٢٩٠
- ٢٣ و ٢٤ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَالُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ... وَالْمَحْضَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ٢٩٠
- ٢٥ فَمِمَّا مَنَعْتُمْ إِيْمَانُكُمْ بَيْنَ قَلْبَيْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ اعْتَمَدَ بِإِيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ بَيْنَ بَعْضٍ ٣١٨
- ٢٩ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَيْعًا بَعْدَ عَهْدٍ ٢٩٧
- ٣٢ وَلَا تَكْتُمُوا مَا قَتَلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا آكَنْتُمْ وَالنِّسَاءِ نَصِيبٌ ٢٤٠
- ٣٤ وَالْعَسَاكِرُ قَائِمَاتٌ حَافِظَاتٌ لِنَعِيبِ بِنْتِ اللَّهِ فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَكْفُرُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ٢٩١
- ٣٦ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالَّذِينَ إِعْمَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ٢٤٠، ٣٢٥
- ٤٨ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ٢٣٨
- ٥١ و ٥٢ كَرِهُوا أَلْفًا إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالْعَاقِبَاتِ ... فَكُنْ تُجِدْ لَهُ نَصِيرًا ٢٣١
- ٥٩ اصْبِرُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ٢٩٩
- ٦٠ يُرِيدُونَ أَنْ يُضْحِكُوا إِلَى الْعَاقِبَاتِ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ٢٨٠
- ٧٩ وَأَرْسَلْنَاكَ لِتُنذِرَ النَّاسَ وَرُسُولًا ٢٥٢
- ٨٢ وَالَّذِي كَانَ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ اللَّهِ لَوْ جَدُّوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٢٨١
- ٨٥ مَنْ يَسْتَفْعِ سَفَاخَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ بِهَا وَمَنْ يَسْتَفْعِ سَفَاخَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ حِفْلٌ بِهَا ٢٣٩
- ٩٢ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ٢٩٦، ٣٢١
- ١٠٢ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مُضْرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرَضَىٰ ١٨٢
- ١٠٣ إِنْ الْعَلَاةُ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَدَابُهُمْ مَوْفُوتًا ٢٦٧
- ١٣٠ يَعْزِ اللَّهُ كَلَامًا مِنْ سَعْيِهِ ١١٥
- ١٣٣ إِنْ يَسْأَلْ بِذُنُوبِكُمْ إِلَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا ذَلِكَ قَدِيرًا ٢٠٨

- ١٣٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ سُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ... ٢٣٩
- ١٣٩ أَيُّنْفُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ... ٢٤٢
- ١٧١ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْتَابُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ٢٣٢

المائدة

- ١ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ٢٩٦، ٢٩٠، ٢٨٨
- ٣ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ ٢٢
- ٨ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَنِيَ أَنْ لَا تَعِدُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِتَقْوَىٰ ٢٠٠
- ١٥ و ١٦ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ... وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ ١٢، ١٩١
- ١٨ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْدَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ قِيمٌ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَ خَلْقٍ ٢٣١
- ٢٤ فَالْوَالِدَاُ فَادْعُهُمْ إِنَّتَ وَرَبُّكَ فَذَلِكُنَا هَاهُنَا مُجْتَدِينَ ١٣٩
- ٣٣ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا ... ٢٩٧، ٢٢٨
- ٣٨ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٢٩٧
- ٤١-٤٣ وَبِالنَّاسِ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِيُكَلِّبَ سَمَكًا يَحْمِلُ الْعِزْمَ حَرِيرًا ... وَمَا أَوْلَيْتُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ١٩٠
- ٤٤ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٢٧٩
- ٤٥ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٢٧٨، ٢٧٩
- ٤٧ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٢٧٩
- ٤٩ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ٢٧٩، ٢٨٠
- ٥٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِشَرٍّ مِمَّا رَجَعْتُمْ وَرَجَعْتُمْ ٢٠٨
- ٦٧ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنَ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَخَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ٢٠١
- ٨٩ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْعَمْرِ فِي إِيمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ٢٢٢
- ١٠٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَضُرُّوهُم مِّنْ ضَلَالٍ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَرُجِعْكُمْ جَمِيعًا ... ٢٣٢

- ١٢ قُلْ لِيُنزِلَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ شَيْءٌ كُنْتُمْ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ لِتَجْمَعُنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيِّنَاتِ ... ٢٢٥
- ١٤ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ١٣١
- ٣٨ مَا قَرَّحْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... ١٩، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧، ٢٧٨، ٢٨١
- ٥٩ وَجَنَّةٌ مَّتَّاعٌ لَغَيْبِهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنُوعٌ ... وَلَا رُحْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ٢٩، ١٠٨، ٢٢٥
- ٦٠ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ لَمَّا يُبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُبْلِغَ أَجَلَ مُسَمًّى ... ٢٢٥
- ٧٥ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ... ٢٤٥
- ٨٤-٨٧ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ... وَوَهَبْنَا لَهُمُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... ٢٤٥
- ٨٩ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ... ٢٠٨
- ٩١ قُلْ مَنْ أُنزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ... ٢٥٢
- ٩٥ و٩٦ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَاللَّوْهِ يُخْرِجُ الْخَبْئَ مِنَ الْعَجَبِ ... ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ... ٢٢٥
- ٩٧ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ ... ٢٧، ٢٢٥
- ٩٨-١٠٢ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ... وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ... ٢٢٥
- ١٠٣ و١٠٤ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْخَبِيرُ ... فَدَجَّاءُكُمْ بَعَائِرٌ ... ٢٢٦
- ١١٤ أَقْفَرِ اللَّهُ أَبْغْيَىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ كَتَبْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ يَعْتَمُونَ ... ٢٧٨
- ١١٥ وَخَلَقْنَا كَيْفَ نَشَاءُ صِدْقًا وَعَدْلًا ... ٢٨٠
- ١٢٥ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَبْسُطَهُ فَيَجْعَلْ صَدْرَهُ حَبِطًا حَرَجًا فَكَيْفَ يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ ... ١١٧، ١١٨، ١٢٠
- ١٤٨ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَسْرَكُوا لَوْ نَشَاءُ اللَّهُ مَا اسْرَكُوا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ ... ٢٠٥
- ١٤٩ قُلْ قَبِيضَةُ الْحَبَّةِ الْبَالِغَةُ قَبْرُ شَاءَ لَهَا كُمْ أَجْزَعِينَ ... ٢٠٥، ٢٧٩
- ١٥١ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي ... وَلَا تَحْتَلُوا أَوْلَادَكُمْ ... وَلَا تَحْتَلُوا نَفْسَكُمْ ... ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٩١
- ١٥٢ وَلَا تَقْرَبُوا مَا نَسِيَ إِلَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَدْرِ ... ٢٤٠
- ١٥٣ وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ... ٢٤٠
- ١٦٢ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ... ٢٢٦

- ١٦٣ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُبْرِئُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ٢٢٦
- ١٦٤ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٩٨

الأعراف

- ١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ نُفُوسًا كَانَتْ لَكُمْ صُورًا كَمَا ٨٧
- ٢٢ وَطَافُوا بِحُفَيِّمَانَ ٢١
- ٢٤ فَإِنِ انْحَضُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَعْتَبٌ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٢٧٦
- ٣١ كُنُوا وَاشْرِكُوا وَلَا تَسْبِرُوا ٢٧
- ٣٣ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تَمَنَّوْا بِالْبَعْثِ وَأَنَّ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ٢٣٧
- ٥٤ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ٢٢٤
- ٥٥-٥٨ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُضوعًا وَأَعْيُنُهُمْ الْغُلُوبُ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ .. ٢٣٧
- ١٤٨ وَأَخَذَ فَوْمٌ مَّرْسِيًّا مِنَ بَعْدِهِ مِنْ حَبْلِهِمْ عَجَلًا حَسَدًا ٢٢
- ١٥٧ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْعُقُوبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ١٢، ٢٤٤
- ١٥٨ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٢٦، ٢٥٢
- ١٨٥ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٤٠
- ١٨٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي قَدْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَحْسَنَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَمْتُ بَيْنَ الْخَيْرِ ٢٠٩
- ١٨٩ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ٢٩٩

الأنفال

- ١٧ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ٢٢
- ٤١ فَإِنَّ اللَّهَ خُشِعَتْ لَهُ لَنَاوِسُوا وَاللَّذِي الْأَعْرَابُ ٢٩٩
- ٦٠ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ٢٢

النوبة

- ٣٠ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَبْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ٢٢٠، ٢٣١
- ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَأَرْهَابَهُمْ أَبْنَاءَ بَنِي دَاوُدَ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا يُرْوَى إِلَّا لِيُتَّخَذُوا إِلَهًا ٢٣١، ٢٢٠
- ٣٢ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيُنَاقِضُوا أَنْتَ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُنِيعَ قُوَّةَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٩٧، ٢٣١
- ٣٣ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَنِ الدِّينِ كُذِّبَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ١٩٧، ٢٧٥
- ٣٨ و ٣٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠٤
- ٤٠ إِنْ لَا تَعْلَمُوهُ فَكَلِمَةَ اللَّهِ إِذَا أُخْرِجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا نَادِيَ الَّذِينَ ... وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٤
- ٤٣ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ، وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَنْهُمْ السَّمْعُ، وَتَضَاعَفَ الْبَصَرُ ٢٠٤
- ٤٥-٤٧ إِمَّا يَنْتَهِزُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ... وَاللَّهُ غَنِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ... ١٩٥
- ٤٨ لَقَدْ ابْتِغَوْا لِنَفْسِهِمْ مِنْ قَبْلِ وَقِيلَ لَكُمْ الْآمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ١٩٥، ٢٢٣
- ٤٩ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ نَدْنُ لِي وَلَا تَنْزِلُنِي إِلَّا فِي الْبُرْجِ نَسْفُتُوا وَإِنْ جِئْتُمْ لِمَحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ ١٩٥
- ٦٠ إِنَّمَا الْعِدَّةُ لِلْغَنَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَانِ قُرْبَاهُمْ وَفِي الرِّزْقِ وَالْغَارِمِينَ ٣٢٠
- ٩٧ و ٩٨ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِدَالًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَحْسَبُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٩٥
- ١٠١ وَمَنْ حَزَلَكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَذْحِجَةٌ فَمِنْ أَعْمَلِ الصَّالِحِينَ مَرَدُّوا عَلَى النَّعَاقِ لِاتِّخَاتِهِمْ ١٩٥، ٢٠٨
- ١٠٧ - ١١٠ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا حَرَامًا وَكُفَرُوا وَتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ... وَاللَّهُ عَزِيمٌ حَكِيمٌ ١٩٦
- ١٢٢ قُلْ لَا تَقْرَبُوا كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا فِي الدِّينِ وَلِيُتَّخَذُوا قَوْلَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ٢٨٨

يونس

- ٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مُدَارًا لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ٢٧، ٢٥
- ٣٢ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ ٢٨٧
- ٣٧ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتُفَسِّلُ الْكِتَابَ ٢٠٠
- ٥٧ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبِقَدْ أُولَىٰ فِي الصُّدُورِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ٢١٣، ٢٥٢
- ٥٨ قُلْ يُحْسِنُ اللَّهُ وَبِزِحْمَتِهِ قَدْ لَبَّيْكُمْ ١٥٣

- ٢٩٩ ٩٩ أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
- ٢٨٤ ١٠١ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

عود

- ٢٧٨ ١ الرِّكَابِ أَحْكَمَتُ يَدَاؤُهُمْ فَصَلَّتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ
- ٣٦ ٧ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عِزُّهُ عَلَى الْمَاءِ
- ٢٢ ٣٧ وَاصْنَعِ الْفُنُونَ بِأَعْيُنِنَا
- ١٨٦، ١٨٥، ٢٧ ٤٩ يَذَلِّكَ مِنَ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَمَّا وَلَا تُؤْمِنُ مِنْ قَبْلِي هَذَا
- ٢٥٢، ٢٤٤ ٦١ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
- ٢٢ ٦٩ يَبْعَثُ خَلْقًا
- ٢٣٧ ٩٠ وَاسْتَعْمَرُوا زُرْعَهُمْ ثُمَّ نَزَّ إِلَهُ الْبُرِّ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ
- ٢٦٧ ١١٤ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَىٰ مِنْ النَّبِيِّ فِي الْحَسَنَاتِ يُدْعِيَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

یوسف

- ٢٢ ٣٦ أَحْمِلْ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا
- ٩٦ ٧٧ فَالْوَالِينَ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ آخُ لَهُ مِنْ قَبْلُ
- ١٨٦ ١٠٢ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ اجْتَمَعُوا أَمْرُهُمْ وَعَهُمْ يَمْكُرُونَ

الرعند

- ١٢٢ ٢ رَفَعِ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا
- ١٧٢ ٣ وَبَيْنَ كُلِّ نَمْرَاتٍ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ
- ١٠٧ ٨ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَحْمِلُ كُلُّ نَفْسٍ وَمَا يَغِيظُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِحَقِّدَارٍ
- ٢٢٧، ١٠٧ ٩ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي

- ١٠ سواءً منكم من أسر الكون ومن جهر به ومن هو مستخفي بالليل وسار به بالنهار ٢٢٧
- ١١ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ٢٢٧، ٢٧٦
- ١٢ هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنسِي السحاب الغمام ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٢٣
- ١٣ ويُنسِج الرعد بخدمته والملائكة من خلفه ويرسل العواصف فيعيب بها من يشاء ٢٢٧، ٢٢٣
- ١٤-١٦ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ... وهو الواحد القهار ٢٢٣
- ٢٠ الذين يؤفون بعهدهم ولا يفتنون الميثاق ٢٠٠
- ٤١ أولم يروا أن تأتي الأرض لتفصها من أطرافها ١٤١

إبراهيم

- ١ الر كتاب أنزلناه إليك ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ٢٧٨
- ١٠ أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ٢٨٥
- ١٩ ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض والحق ١٤١
- ٥٢ هذا بلاغ للناس ٢٥٢



الحجر

- ٩ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ٢٠٠، ٢٠١
- ١٩ وإنبينا فيها من كل شيء موزون ٢٨٩
- ٢٢ وأرسلنا الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا حموه وما أنتم له بخازين ١٤٨
- ٢٩ سؤيته وفتحت فيه من روجي ٢٥
- ٩٤-٩٩ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ... واعلم ربك حتى تأتيك اليقين ٢٠١

النحل

- ٣ خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون ٢٢٤

- ٤ خُلق الإنسان من تُفَلَقَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُبِينٌ ٢٢٤، ٢٢٦
- ٥-١٣ والأنعام خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُتُونَ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ٢٢٤
- ١٤ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ تَكْوِلاً يَدْرَأُ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَمِينَ حَبِيبًا تَلْبَسُونَهَا ٢٢٤، ٢٢٦
- ١٥ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٢٢٤
- ١٦ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ٢٢٤، ٢٢٧
- ١٧-٢١ أَكْفَنُ يَخْتَلِقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ... وَمَا يَسْمَعُونَ إِلَّا أَنْ يَخْبُرُونَ ٢٢٤
- ٤٤ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا قُرِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢٨١
- ٥٨ إِذَا جِئْتُمْ أَحَدَهُمْ بِالْبَأْسِ فَقُلْ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَفِيمٌ ٢٣٤
- ٦٦ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَلِئِزَّةَ تَسْفِكُمْ بِلْمًا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ . ١٨٢
- ٦٨ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ١٧٥
- ٦٩ ثُمَّ كُنِيَ مِنْ كُلِّ الْبَعَثَاتِ ... يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ ٢١، ١٧٥، ١٧٧
- ٧١ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ . ٣٢٤
- ٨٩ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى ١٤، ١٩، ٢٨، ٢٩، ٢١٣، ٢٧٨
- ٩٢ فَتَقَطَّ عَرْسُهَا ٢٢
- ١٠٣ وَلَقَدْ فَسَّمْنَا إِلَهُم بِتَقْوَلُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِمَانِ الَّذِي يُنَادُونَ إِلَيْهِ اعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ١٨٨

الإسراء

- ١٢ وَجَعَلْنَا النَّيْلَ وَالنَّهَارَ نَبِيًّا فَصَحَّوْنَا بِنَدَى النَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْعُورَةً ٢٧
- ١٣ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْهَمْنَاهُ طَبَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَنْفَاهُ مَسْجُورًا ٢٢٨
- ١٥ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ٢٣٠، ٢٩٨
- ٢٣ وَكُنْضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَدْفَعُ عَنكَ الرَّكِيظَ أَخِذَهُمَا ٢٣٦، ٢٩١
- ٢٤ وَالْخَيْضُ لَهُمَا جَنَاحُ الذَّلِّ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنَاهُمَا كَمَا رَحِمْتَ رَبِّيَ صَغِيرًا ٢٣٣، ٢٩١

- ٢٦ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ نَبْذِيرًا ٢٣٦
- ٢٩ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَقُومًا مَحْسُورًا ٢٣٦
- ٣١ وَلَا تَتَّبِعُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا نِكَاحًا فَرَأَيْتُمْ نَزَّوْنَهُمْ وَإِذًا كُمْ ٢٣٢
- ٣٢ وَلَا تَحْزَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَاءً مَسِيلاً ٢٣٥
- ٣٣ وَمَنْ قَبِلَ مَقْتُلًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَالِهِ شُفْعَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْفَنَالِ إِنَّهُ كَانَ مَحْسُورًا ٢٦٠
- ٣٤ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُورًا ٢٠٠، ٢٩٦، ٢٤١
- ٣٧ وَلَا تَمْسَسْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَتَّعِجَ الْجِبَانَ طَوًلًا ٢٣٤
- ٥٣ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا ٢٣٦
- ٧٠ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَنَزَّلْنَاَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ ٢٧٤، ٢٥١
- ٧٨ أَوِمَّ الْعِصَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ سُخْرِيِّ الدَّيْلِ وَقُرَّانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرَّانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ٢٦٧
- ٧٩ وَبَيْنَ النَّبْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ ذَاتُ بِنَةٍ لَنْ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكُمْ مَقَامًا مَحْسُودًا ٢٦٧
- ٨١ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ١٩٧
- ٨٥ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ١٧٨، ١٠٦، ٢١٢
- ٨٨ قُلْ لَنْ أَجْتَنِعَ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِحُجَلٍ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِحُجَلٍ ١٩٧، ٣٤، ٢٨

الكهف

- ٢٥ وَابْتِئْنَا فِي كَيْفِيَّتِهِمْ ثَلَاثَ نَجْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَزَادُوا تَرْسَعًا ١٧٩
- ٤٧ وَيَوْمَ نَدِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسْرَةً عَلَيْهِمْ فَسَمَّ تَوَاقِرَ عَلَيْهِمْ أَخْدًا ١٦٢
- ٤٩ مَا لِهَذَا كِتَابٍ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاجِرًا ٢٧٢
- ٧٩ أَمَّا السَّفِينَةُ ٢٢
- ٩٦ تَوَفَّى زُبَرَ الْحَدِيدِ ٢١
- ١٠٩ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِائَةِ مَدَدًا ١٤

مریم

- ٢٧ و ٢٨ فَانكِت بِرُءُوسِهَا تُحِبُّهُ قَالُوا يَا قَرِيبُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيضًا. يَا أُخْتُ هَذَا رُءُوسُ مَا كَانَ لِبُؤَيْبٍ ... ٩٥، ٩٨
- ٣٠ فَإِنِ إِنِّي غَدَاً لَأَتِيَنَّكِ الْكِتَابَ ٢٣
- ٣٣ أُبْعَثُ حَيًّا ٢٣
- ٥٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ ... ٢٥٥
- ٩١-٩٤ أَن دَخَلُوا لِمَرْحَمَانِ وَآلِدًا. وَمَا يَدْعُوعِي لِمَرْحَمَانِ أَن يَتَّخِذَ وَآلِدًا ... لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَغَدَّوْهُمْ غَدَاً ... ٢٣٢

طه

- ٥٢ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَحْسِبُ رَبِّي وَلَا يُنْسِي ٢٢٩
- ٥٣ و ٥٤ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ... كُنُوا وَآرْغُوا أَنْعَامَكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ٢٨٥



الأنبياء

- ١٨ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمَرْيَمَ وَآدَمَ وَنُوحًا وَآلِهَارًا ٢٠٢
- ٣٠ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَائِدًا وَتَنَادًا فَتَنَادَا كَمَا ١٢٩، ١٣٢، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢
- ٣٠ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٢
- ٣١ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ نَمِيدَ بِهِمْ ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩
- ٣٢ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهُنًا مَحْفُوفَةً وَكُنْمَ عَن آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ١٢١
- ٤٤ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا أَنزَلْنَا الْأَرْضَ فَتَعْبُهَا بَيْنَ أُطْرَافِهَا، أَفَهُمُ الْعَالِيُونَ ١٤١
- ٤٧ وَنَخَعُ الْمَوَازِينَ فِي السَّيْطِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُخْسَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ بَيْنَهُمَا حَبِيرٌ أَسْبَغْنَا ٢٣٦
- ٩٢ كُنُ الْبِنَاءِ رَاجِعُونَ ١٦٤
- ١٠٥ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ٢٠٧

الحج

- ٢ وَكَرِهَى النَّاسَ سُكَارَى ١٦٢
- ٥ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ فَمَا جَاءَنَا مِن مِّنْ رَبِّكُمْ مِّنْ شَرِّ مِمَّنْ يُطْفِئُ نَارَهُمْ مِّنْ عَنُقَيْهِمْ ٨١
- ٥ مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ ... وَيُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نُسَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ١٠٨، ٨١، ٧٩، ٧١
- ١٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ١٤١
- ٤٦ أَفَسِمْتُمْ بِسَبْرٍ فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَكُمْ قُلُوبٌ يَّخْفِرُونَ بِهَا ... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى ١٨، ١٤٠
- ٤٩ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُدْعَى بِي سَمِيٌّ ٢٥٢
- ٥٢ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَنبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْتَانِهِ فَیَسْمَعُ اللَّهُ مَا يُفْتِي ٢٠٢
- ٦١ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ٢٥
- ٧٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ حُشِرَ مَثَلُ قَوْمٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا ٦٤، ٦٦



المؤمنون

- ٦-١ قَدْ أَفْحَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَالِقُونَ ... فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَمْنُونِينَ ٢٣٥
- ٧ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ٢٣٥
- ٨ ١٠ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ حَسْرَاتِهِمْ لِيُحَاقِقُوا. أُولَئِكَ ٢٣٥
- ١١ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْبُرْدُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٣٦
- ١٢ وَالْقَدْ جَاءَنَا الْإِسْرَافُ مِن سُلَالَةٍ مِّنْ حَبِيبٍ ٨١
- ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ حُكْمًا فِي قَرَارٍ مُّكِبٍ ٨١، ١٠١
- ١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّعْمَةَ حَالِفَةً ... فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ٨١، ٨٧، ٩١، ١٠٣، ٢٥٢
- ٩٦ إِدْفَعْ بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ النَّبْتِ نَحْنُ أَحْلَمُ بِمَا يَعْبَثُونَ ٢٣٦

النور

- ٢ الزَّائِرَةُ وَالزَّائِي فَاجْتَدُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا بِنَاءَ جِدَّةٍ ٢٩٧

- ٤ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ... ٢٩٨
- ٢٩ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ..... ٢٠
- ٣٠ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ..... ٢٣٥
- ٣٢ وَانكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ..... ٢٩٠
- ٣٥ اللَّهُ تَوَرَّاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِكَاتٍ فِيهَا نُفُوحٌ الْبُصْبُوحِ فِي رُبَا حِقَةٍ..... ٢٢٧، ٢٢
- ٣٦- ٤٠ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَائِهِمْ مَطَرًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ..... ٢٢٧
- ٤١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّجْمِ مَا هَاجَتْ كُلُّ قَدَحِيمٍ صَلَاتُهُ..... ١٤١، ٢٢٧
- ٤٢ وَفِي مَنكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَىٰ اللَّهِ الْمَصِيرُ..... ٢٢٦، ٢٢٧
- ٤٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا... وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ..... ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٠، ٢٢٨
- ٤٤ يَغُضُّ اللَّهُ الْبَصِيرَ وَالنَّجْمَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ..... ٢٢٨
- ٤٥ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ..... ٢٦، ٢٨
- ٥٥ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسُدَّخِلَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخَفَّ الَّذِينَ..... ٢٠٧
- ٦٣ فَتَحَذِّرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..... ٢٧٩



الفرقان

- ١ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا..... ١٣
- ٢ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَتَقَدَّرَ تَقْدِيرًا..... ١٢٨
- ٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نَجِدَ لَكَ إِفْتَاءً وَإِنَّمَا كُنَّا مِنْ قَوْمٍ مَجْرُونًا فَكَأَنَّمَا لَكُم مَالٌ مَكْرُورًا..... ١٨٨
- ٥ وَقَالُوا أَنَا ظَهْرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَنَبَهَا فَبِئْسَ تَمَثَّلَ عَنَيْهِمْ بَعْرَةٌ وَأَحْبِلًا..... ١٨٧، ١٨٨
- ٦ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا رَحِيمًا..... ١٢، ١٩، ١٨٠، ١٨٨
- ٥ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَارًا لَدِيمًا أَلَمْ تَجْعَلْنَا السَّمْنَ عَنَيْهِ دَلِيلًا..... ١٤٢، ١٦٧
- ٦ أَلَمْ تَجْعَلْنَا إِلَهًا قَبْضًا يَسِيرًا..... ١٦٧
- ٤٧ وَهِيَ الَّتِي جَعَلَ لَكُمْ النَّبِيَّ لِيَأْسَأَ وَاللَّيْلَ سَبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ تُسْوَرًا..... ١٦٨، ٢٢٦

- ٥٤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا..... ٣٦
- ٦٦-٦٣ وَجِبَادَ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... مُسْتَقْرَأً وَمُقَدَّمًا..... ٢٧٣
- ٦٧ وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَقُوا لَمْ يُسْمِعُوا وَلَمْ يَصُبُّوا وَعُكُنَّ بِئِنِّ ذَلِكُمْ فَرَامًا..... ٢٧٣، ٢٢
- ٦٨ ٧٢ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَسْتُونَ النَّفْسَ... وَإِذَا سُرُوا بِالنَّوْمِ قَرَّوَا كِرَامًا..... ٢٧٣
- ٧٦-٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صَبًّا... حَسْبَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَدَّمًا..... ٢٧٤

الشعراء

- ٨٠ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ..... ٢٥
- ١٤٩ وَكَتَجَرْنُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُرِيتًا..... ٢٢
- ١٩٢ ١٩٤ وَإِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قَوْلَ بِهِ الرُّوحِ الْأَمِينِ. عَنِ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ..... ١٨٨
- ٢١٩ وَتَقَاتِلْ فِي سَبَأٍ..... ٢٨٨، ٢٤٩



النمل

- ١٥ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَأَعَدْنَا لَهُمَا سُلُوكًا فِي الْأَرْضِ وَاللَّيْلِ فَسَبَّحُوا عَلَيَّ كَثِيرًا مِنْ حَمْدِهِ الْمُؤْمِنِينَ..... ٢٤٥
- ١٩ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَسْكُرَ بِعَمَلِكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ..... ٢٣٨
- ٤٤ حَرِّحْ مُتَعِدًّا مِنْ قَوَارِيرِ..... ٢٢
- ٦٠ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ خَشَائِقَ ذَاتَ نَهْجَةٍ..... ٢٢٦
- ٦١ و٦٢ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا... أَمَّنْ رُجِبِبَ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ..... ٢٢٧
- ٨٨ وَرَبِّ الْجِبَالِ تَخْسِئُهَا حَامِدَةً وَهِيَ تُخْرِقُ مَرَّ السَّحَابِ صَبْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ..... ١١٠، ١٦٢
- ٩٣ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرِّبِكُمْ آبَائِهِ فَتَعْرِفُونَهَا..... ١٠٦

القصص

- ٣ كَذَّبُوا عَنِّيكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ..... ١٨٧

- ٥ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَفْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَدَجَعْنَاهُمْ آيَةً وَجَعَلْنَاهُمْ الْوَارِثِينَ ٢٠٧
- ٣٨ فَأَوْفِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ ٢٢
- ٤٣ بِصَافِرٍ لِنَتَّاسٍ ٢٥٢
- ٤٤ ٤٦ وَمَا كُنْتُ بِجَائِبِ الْعُرَيْبِ إِذْ قَضَيْتُنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ ... لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ ١٨٧
- ٧١ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الدَّبِيلَ سِرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ١٦٩
- ٧٢ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سِرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِبَلْبَلٍ تَسْكُنُونَ ١٦٩
- ٧٣ وَبَيْنَ رَحْمَتِي وَجَعَلَ لَكُمْ الدَّبِيلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَتَفَعَّلُوا مِنْ قَضِيَّتِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٦٩
- ٨٥ إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ ٢٠٢

العنكبوت

- ٨ وَوَحْيُنَا لِلْإِنْسَانِ بِالذِّكْرِ حُسْداً وَإِنْ جَاءَكَ بُشْرًا مِنْ بِي مَالِكٍ لَقَدْ رَجَعْتُمْ فَلَاحُظْهُمَا ٢٩٢
- ٢٠ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُ السَّنَةَ الْآخِرَةَ ١٤٠، ٢٨٤
- ١ كَتَبْنَا الْعَنْكَبُوتَ أَنْجَدَتِ بَيْتاً ٢٢
- ١٥ إِنْ الْعُقَلَاءُ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ٢٦٧
- ٤٨ وَمَا كُنْتُ تَمُورًا مِنْ قَبْلِهِ بَيْنَ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُوهُ بِمَعِينٍ إِذَا الْأَرْزَاقُ الْمَرْبُوطُونَ ١٨٧
- ٥٦ إِنْ أَرْضِي وَإِسْعَى ١١٦
- ٦١ وَالَّذِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَقُولُوا اللَّهُ ٢٨٥

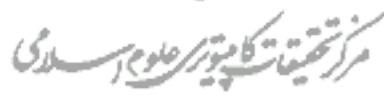
الروم

- ٢-٦ خَلَقَتِ الرُّومَ، فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ مُبْعَدُونَ ... وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ ٢٠٥
- ٩ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، كَانُوا أَشْدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ١٤٠
- ٢١ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ٢٨٩
- ٢٥ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ ١٢٤، ٢٢٩

- ٣٠ فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَخَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ ... ٢١٨، ٢٥٩
 ١٨ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا مُبَسَّطَةً فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ١٤٤، ١٤٩
 ٥٨ وَلَقَدْ خَرَقْنَا لِبَنَاتٍ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ٢٨

لقمان

- ١١ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ١٠٦
 ١٤ وَصَبْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَضِيبٍ حَمَلْتُهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ٢٣٧
 ١٥ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَمَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا ٢٢٨، ٢٩٢
 ٢٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ ٢٥١
 ٢٧ وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ١٠٦
 ٢٩ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيَرْجِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ١٤٢
 ٣٤ إِنْ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيُعَلِّمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ... ١٠٨



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

السجدة

- ٤ ٦ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ... العَزِيزُ الرَّحِيمُ ٢٢٦
 ٧-٩ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ... ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِيهِ ... ٨١، ٢٢٦

الأحزاب

- ٧ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَأَوْفَىٰ فُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ٢٥٢
 ١١-١٣ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ... إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاقًا ... ١٩٤
 ٣٣ وَلَا تَجْرِعُنَّ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ٢٣٥
 ٤٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ ٢٩٢

سبأ

- ٧ إِنْكُمْ لَفِي حَاقِّ جَدِيدٍ ١٦٤
- ١٠ وَاللَّاتُ لِلَّهِ الْحَدِيدُ ٢١
- ٢٤ وَإِذَا أُوذِيَ نَفْسٌ مِّنْهُنَّ فَأَسْتَجِبْ لَهُنَّ فِي حُضْنِ مَّيْمِنٍ ٢٨٧
- ٢٨ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ٢٥٢
- ٤٦ قُلْ إِنَّمَا أَعْصَمْتُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقْرَمُوا لِي وَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَقَرَّ بِكُمْ وَأَنَا مَسْكُونٌ فِيكُمْ ٢٨٦، ١٤٠

فاطر

- ١ بَرِّدْ فِي الْخُلُقِيِّ مَا بِنَاءً ١١٦
- ٩ وَإِنَّ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَخَابًا فَسَعْدَاهُ إِلَى بَيْتِ مَبْنِي فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ٢٧
- ١٠ مَن كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيَدِرْ الْعِزَّةَ جَمِيعًا إِلَيْهِ نَحْمَدُ الْكَبِيمَ الْعَلِيمَ وَالْعَمَلُ الْعَالِمُ بِرَفْقِهِ ٢٣٧، ٢٤٢
- ٢٧ جَدُّ بَيْضٌ وَحُمْرٌ ٢٢
- ٤١ إِنْ أَشَاءَ اللَّهُ يَخْسِفُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرَوْهَا ١٢٤، ١٥٩



يس

- ٣٦ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا جَعَلَ الْأَرْضَ رِوْبًا لِّلنَّاسِ وَرِوْبًا لِّلْأَنْعَامِ ١٧٣، ٢٨٩
- ٣٨ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢٥، ٢٨٩
- ٣٩ وَالْقَمَرَ قَدْرًا مِّنَ مَّوَارِنِ حَتَّىٰ جَاءَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَأَلَسْتُمْ بِبَدْعِي لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ ٢٧
- ٥١ فَفِيهِ فِي الصُّورِ قَدْرًا مِّنَ الْأَعْدَانِ إِلَىٰ دَرَجَاتٍ يَنْصَلُّونَ ٢٣٦
- ٨٢ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ١٣٢

ص

- ٢٥ فَخَفَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ وَإِنَّا لَهُ جَنَّةٌ لَّوْلَىٰ وَحَسْبُ مَنَآبٍ ٢٣٤

- ٢٦ يا داؤودُ إِذَا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهوى فَيُضِلَّكَ ٢٣٤
- ٢٩ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ١٢٠، ٢٨٠
- ٣٧ كُلُّ نَبَأٍ وَخَوَاصٍ ٢٢
- ٤٨ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٢٤٥

الزصر

- ٦ يَخْتَلِفُكُمْ فِي بَطْنٍ أَنهَاتِكُمْ حَقًّا مِنْ بَعْدِ حَقِّي فِي ظُلُمَاتٍ فَلَا تَدْرِكُكُمْ لَهَ الْمُلُوكُ ١٠٢
- ١٧ و١٨ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ٣١٢
- ٢١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَدَابِغٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ٢٨٦
- ٥٣ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ٢٣٧
- ٥٣ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ٢٣٨



غافر

- ٣ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ... ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ مُعْتَبَرٌ ٢٢٦، ٢٣٧
- ٥١ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ نُؤْتُوا الْأَشْهَادَ ٢٠٢

فضلت

- ٧ و٦ وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ١٤٢
- ١١ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا ١٢٩، ١٣٢
- ١٢ فَتَقَطَّعْنَ مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ١٢٩، ١٣٢
- ١٥ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ١٤١
- ٣٥ وَمَا يُنَادِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حُضُنٍّ عَظِيمٍ ١٨
- ٤١ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٢٠١

- ٤٢ لا يأتيد الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ٢٠٩، ٢٠١
 ٥٣ سُررهم بيّنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الله الحق ١٠٦، ١٨١، ٢١٠، ٢٨٤، ٢٨٦

الشورى

- ٣٨ وأمرهم شورى بينهم ٢٩٩
 ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ٢٩٧، ٢٩٨
 ٤٩ يهتف لمن بساء إنا وإيهاب لمن بساء الذكور ٢٩١

الزخرف

- ١٣ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ١٢٢
 ٢٦ و ٢٧ وإذا قال إبراهيم لأبي إبراهيم لا أبرئوك فقولوا إني برآء مما تبتدون، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ٢٤٥
 ٨٧ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ٢٨٥



مركز تحقيقات كبيوتر علوم رسدي

الجمانية

- ١٣ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً ٢٥٢
 ١٨ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتقها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ٢٧٦
 ٢٢ وخلق الله السماوات والأرض بالحق ٢٨٩

الأحقاف

- ٤ أو أنزلة بين علم ٢١
 ١٢ و ١٣ وهذا كتاب موعظ لعلهم يتقون الذين ظلموا وفسدوا لهم حسينين، إن الذين قالوا ربنا ٢٧٩
 ٣٣ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعن بخلقهن يتبادر عنى أن يحين الموعى ١٤١

محمم

- ١-٤ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلُ آخِذِهِمْ ... وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ... ٣٢٩
 ٢٤ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٧٩
 ٣٨ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبِدُّ قَوْمًا يُغَيِّرُكُمْ لَهُمْ لَا يَكُونُوا آمِنًا لَكُمْ ٢٠٨

الفتح

- ١ ٣ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ... وَتُحِبُّكَ اللَّهُ فَخَرِيرًا ... ٢٠٢
 ١١ و ١٢ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ... وَكُنتُمْ قَوْمًا بُرًّا ... ٢٠٢
 ١٥ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انصَرَفْتُمْ إِلَى الْمَدِينِ لَأُحَدِّثُوا ذُرُوعًا وَنَبِيحًا يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ... ٢٠٢
 ١٦ قُلِ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَسْئَلَةٌ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَرْبَابِ شَدِيدُ الْعُقُوبِ لَهُمْ أَوْسِيَةٌ ... ٢٠٢
 ١٨-٢٠ لَقَدْ رَحِمْنَا اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ... وَيَهْدِيكُمْ حَيْرَانًا فَسَلِّمْ ... ٢٠٢
 ٢٧ لَقَدْ حَسَدْتُمُ اللَّهَ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَوِ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن سَاءَ اللَّهُ آيَاتِنَ لِلْمُحْسِنِينَ ... ٢٠٢
 ٢٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَنِ الدِّينِ كُفْرًا ... ١٣، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٧٥



الحجرات

- ١٣ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ... ٢٥١، ٢١٥، ٣٠٠، ٣١١-٣١٤
 ١٣ إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ... ٢٥١، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٤

ق

- ٦ أَكْفَمْتُمْ بَصُورًا إِلَى السَّمَاءِ فُوقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ... ١٤٠

الذاريات

- ٧ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوتِ ... ١٢٣

- ٢٢ وَفِي السَّمَاءِ بِرُفْقِكُمْ وَمَا لُتُوعِدُونَ ١١٦
- ١٧ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ١١٣، ١١٥
- ٤٩ وَبَيْنَ كُلِّ نَسِيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ١٧٣
- ٥٠ فَتَبَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَمُ مِنَكَذِبٍ مُّبِينٍ ١١٦
- ٥٨ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْعَتِيدِ ١١٦

الطور

- ١٠٩ يَوْمَ نَخُوضُ السَّمَاءَ كَوْرًا وَنَسِيرُ الْجِبَالِ سِيرًا ١٦٣
- ٣٥ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ تُخَيَّرْتُمْ فِي الْأُمَمِ لَأَخْلَقُنَّ ٢٨٦

النجم

- ٢٨ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ٢٨٧
- ٣٠ هُوَ أَحْسَمُ بَدَنِ إِهْتَدَى ٢٣٣
- ٤٦ وَآتَاهُ خَلْقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِنْ حَتْمٍ إِذَا نَسَى ٦٦، ٧٣

القمر

- ١١ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١٢٩
- ٢٢ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا النَّارَانَ لِنُذَكِّرَ فَهْلًا مِنْ مُذَكِّرٍ ٢٨٠
- ٤٤-٤٦ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ. سَيُجْرَمُ الْجَمْعُ وَرُوُلُونَ الذُّبُرِ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ وَالسَّاعَةُ ٢٠٦
- ٤٩ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ١١٠، ١٢٨

الرحمان

- ٥ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٢٢٨، ٢٥

٦ ٢٨ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ الْمُنْجِدَانِ. وَالسَّمَاءِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ... فَإِنِّي آتٍ بكم مَعَدَّيَانِ ٢٢٨

٢٩ يسألُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي تَعَانٍ ١٦٤، ٢٢٤

الواقعة

٥٧ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٦٤

٥٨ و ٥٩ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُكْفُرُونَ. أَأنتُمْ تَخْتَفُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِفُونَ ١٧٧، ٦٤، ٢٨٦

٦٣ و ٦٤ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْمِلُونَ. أَأنتُمْ تَزْعُمُونَ أَمْ نَحْنُ الْمَارِعُونَ ٢٢، ٦٤، ١٧٧، ٢٨٦

٦٨ و ٦٩ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأنتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ٢٧، ١٤٥، ١٥١

٧٠ لو كُنتُمْ جنتنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ١٥١، ١٥٤

الحديد



٧ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلْنَاكُمْ مُسْتَحْسِنِينَ فِيهِ ٢٩٩

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

البيدالة

٢ الَّذِينَ يُضَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٢٩٣

٣ و ٤ وَالَّذِينَ يُضَاهِرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثُمَّ يَبْعُدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ... فَتَن لَمْ يَجِدْ قِصَابًا شَيْئًا ٣٢٢

٨ ألم تر إلى الذين يُضَاهِرُونَ النَّجْرِي ثُمَّ يَبْعُدُونَ لِمَا قَالُوا فَتَجِدُونَ فِي السُّجُودِ وَالْعُدْوَانِ ١٩١، ١٩٢

٩ و ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجُوا بِالْأَلْسِنِ وَالْعُدْوَانِ ... إِنَّمَا النَّجْوَى بَيْنَ السَّيْطَانِ ١٩٢

٢٢ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ٢١٧

الحشر

٧ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ٢٨١

٢٢ و ٢٣ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالسَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللهُ الَّذِي ٢٤١

٢٤ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُعَوِّذُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٨٧، ٢٤١

السنحة

٨ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُدَايِبُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقِرُّوهُمْ ٣٠٠

١٠ وَلَا تُحْسِبُوا بِعِصْمِ الْكُوفِرِ ٢٩٤

الصف

٩٨ يُرِيدُونَ لِيُخْفِضُوا نُورَ اللهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَاللهُ مُنِيرٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٩٧

٩ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ١٩٧، ٢٥٣

الجمعة

٢ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُبَيِّنُ لَهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ٢٤٥



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم راسدي

البنافقون

٨ وَشَرَّ الْعِزَّةِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٢٤٢

١١ وَإِنْ يَوَخَّرْ اللهُ تَعْسًا إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمْ ٢٠، ٢٣

التعاب

٣ وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَى الْخَصِيرِ ٨٧

الطلاق

١ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ أَعْدَتِهِنَّ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بَيْوتِهِنَّ ٢٩٢

٦ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْهِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِيُحْبِبَنَّوَا عَدْلِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ ٢٧٧

- ٧ لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ١١٦
 ١٢ وَإِنَّ اللَّهَ فَدَ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٤

الملك

- ٣ و ٤ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَيِّنَاتٍ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَمَازُجٍ ... وَهُوَ حَسِيرٌ ٢٢٩
 ٥ وَلَقَدْ رَٰىنَا السَّمَاءَ الذَّٰبِقَةً يَسْعَايِحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلنَّٰبِغِينَ ٢٧
 ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ النَّطِيفُ الْخَيْرُ ١٠١
 ٢٣ و ٢٤ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ. قُلْ هُوَ الَّذِي ٢٢٦

القلم

- ٣ و ٤ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَعْنُونٍ. وَإِنَّكَ لَنَدَىٰ خُلُقٍ حَسَنٍ ٢٤٥



نوح

- ١٣ و ١٤ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا. وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَحْسَنَ وَاوَّلًا ٨٠
 ١٥ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَيِّنَاتٍ ١٤٢
 ٢٦ و ٢٧ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذُرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذُرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ٩٥

الجن

- ١٧ وَتَمَّ يَعْزِضُ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْتَكْبَهُ عَذَابًا ضَعُفًا ١١٨
 ٢٦ و ٢٧ عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَنِّي شَيْئًا أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ١٨٥

المدثر

- ٤ وَيَا أَيُّهَا فَطِيرٌ ٢٢

- ١١ ١٦ ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً. وَبَيَّنُّهُ سُهْرًا ... إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِينَا غَنِيًّا . ١٩٩
- ١٧ سَأَرْهِيئُهُ صَعْرًا..... ١١٨، ١٩٩
- ١٨-٢٦ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ... سَأَصْبِرُ مَا يَشَأُ اللَّهُ . ١٩٩
- ٣٨ كُنْ نَفْسٍ بِمَا كُنْتُمْ رَهِيئَةً..... ٢٣٢

القيامة

- ٣ ٤ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُ عِضَاهُ. بَلَى فَاذْرِبْ عَلَيَّ أَنْ تُدْعَوِي بِئَانِهِ ١٧١
- ٨ ٩ وَخَيْفَ الْقَمَرِ. وَجَمِيعَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ٢٥
- ١٧ إِنْ عَسَيْتُمْ جَمَعَهُ وَفَرَّكَهُ..... ٢٠١
- ٣٧ أَلَمْ يَكُنْ نَفْثَةً مِنْ تِبْيِئٍ رُمِيَ ٦٦، ٧٧



الإنسان

- ١ هَلْ أُنَبِّئُ عَنِ الْإِنْسَانِ حَبِيبٌ مِمَّنْ يَدْعُرُ لَمْ يَكُنْ مُبِينًا مَذْكُورًا ١٠٥
- ٢ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَفْثَةٍ أَنْثَرْنَا مِنْ بَيْنِ أَصْنَانٍ كَثِيرَةٍ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيحًا بَعِيرًا ٦٦، ٨٢، ١٠٥
- ٣ إِنَّا نَدْعُوهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا سَأَلْنَا وَإِنَّمَا كَفَرُوا ١٨
- ٨ ٩ وَتُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَنِي حَبِيدًا بِمَسْكِينًا وَرَبْدِحًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لِأَتُرِيدُوا مِنْكُمْ جَزَاءً ... ٢٣٢

المرسلات

- ٢٠ مِنْ مَاءٍ تَهَيَّنَ ٣٦
- ٣٠ انظُرُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ الشُّعْبِ..... ٢١

النبا

- ٧ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا..... ١٥٥

٢٠ وَسَيَّرتِ الْجِيَانُ فَكَانَتْ سَرَاباً ١٦٢

النارعات

٢٨ رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا ١٣٢

٣٠ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ١٦٦

٣٢ وَالْجِيَانُ أَرْسَاهَا ١٥٥

عس

٢٤ فَبَنَظَرِ الْإِنْسَانِ إِلَى طَعَامِهِ ١٤٠

٢٦ و٢٧ لَمْ نَخْلُقْنَا الْإِنْسَانَ سَفَهًا فَأَلْهَمْنَا فِيهَا حَبًّا ١٢٩

النكوير

١-٧ إِذَا السَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ... وَإِذَا الْفُلُوسُ رُوِّجَتْ ٢٢٩

٨ و٩ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٢٢٩ ، ٢٣٥

١٠-٢٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُزِّلَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ. وَإِذَا الْبِحِيمُ ... إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . ٢٢٩

الانطار

٦-٨ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ. الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ ٨٢ ، ٨١ ، ٢٥

الانشاق

٦ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِمَّا أَنْ يَكُونُ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَخَلَّاهُ ١٦٤

الطارق

٥ قَبْلُ يُنَادِى الْإِنْسَانَ بِمِ حُتَّى ١٤٠ ، ٧١ ، ٦٥

- ٦ حَيِّقْ بَيْنَ مَاءٍ دَافِقٍ ٧١.٦٥.٣٦
- ٧ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧١.٦٦.٦٥
- ١١ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١١.١٠٩
- ١٢ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٠٩

الفجر

- ٦ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ١٥١

البد

- ١١ و ١٢ فَلَا أَفْئُتْهُمْ الْعُقُوبَةُ. وَمَا أَتَاكَ مَا الْعُقُوبَةُ ٣٢٠
- ١٣-١٧ فَكُنْ رَاقِبًا. أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَرَةٍ. تَسِيمًا ذَا مَعْرَبَةٍ ... وَتَوَاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ ٣٢٠. ٣٢٤
- ١٨ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنْتَهَى ٣٢٠



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الشمس

- ٧ ٩ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. فَمَا أَصْبَحَ مِنْ رَكْعَتَاهَا ٢٢٨
- ١١ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ٢٢٩
- ١٣ ذَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ٢٢٩
- ١٤ فَذَمُّدَّمَ عَلَيْهِمْ رَبِّهِمْ بِذُنُوبِهِمْ ٢٢٩

الليل

- ١٨-٢١ الَّذِي يُوتَى مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ... وَاللَّيْلِ يَرْضَى ٢٣٣

الضحى

- ١-١١ وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعْتَ رَبَّكَ وَمَا قَلَى ... وَأَمَّا يُعَمَّرَ رَبُّكَ فَحَدَّثَ ٢٢٩

العلق

- ١ و٢ إقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. ١٠٤
- ٣-٥ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ٢١٤
- ٤ علم بالقلم ٢٢
- ٩-١٨ أراءت الذي ينهى، عبداً إذا صلى، أراءت إن كان على الهدى ... سئدع الربابنة ١٩٩

البقرة

- ٥ مخبئين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ٢٦٧

الزلزلة

- ١ إذا زلزلت الأرض ٢٣



الفيل

- ١ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ١٤١

النصر

- ١-٣ إذا جاء نصر الله والفتح وراءت الناس يداخون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره ٢٠٦

النجم

- ١-٥ نبت نذا أبي لهب وثب ما أنبى عنه ماله وما كسب سيحسني ناراً ذات لهب ... حبل من مسند ١٩٨

الإخلاص

- ١-٤ قل هو الله أحد، الله العمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ٢٢٤